

الموقف

مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة . دار الشؤون الثقافية العامة

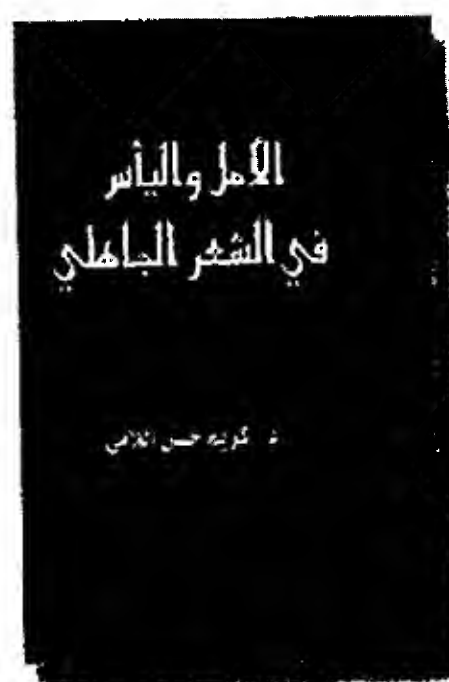
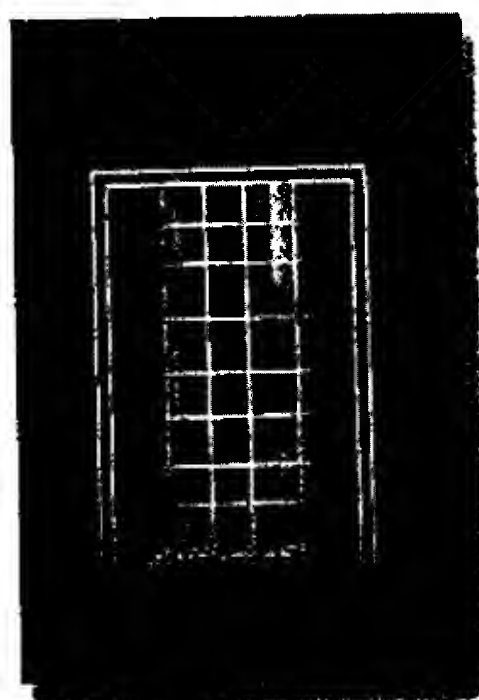
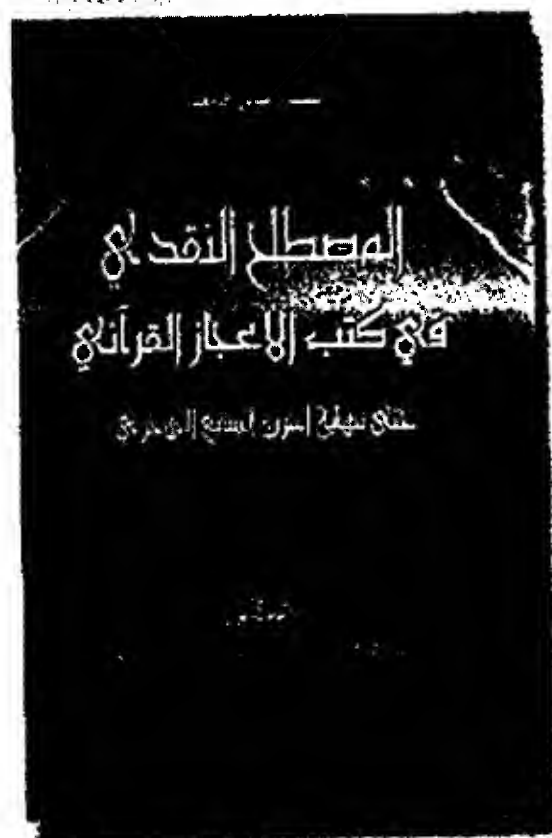
المجلد السادس والثلاثون العدد الثاني لسنة ٢٠٠٩ م

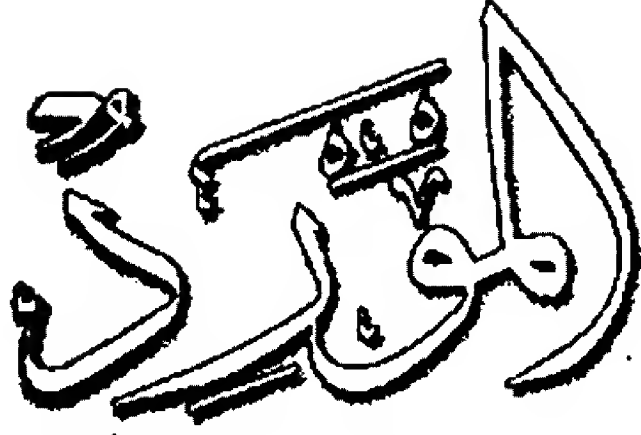
WWW.ATTAWHEEL.COM

أسبوع المائدة



صدر حديثاً
عن دار الشؤون
الثقافية العامة





مجلة تراثية فصلية محكمة

تصدرها وزارة الثقافة دار الشؤون الثقافية العامة

المجلد السادس والثلاثون

العدد الثاني ٢٠٠٩ م - ١٤٣٠ هـ

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير وكالة

نوفل ابورغيف

المهابة الاستشارية

أ.د. خديجة الحديثي

أ.د. جواد مطر الموسوي

أ.د. فليح كريم الركابي

أ.د. داود سلوم

أ.د. مالك المطلب

الأستاذ حسن عريبي

هيئة التحرير

محمود الظاهر

احمد عبد زيدان

النصيب / سليم سلمان / نجلة محمد /

امل عبد الله / رافعة اسماعيل

المطبعة والحفظ / انعام عباس

الارشاف الفني والنصيب

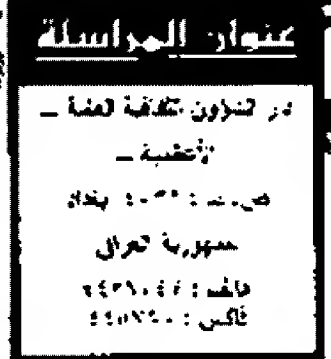
جنان عدنان لطيف

عمار صباح

التنسيق الالكتروني / بشري جواد / فاطمة جعفر ونام ناصر

dar-iraqculture@yahoo.com

dar-iraqculture@hotmail.com



المحتوى

— ثقافة المورد مدير التحرير ٣-٤

بحوث ودراسات

- الاضطراب في نسخ كتاب العين ومواده اللغوية د. محمد جبار المعيد ٥-١٧
- اذن حقيقتها واحكامها وكيفية كتابتها د. محمود جاسم الدرويش ١٨-٢٤
- ثورة الزنج ياسر جاسم قاسم ٢٥-٣٤
- مقدمة في دراسة النشاط التجاري د. سوادي عبد محمد ٣٥-٤٥
- من مظاهر التحديث في ديالى د. طارق تافع الحمداني ٤٦-٥٤
- ابن رشد ومشكلة التقابل المفقولي المنطقي د. علي حسين الجابري ٥٥-٦٥
- خصائص مدرسة حنين بن اسحاق في الترجمة د. محمود الحاج قاسم ٦٦-٧٣
- ظاهرة الجنون في الشعر الصوفي د. فهد كاظم الجنابي ٧٤-٨٤
- الاغتراب في شعر المتنبي د. فليح كريم الركابي ٨٥-٩٠
- الشخصية والطبيعة في الشعر القديم د. عبد الفتاح نافع ٩١-١١٩
- مفهوم الشعر عند ابن خفاجة د. يحيى رشيد ١٢٠-١٢٧

شخصية العدد

مصطفى جواد نحوي د. محمد البكاء ١٢٨-١٤٤

عرض ونقد

— من عقود التلاميذ لاساتذتهم د. عبد الله مسلم ١٤٥-١٤٧

نصوص محققة

- ديوان ابن وفاء الشاذلي القسم الثالث د. عبد الحسن خضير عبيد المحياوي ١٤٨-١٥٩
- علي ابن الغدير الغنوي عبد اللطيف حمودي الطائي ١٦٠-١٧٠

اخبار التراث العربي

— اخبار التراث العربي اعداد حسن عريبي للخالدي ١٧١-١٧٦

ثقافة المورد

في اغلب الاحيان نجد انفسنا في وضع لا نحسد عليه بسبب عتاب بعضهم عن حجب نتاجاتهم. وهذا يضعنا في حرج شديد لاننا قد خدنا النتاج الذي يردنا. الا وهو ان يكون على مستوى عال سواء في التحقيق او في الأسلوب الذي يتبعه الكاتب عندما يتناول بحثاً لغوياً. ان نشر النصوص يجب ان تحقق اصالة النص، وان تكون الحقائق التي يتضمنها النص ما زالت صحيحة ولم يثبت بطلانها، او معتمدة على نص سابق لم يستوف شروط البحث العلمي. ان البحث المرسل الينا يجب ان لا يكون قد استهلك من قبل آخرين الا اذا كان للكاتب اراء جديدة فيه. ان "المورد" ومنذ صدورها كانت وما زالت في الصدارة بين المجالات التراثية العلمية التي تصدر في الوطن العربي. لذا نحن نعتذر عن نشر البحوث التي لا تضيف جديداً الى ما هو متداول بين المحققين من دون توثيق علمي للسرد، وملحق للمصادر التي اعتمد عليها الباحث. ان المورد وعلى رأسها د. محمد حسين الاعرجي، وكابر قد اكتسب خبرة كبيرة في مجال التراث والنصوص العلمية التي هي في

صلب الموضوع التراثي. وتسعى لان تكون مصدراً ثقافياً يعتمد عليه

ان ما يكتب في المورد هو خلاصة ثقافية تتحول الى منهل يغترف
منه طلبة العلم من خلال تحقيقات تراثية خاضعة من قبل رئيس
التحرير ..

ان المورد ومنذ تأسيسها اتخذت طريق المزاوجة بين التراثين
القديم والحديث في ضوء مستجدات العصر . ولقد حاولنا وما زلنا ان
نكون في طليعة المجالات العربية في العالم وبذلك حزننا ثقة
مفكريها وكتابها المهتمين بشؤون التراث العربي و الاسلامي .
اننا من خلال هذه المقدمة نحتاج الى كتابات لها طابع السبق كي
يستفيد منها طلاب العلم ومن لهم دراية بالبحوث الاسلامية وخاصة
التراث الاندلسي اذ مازالت التحقيقات فيه شحيحة .

محمود الظاهر
مدير التحرير



الاضطراب في نسخ كتاب العين ومواده اللغوية

(من القرن الرابع حتى القرن السابع الهجريين)

المرحوم
الدكتور محمد جبار المعيب

الآخرين الى أن يتساهلوا في نسخه واصلاح ما فيه من اضطراب وأوهام أشار اليها نقاد الكتاب والرافضون له، وادخل مواد لغوية غير موجودة في أصوله التي رويت عن الليث. كما تساهل النساخ في ادخال اصلاحات لبعض العلماء وهو امشهم في متن الكتاب. وما أن أطل القرن الرابع الهجري حتى وجدنا (العين) شائعا منتشرا مطلوبا من الجميع، لكنه انتشر مشوب بالحذر، إذ أن فيه مواد كثيرة صحيحة لا اعتراض للعلماء عليها، لكن هناك الى جانبها مواد أخرى امتلأت بالأوهام والاضطراب والتصحيف والتحريف، يعرفها من اتقن صناعته وفنه، وتخفى على من لا دراية له فيهما. وهكذا كان ابن فارس وابن دريد والجوهرى أقل نقدا وتعرضا لمادة كتاب العين اللغوية من الأزهرى والزبيدي الأندلسي وابن جنى وأبي علي الفارسي، الذين درسوا الكتاب وتعقبوا مواد اللغوية فأصدروا أحكاما بشأنه، معتمدين ما لديهم من نسخ العين. وقد ظلت هذه الأحكام - الى عصرنا هذا مثالا للأمانة العلمية والمتابعة الجادة.

هذا البحث اهتم بنقول علماء القرن الرابع الهجري وما بعده من كتاب العين. ثم أجرى مقارنة بين هذه النقول ونص الكتاب المطبوع، من أجل أن يتعرف على مدى الاختلاف بين هذه المصادر ونصوص الكتاب، ليصل بسعد ذلك الى النتيجة التي تقوي نسبة الكتاب الى الخليل أو تضعفها. النصوص التي اعتمدناها في هذا البحث عاش

من خلال متابعتي ما نقل عن كتاب (العين) من نصوص في كتب الأقدمين من القرن الرابع الهجري وما بعده من قرون، وجدت بونا شاسعا واختلافا كبيرا بين نسخ العين التي اعتمدها هؤلاء الأقدمون ونسخة الكتاب المطبوعة. يتمثل هذا الاختلاف في زيادة المواد اللغوية عند بعضهم وإهمالها أو نقصانها عند بعض آخر.

ويعود سبب اضطراب المادة اللغوية في هذا المعجم المبكر في تراثنا اللغوي الى شيوع نسخ الكتاب الأولى وانتشارها من غير رواية عن الخليل بسن أحمد الفراهيدي، باستثناء الرواية المنسوبة الى الليث بن المظفر عنه. ولما كان لغويو البصرة أعرف بالخليل وبتراثه اللغوي فأنهم رفضوا الكتاب ولم يروه أحدا منهم، من أصحابه وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه. وكان هذا موقف الكوفيين^(١).

وكانت الطبقة الأولى من رواة الكتاب عن الليث ابن المظفر من أهل فارس، ومن الغمورين منهم^(٢). وعن هؤلاء أخذ أحمد بن فارس اللغوي الكتاب. وهو الوحيد من لغويي القرن الرابع الهجري الذي يشير الى أخذه كتاب العين رواية^(٣). وما عداه من اللغويين فأنهم أخذوا الكتاب من غير رواية، كابن دريد والأزهري والقالبي وأبي أحمد العسكري والصاحب ابن عباد وابن جنى وأبي علي الفارسي والجوهرى وغيرهم. هذا الرفض من البصريين والكوفيين دفع

أصحابها بين مطلع القرن الرابع الهجري (أولهم ابن دريد المتوفى ٢٢١هـ) ومنتصف القرن السابع الهجري (آخرهم الصغاني المتوفى ٦٥٠هـ). — بين هذين التاريخين عاش لغويون عديدون على رقعة الدولة العربية الإسلامية الممتدة من بلاد ما وراء النهر حتى الجزيرة الخضراء الأندلس. بعض هؤلاء وضع معجماً على غرار العين أو على نمط آخر، وآخرون نقلوا نصوصاً، تقل أو تكثر من الكتاب في ثنايا كتبهم اللغوية. من هؤلاء من نسب الكتاب إلى الليث بن المظفر لقناعة رسخت عنده كالأزهري، أو أنه كان مقلداً من سبقه في هذه النسبة كالصغاني. ومنهم من نسب الكتاب ونصوصه إلى الخليل، ربما عن اعتقاد أو لأن الكتاب يحمل اسم الخليل، كابن دريد والجوهري والصاحب بن عباد. وهناك قسم ثالث آثر أن ينسب النصوص التي ينقلها عن العين إلى (صاحب العين)، كابن سيدة في المخصص.

ما يهم من هؤلاء جميعاً النصوص التي نقلوها في كتبهم عن كتاب العين، الذي اقتنوا نسخة أو نسخاً منه، كي تكون شاهداً للكتاب أو عليه عند إجراء المقارنة بينها وبين ما نسخ من العين.

أصحاب المعجمات كانوا أكثر فائدة لهذا البحث من غيرهم، لكثرة ما ينقلون من نصوص أولاً، ولإشارة بعضهم إلى المهمل والمستعمل من مواد (جذور) الكتاب. وأول هؤلاء أبو منصور الأزهري (المتوفى سنة ٢٧٠هـ) الذي اقتنى غير نسخة من الكتاب^(١)، وأودعها كتابه (تهذيب اللغة) الذي سار فيه على منهج (العين) وطريقته. وكان يشير في الغالب إلى المهمل والمستعمل من مواد العين اللغوية. وسار على طريقته هذه الصاحب بن عباد (المتوفى سنة ٢٨٥هـ) في كتابه (المحيط في اللغة)، فأشار في الغالب أيضاً إلى العمل والمستعمل من المواد اللغوية. يليه أبو علي القالي (المتوفى سنة ٢٥٦هـ) في كتابه (البارع). فهو ينقل مادة العين اللغوية ثم يلحقها أو يقدم عليها.

ما ينقله من مروياته عن هذه المادة من كتب الآخرين. فالبارع، على حد قول محققه (ص ٦٦): "ليس إلا كتاب العين موصولاً". القالي إذا أورد مادة لغوية في كتابه ولم يرد فيها ذكر الخليل فهذا يعني خلوه من نسخته من العين من هذه المادة. ومن خلال منهجه هذا عرفنا ما انفردت به نسخته من مواد لغوية وما أخلت بسسه من مواد أخرى. وآخر هؤلاء المعجميين هو الصغاني (المتوفى سنة ٦٥٠هـ)، الذي سار إلى حد ما على نهج من ذكرنا من اللغويين، في ذكرنا المهمل والمستعمل في كتابيه (العباب) و(التكملة).

أما غير هؤلاء من أصحاب المعجمات وكتب اللغة فإن نقولهم عن (العين) لم تكن مطردة، بمعنى أنهم ينقلون ما يريدون نقله من مواد (العين) اللغوية ويهملون غيرها من المواد. يشيرون إلى (الخليل أو الليث أو صاحب العين) مرة، وينقلون من (العين) من غير إشارة أخرى. وإفادة هذا البحث من هذه المعجمات كانت عند اشارتها إلى المهمل والمستعمل من مواد (العين) اللغوية.

ابن دريد نقل ثلثي (العين) من غير إشارة، وإهمال مادة لغوية عنده تعني أنها مهملة في نسخته من (العين). ونعثر في (الجمهرة) بحالات نادرة أشار فيها ابن دريد إلى إهمال مادة لغوية في العين، كقوله (١٤٩/٢): "الزحك: الدنو.. وأهمل الخليل هذه الكلمة، وأحسبه غلطاً من الليث". أما ابن فارس فأشارته إلى المهمل والمستعمل ليست مطردة، وإهماله المادة اللغوية في كتابيه (المجمل والقاييس) يعني متابعتها نسخته من (العين) في هذا الإهمال وابن سيدة لا ينسب في كتابه (الحكم) مادته اللغوية عن (العين) إلا في حالات قليلة يصدرها بـ (قال الخليل..). أما في كتابه (المخصص) فالقاعدة عنده نسبة مواد اللغوية إلى مصادرها، وهو في كتابه هذا نقل معظم (العين)، ناسباً هذه النقول إلى (صاحب العين)، مما يشير إلى تغير في موقفه من نسبة الكتاب.



بين مصادر البحث اللغوية وكتاب العين المطبوع، عثرت بـ (٢٥) مادة لغوية مستعملة في المطبوع، أشار الأقدمون إلى اهمالها في نسخهم من العين (انظرها في ملحق البحث ١-). وهذه المواد نجدها في البارع وتهذيب اللغة والمحيط في اللغة فضلاً عن التكملة للصغاني، وهذا يعني أن المعجمات التي من منهجها الإشارة إلى المهمل والمستعمل من المواد اللغوية هي التي أفادت البحث في هذا الجانب.

ويبدو لي أن هؤلاء الأقدمين، أو بعضهم، كانوا يتحرون الدقة في ما ينقلون، ويقتنون النسخ التي يقل فيها الاضطراب. فمادة (علس)، مثلاً، نجدها في كتاب العين (٢٧٨/٢) على النحو التالي: (علس: قال عرام: علست الشيء: مارسته بشدة).

الصاحب بن عباد في المحيط (٢٥٥/٢) قال: (علس الشيء: مارسه بشدة، وأهمله الخليل).

وهذا يعني أن هذه المادة مهمة في نسخة الصاحب من العين. وإذا رجعنا إلى المعجمات الأخرى نجد الآتي: لم يدرج هذه المادة في معجمه كل من: ابن سنان دريد والقبالي والأزهري وابن فارس وابن سيدة. هل هي مهمة في نسخهم من العين؟ أقول: يبدو كذلك، ولكن الأهم من هذا كله أن المادة اللغوية من (علس) منقولة عن (عرام) فقط. وعرام هذا أعرابي من رجال القرن الثالث الهجري عاش حتى منتصفه^(١)، فكيف ينقل الخليل أو الليث عنه؟ ومثلها مادة (هلمع) (٢٨١/٢) فهو ينقلها عن عرام فقط، مع أن الصاحب (المحيط ٢٥٨/٢) أشار إلى اهمالها عند الخليل.

أذن هناك مواد لغوية أدخلت على الكتاب بعد روايته عن الليث أو بعد وفاته، تزداد كلما بعد الزمن عن الليث أو الخليل وكثرت النسخ المضطربة بأيدي العلماء. فمادتنا (زلغ وقشذ) الموجودتان في نص العين المطبوع (٢٨٤/٤ و ٢٥/٥) لا تردان في نسخة الصغاني التي أفاد منها في معجميه (العباب) و(التكملة). فمادة (زلغ) نقلها في (العباب. حرف الغين. ص ٤٤) عن

أما غير من تقدم من المعجميين واللغويين فكانت نقولهم عن (العين) أقل بكثير، مما جعلنا نترصد هذه النقول ونبذل جهداً كبيراً في العثور عليها ومقارنتها مع كتاب (العين) المطبوع.

بعد استقراء المعجمات المذكورة وكتب اللغة، وجدت هذه المعجمات وهذه الكتب تختلف فيما بينها في زيادة موادها (= جذورها) اللغوية ونقصانها، فضلاً عن اختلافها مع نص (العين) المطبوع. وهذا يشير إلى خلل واضطراب في هذه النسخ جميعها وعدم وجود نسخة أو نسخ يمكن عدّها نسخاً مروية عن علماء لغة كبار يشار إليهم، وإنما هناك نسخ تفردت كل نسخة بشيء لا نجده في الأخرى. وهذا الاضطراب يتمثل في:

(١) وجود مواد لغوية مستعملة في العين المطبوع أشار الأقدمون إلى اهمالها في نسخهم من الكتاب.

(٢) هناك مواد لغوية مهمة في العين المطبوع أشار الأقدمون إلى استعمالها في نسخهم من الكتاب، وهو خلاف ما تقدم.

(٣) هناك نصوص من العين تشكل جزءاً من مواد لغوية، لم ترد في العين المطبوع، وجدت في المصادر التي ذكرناها، وتشكل جزءاً تاسعاً للكتاب.

(٤) أدخل الحققان الفاضلان في الكتاب مواد لغوية ظلّاها ساقطة من نسخه، من مصادرهما، ولا سيما مختصر العين لأبي بكر الزبيدي. وهما بذلك فعلاً ما فعل بعض قدماء النساخ عندما أدخلوا على الكتاب ما ليس منه.

(٥) انفراد كتاب العين المطبوع بمواد (= جذور) لغوية لم ترد في المعجمات المؤلفة في القرن الرابع الهجري، كالجمهرة وتهذيب اللغة والصحاح والمجل والمقاييس وغيرها.

هذه الأمور وغيرها مما سيرد في هذا البحث تشكل العلامات الأكثر وضوحاً في هذا الاضطراب الذي اكتنف كتاب العين مخطوطاً ومطبوعاً. واليك تفصيل ما تقدم:

أولاً من خلال المقارنات والمقابلات التي أجريناها

الأزهري مشيراً إلى عدم وجودها في نسخته من كتاب الليث، ومادة (قشذ) نقلها في التكملة (٢٨٨/٢) عن الأزهري أيضاً ولم ترد في نسخته.

ثانياً - وبخلاف ما تقدم، نجد أن كتاب العين المطبوع أهمل (٤٧) سبعة وأربعين مادة لغوية أشار الأقدمون إلى استعمالها في نسخهم من الكتاب (انظرها في ملحق البحث - ٢). وهذه أمثلة مفصلة من هذا الملحق:

(أ) مادة (سعو)، مثلاً، مهمة في العين المطبوع. أشار إلى إهمالها في نسخته صاحب المحيط (١٨٣/٢)، ونقل الأزهري هذه المادة (٩٢/٢) عن ابن الأعرابي، وهي إشارة منه إلى إهمالها في نسخته من العين. بينما انفرد ابن دريد (الجمهرة ٢٤/٢) بنقلها عن الخليل، قال (السعو: الشمع في بعض اللغات، جاءت عن الخليل وغيره). هذا الانفرد يشير إلى أن نسخة ابن دريد تزيد في بعض موادها عن نسخ اللاحقين من اللغويين، وعن ابن دريد نقلها ابن فارس في المجمل.

(ب) مادة (ضطن) مهمة في العين المطبوع والجمهرة ومقاييس اللغة والمجمل^(١). لكن الأزهري في التهذيب (٤٩١/١) ينقل عن العين مادة يعزوها إلى الليث كعادته، يقول: (قال الليث: الضيطن والضيطان: الرجل الذي يحرك فكاه وجسده حين يمشي مع كثرة لحم. يقال: ضيطن الرجل ضيطنة وضيطاناً إذا مشى تلك المشية). من هذا نقول: إن نسخة الأزهري، أو نسخته بعبارة أصح، تختلف عن النسخ التي سبقته أو التي لحقته في زيادة مادتها.

(ج) مادة (برشق) الرباعية مهمة في العين المطبوع، وانفرد القالي (البارع ٥٢٢) بنسبة مادتها إلى الخليل. قال (الخليل: المبرنشق: الفرع المسرور، يقال: حدثته بحديث فابرنشق به أي فرح وسم). ولم يوردها ابن دريد في مادتها وإنما أوردها في غيرها (٢٩٩/٣). أما الأزهري (٢٨١/٩) فأورد هذه المادة منسوبة إلى الأصمعي: (رجل مبرنشق: فرع مسرور.

قال وحدثت هارون الرشيد بحديث فابرنشق أي فرح وسم). ومثله ابن فارس في المجمل (١٤٢/١). يمكننا القول: إن نسخة القالي من العين انفردت بنسبة هذه المادة إلى الخليل، مع خلو غيرها من النسخ منها، وهذه النسبة يمكن التوقف عندها واليل إلى نسبتها إلى الأصمعي، كما فعل الأزهري.

(د) مادة: ضببس مهمة في العين المطبوع، ونص الأزهري (٤٨٦/١) على إهمالها عند الليث، كما لم ترد عند ابن دريد في الجمهرة. وقد انفرد ابن فارس بنقلها عن الخليل في المجمل (٥٧٢/٢) والمقاييس (٢٨٦/٢)، قال: (قال الخليل: الضبببس: الحريص، والضبببس: القليل الفطنة لا يهتدي لشيء، والضبببس: الجبان).

(هـ) مادة/ ضنط مهمة في العين المطبوع، ونقل ابن دريد (٩٢/٢) مادته عن أبي عبيدة. الأزهري (٤٩١/١) والصغاني في التكملة (١٤٩/٤) نقلتا مادتهما عن ابن دريد، ابن فارس في المجمل (٥٦٧/٢) والمقاييس (٢٧٢/٢) لم ينسب مادته، وأهملا الجوهر في الصحاح. وقد انفرد الصغاني في العباب (حرف الطاء، ص ١١٧) بنقل مادته عن الليث، قال (الليث: الضنط: الزحام الكثير يزدحمون على بئر أو نحو ذلك، قال رؤبة...).

(و) مادتا/ عبج وعبج مهملتان في العين المطبوع. ذكر إهمالهما في العين الأزهري (٢٨٨٢٨٧/١) والصاحب (٢٩٩/١) وابن فارس في المقاييس (م/عبج ٢٠٥/٤)، ولم يدرجهما الجوهر في الصحاح. ومن ذكر أحدي المادتين أو كليهما من غير هؤلاء فإنه لم ينسب مادته. لكن نسخة الكرمل المخطوطة التي طبع عليها الجزء الأول انفردت بذكر المادتين، وعن هذه الطبعة أدخلهما د. عبد الله درويش في طبعته (٢٧٢/١). أما الطبعة الأخيرة فقد خلت منهما من غير ذكر سبب عدم الإدراج.

(ثالثاً) - وهذا الأمر يتعلق بسقوط جزء أو أجزاء من مادة لغوية في العين المطبوع نقلها المتقدمون من اللغويين في كتبهم نقلاً عن نسخ العين التي اعتمدها



في هذا النقل. وهذه المواد تكثر كلما ظهر كتاب لغوي جديد أو جزء من كتاب ظهرت منه أجزاء من قبل، كالعباب للصغاني والمحيط للصاحب وغيرهما. وقد تنبسه المحققان الفاضلان لهذه الزيادات فأدرجا في أجزاء الكتاب الثمانية نصوصاً كثيرة أشارا إليها في هوامشهما، وما تبقى مما لم يدرج يشكل جزءاً جديداً يضاف إلى الأجزاء الثمانية. وقد اخترت أمثلة من هذه الزيادات التي لم تدرج أريد بها تبليان الاضطراب في نسخ هذه القرون التي ذكرتها.

(أ) مادة / كبع من العين المطبوع (١٠٨/١) لم يرد فيها هذا النص الذي ذكره ابن دريد (٢١٤/١) عن الخليل، قال (والكبع، ذكر الخليل، أنه المنع، كبعته عن كذا وكذا الكبعه كبعاً إذا منعه عنه ..). كما ذكر هذا النص منسوباً إلى الخليل، الصغاني في التكملة (٢٤٢/٤). ولعله نقله عن الجمهرة، إذ أن الصغاني ينسب نقوله عن العين إلى الليث. ولم يرد هذا النص في المحيط والمقاييس والمحكم، ولم ينسب إلى الخليل أو الليث في المجمل والتهذيب.

(ب) أورد القالي في (البارع ٢٢٠) النص التالي: (وقال الخليل: الأدرهمام: السقوط من الكبر، قال جرير:

يظل بالباب يرعاها ويأملها

قد أدرهمت وأفنى جسمها الهرم

ويقال: أدرهم أدرهمام، قال القلاخ بن حزن النقري

أنا القلاخ جئت أبغي مقسماً

أقسمت لا أسأمت حتى يسأماً

ويدرهم كبراً أوهرماً

هذا النص لم يرد في مادة / درهم من العين

المطبوع، كما لم يرد في الجمهرة والتهذيب والمجمل

والمقاييس. وورد بلا شواهد في المحكم (٢٤٩/٤) ولم

ينسب إلى الخليل. هذه الزيادة في (البارع) تشير إلى

انفراد نسخة القالي بها.

(ج) ومثله هذا النص من مادة / لخب في التكملة

(١٧٤/٢) للصغاني، قال: (وقال الليث: امرأة لخب،

بالفتح، فذرة منتنة. وأنشد للعين النقري:

أست ابن سوداء المحاجر لخب
لها غلبة لخوى ووطب محترم)

نص الصغاني هذا انفردت به نسخته من العين، ولم يرد في أي معجم من المعجمات المتقدمة عليه.

(د) وانفرد ابن سيدة في المخصص (١١٦/٨) بعزو

هذا النص من مادة / جعل إلى (العين)، مع ملاحظة،

أنه لم يرد في النص المطبوع، كما لم يرد منسوباً إلى

الخليل أو الليث في ما طبع من معجمات الحقبة التي

تدخل في بحثنا. قال ابن سيدة:

(صاحب العين: ماء جعل ومنجل: ماتت فيه

الخنابس والجعلان.. وأرض منجلة: كثيرة الجعلان..

ورجل جعل: أسود دميم شبه به، وقيل هو اللجوج.

وقالوا "سبك يأمره (بأمرئ) جعله"، وذلك أن الرجل

يطلب حاجة فإذا خلا ليذكرها جاءه رجل ليطلب

مثلاً أو رجل يكره أن يسمعها من الأول، فهو لا يقدر أن

يذكر معه شيئاً، فهو جعله. وأنشد:

إذا أتيت سليمي شبلي جعل

إن الشقي الذي يصلي به الجعل)

(هـ) وفي المقاييس، مادة / غير (١٩٢/٤)، انفرد ابن

فارس بنسبة هذا النص إلى الخليل، ولم يرد بهذه

النسبة في سواه من المعجمات. قال ابن فارس (وقال

الخليل: في أمثالهم "جاء فلان قبسل عيرو ما جرى"

يريدون به السرعة، أي قبل لحظ العين. وأنشد لتأبط

شراً:

ونار قد حضأت بعيد هـء

بـدار ما أريد بسها مقـامـا

سوى تحليل راحلة وغير

أغالبه مخافة أن يناما)

وهناك نصوص أخرى انفرد بها كل من الأزهري

(مادة / بيع ١١٨/١) والجوهري (مادة / حنظب ١١٣/١)

وأبي عبيد البكري (فصل المقال ٤٥٨) وغيرهم.

(رابعاً) اتسمت النسخة المطبوعة من العين بزيادة

في الاضطراب في المادة اللغوية يشبه إلى حد كبير ما

أشاعه النساخون الأقدمون من زيادة فيها. فقد تبين

للمحققين الفاضلين أن أصحاب المعجمات قد نقلوا

٩

مجلة المورد المجلد السادس والثلاثون العدد الثاني ١٠١

مواد لغوية في معجماتهم من نسخ العين التي يمتلكونها لا توجد في النسخ التي بين أيديهم. فدفعهم هذا. وهو صواب. الى ادخال هذه المواد في مادة الكتاب المطبوع والاشارة الى ذلك. لكنهما لم يشير الى ذلك في مقدمة الكتاب ولم يقدموا الأسس التي بمقتضاها ادخلا هذه المادة أو تلك، مما أوقعهما في ادخال مواد ليست من صلب الكتاب ولا من مادته.

لقد تتبعنا هذه المواد في اجزاء الكتاب الثمانية فوجدت منها ما يقرب من الخمسين مادة أساسية (جذورا) أو يزيد منقولة عن كتاب (مختصر العين) لأبي بكر الزبيدي. أقول: هذه المواد اللغوية المنقولة عن المختصر ليست من صلب الكتاب ولا من مادته، ذلك أن أبا بكر الزبيدي "عمل في كتاب العين أربعة أمور ليخرج مختصره، هي: تنظيمه، ب. تصحيح المختل والمصحف من مواد، ج. اختصاره، د. الاستدراك عليه"^{١٧}. والاستدراك تمثل في (١) الزيادة على المواد اللغوية المستعملة (٢) ادخال مواد جديدة (جذور) عدها كتاب العين مهمة. والحقيقة أن الفاضلان ادخلا في كتاب العين ما عثرا عليه من هذه المواد المهمة وعدها من أصل الكتاب، مع أنها من مستدركات أبي بكر الزبيدي.

ولكي ندلل للباحثين على أن هذه المواد مستدركة على العين لا من أصله، رجعنا الى الجزء الأول المطبوع من مختصر العين فوجدنا فيه (٢١) احدى وعشرين مادة لغوية (جذرا) مهمة في العين المطبوع، مستعملة في مختصره. عند مقابلة هذه المواد اللغوية بالمعجمات التي اتخذت (العين) مصدراً من مصادرها قبل أبي بكر الزبيدي أو التي عاصرتة. ولا سيما المعجمات^{١٨} الشرقية، وجدت الآتي:

أ. اشارات من هذه المصادر الى ذكر اهمال هذه المادة أو تلك في (العين).

ب. نسبة بعض هذه المواد الى غير الخليل أو الليث، كالأصمعي وأبي عبيد القاسم بن سلام والنضر ابن شميل والفرأ وغيرهم.

ج. اهمال بعض المعجمات المذكورة هذه المواد وعدم ادراجها، مما يشير الى متابعتهم (العين) في الاهمال.

د. عدم نسبة هذه المواد الى أحد من اللغويين.
هـ. لم أجد أي معجم من هذه المعجمات ينسب صراحة أية مادة من هذه المواد الى (العين) أو (الخليل) أو (الليث).

أما المعجمات المؤلفة بعد أبي بكر الزبيدي، كالحكم والخصص لابن سيدة، والتكملة للصغاني، فقد وجدت الآتي:

أ. ابن سيدة ينقل معظم هذه المواد في (الحكم) ولا ينسبها، كعادته في هذا المعجم.

أما اذا ذكرها في (الخصص) فإنه يعزوها الى (صاحب العين)، كما وردت في المختصر، مما يجعلنا نميل الى أنه. وهو الأندلسي كالزبيدي. نقلها عن المختصر.

ب. أما الصغاني فإنه لا يذكر الليث مصدراً من مصادر هذه المواد جميعها، باستثناء مادة (عه) التي يشير فيها الى الليث. ويمكن تفسير هذا الأمر بامتلاكه نسخة من العين مكتوبة بعد القرن الرابع دخلتها بعض الزيادات.

واليك هذه المواد اللغوية ومقابلتها بالمعجمات المؤلفة في القرن الرابع الهجري:

(١) عه (المختصر ٦٧/١)
(أ) أشار الأزهرى في التهذيب (٥٥/١) والصاحب في المحيط (٥٦/١) الى اهمالها في العين
(ب) لم يدرجها في معجمه كل من: ابن دريد والجوهري وابن فارس، مما يعنى متابعتهم العين في الإهمال.

(٢) عكش (١٥٩/١)
(أ) أشار الأزهرى (٢٩٥/١) وابن فارس في المقاييس (١٠٨/٤) الى اهمالها في العين.

(ب) لم ينسب كل من ابن دريد (٦١/٢) والصاحب (٢٢٠/١) والجوهري (١٠١٢/٢) مادته.

(ج) لم ترد (عكش) في الجمل لابن فارس.
(٣) هدع (٩٦/١)



(أ) أشار صاحب (٩٨/١) الى اهمالها في العين.
(ب) نسب الأزهرى (١٢٨/١) مادته الى النضر بن شميل.

(ج) لم ينسب كل من ابن دريد والجوهري وابن فارس في معجميه مادتهم.

(٤) زعك (١٦٢/١)

(أ) أشار صاحب (٢٢٤/١) الى اهمالها في العين.
(ب) الأزهرى (٢٠٠/١) نقل مادته عن أبي عبيد.
(ج) ابن دريد والجوهري وابن فارس في معجميه لم ينسبوا مادتهم.

(٥) عشن (٢٠٩/١)

(أ) ذكر صاحب (٢٢٧/١) اهمالها في العين.
(ب) أهمل المادة ولم يدرجها في معجمه: ابن دريد وابن فارس في المقاييس.

(ج) الأزهرى (٤٢١/١) نسب المادة الى أبي عبيد وأبي الهيثم.

(د) لم ينسب الجوهري وابن فارس في المجمل مادتهما.

(٦) شعن (٢٠٩/١)

(أ) ذكر الأزهرى (٤٢٣/١) والصاحب (٢٢٨/١) اهمالها في العين.

(ب) أهمل ابن دريد المادة ولم يدرجها في معجمه.

(ج) لم ينسب مادته: الجوهري وابن فارس في معجميه.

(٧) صعن (٢٢٧/١)

(أ) ذكر الأزهرى (٢٥/٢) اهمال المادة في العين، ونقلها عن أبي عبيد.

(ب) ابن دريد أهملها ولم يدرجها.

(ج) لم ينسب مادته كل من: الصاحب والجوهري وابن فارس في معجميه.

(٨) صعف (٢٢٩/١)

(أ) الأزهرى (٤٤/٢) والصاحب (٢٩٢/١) ذكرا اهمال المادة في العين، ونقلها الأول عن أبي عبيد.

والثاني عن الخارزنجي.

(ب) الجوهري (١٢٨٦/٤) نقل مادته عن أبي عبيد.

(ج) ابن دريد وابن فارس في معجميه لم ينسبا مادتهما.

(٩) فعض (٢٢٩/١)

أهمل المادة ولم يدرجها في معجمه كل من: ابن دريد والأزهرى والصاحب والجوهري وابن فارس.

(١٠) سعب (٢٦٤/١)

(أ) الأزهرى (١١٩/٢) والصاحب (٤٣٦/١) ذكرا اهمال المادة في العين.

(ب) أهمل ابن فارس المادة ولم يدرجها في معجميه.

(ج) لم ينسب ابن دريد والجوهري مادتهما.

(١١) معس (٢٦٧/١)

(أ) الأزهرى (١٢٨/٢) والصاحب (٤٤١/١) ذكرا اهمال المادة في العين.

(ب) لم ينسب ابن دريد مادته.

(ج) نقل ابن فارس مادته في المجمل عن ابن دريد.

(د) لم ينسب الجوهري وابن فارس في المقاييس مادتهما.

(١٢) مسع (٢٦٨/١)

(أ) ذكر الأزهرى (١٢٨/٢) والصاحب (٤٤١/١) اهمال المادة في العين.

(ب) أهمل ابن فارس في المقاييس هذه المادة ولم يدرجها.

(ج) لم ينسب ابن دريد والجوهري وابن فارس في المجمل مادتهم.

(١٣) زعف (٢٧٥/١)

(أ) ذكر الأزهرى (١٤٥/٢) والصاحب (٤٥٥/١) اهمال هذه المادة في العين.

(ب) لم ينسبها الى العين كل من: ابن دريد والجوهري وابن فارس في معجميه.

(١٤) عذب (٢٠٥/١)

(أ) ذكر الأزهري (٢٣٩/٢) والصاحب (٢١/٢)
وابن فارس في المقاييس (٢٥٢/٤) أهمل هذه المادة
في العين.

(ب) لم ينسب مادته الى العين: ابن دريد
والجوهري وابن فارس في المجمل.

(١٥) ثعد (٢٩٢/١)

(أ) نقل الأزهري (١٩٨/٢) مادته عن أبي عبيد
عن الأصمعي.

(ب) ونقلها الصاحب (١٠/٢) عن الخارزنجي.
(ج) أهمل ابن فارس في المقاييس هذه المادة
ولم يدرجها.

(د) ابن دريد وابن فارس في المجمل لم ينسبا
مادتهما.

(١٦) عرت (٢١٠/١)

(أ) ذكر الصاحب (٢٥/٢) أهمل المادة في العين.
(ب) أهمل الأزهري المادة ولم يدرجها.
(ج) لم ينسب ابن دريد والجوهري وابن
فارس في معجميه مادتهما.

(١٧) عظر (٢٨٨/١)

(أ) ذكر الصاحب (٤٩/٢) أهمل المادة في العين.
(ب) نقلها الأزهري (٢٩٦/٢) عن أبي عبيد
عن أبي الجراح.
(ج) أهملها الجوهري وابن فارس في معجميه
ولم يدرجها.
(د) ذكر ابن دريد (٢٧٧/٢) الجذر ولم يذكر
فيه مادة.

(١٨) نثع (٢٣٤/١)

(أ) نقل الأزهري المادة (٢٣١/٢) عن ابن
الأعرابي وأبي زيد.

(ب) المادة مهملة وغير مدرجة عند: ابن
دريد والصاحب والجوهري وابن فارس.

(١٩) رنع (٢٤٠/١)

(أ) أشار الأزهري (٢٤٢/٢) والصاحب (٨٨/٢)

الى اهمالها في العين.

(ب) أهمل المادة ولم يدرجها: ابن دريد
والجوهري.

(ج) نقل ابن فارس في المجمل (٤٠١/٢)
والمقاييس (٤٤٥/٢) مادة أخرى ليست مادة العين.
(٢٠) ملع (٢٦٧/١)

(أ) أشار الأزهري (٤٢٦/٢) الى اهمالها في العين.
(ب) لم ينسب مادته اللغوية الى العين كل من:
ابن دريد والصاحب والجوهري وابن فارس في
معجميه.

(٢١) عمن (٢٧١/١)

لم ينسب أحد من أصحاب المعجمات هذه المادة
الى العين.

من خلال ما تقدم، يمكننا القول: ان هذه المواد
(=الجزور) اللغوية المذكورة في مختصر العين،
والمهملة في كتاب (العين) المطبوع ليست من أصل
الكتاب ولا من مادته. وقد أشار الأزهري والصاحب
الى اهمال نحو (١٧) سبع عشرة مادة منها في نسخهم
من كتاب العين، فضلاً عن عدم ادراجها أكثر
المتبقي منها في معجميهما أو الإشارة الى كونها
مستعملة في العين. وهذا يقودنا الى أن ادخال
محققى كتاب العين الفاضلين لمواد من المختصر في
العين أمر زاد في اضطراب الكتاب وتضخمه وأبعده
عن أن يكون مشابهاً لأية نسخة أخرى قديمة أو
حديثة.

(خامساً) وهذا الأمر يتعلق بمواد لغوية انفرد
بها كتاب العين المطبوع، ولم ترد في أهم معجمات
القرن الرابع الهجري، وهي: (١) الجمهرة. (٢)
التهذيب. (٣) الصحاح. (٤) المجمل. (٥) المقاييس.
مع ملاحظة: (أ) ان هذه المواد لم ترد في البارع
للقالى لنقص النسخة المطبوعة. (ب) لم يتيسر لي
معرفة اهمالها أو استعمالها في (المحيط) للصاحب



الحقيقي ونقصان مادته اللغوية واضطرابها، كان عرضة لزيادات النسخ وغيرهم. وهذه الزيادات كانت في الأصل حواشي العلماء واستدراكاتهم على الكتاب، وضعوها لتقريبه من الكمال وتزيل شيئا من اضطرابه. هذه الزيادات كانت في نسخ دون النسخ الأخرى، وقد تبينا هذا من خلال نسخ العلماء، لاسيما أصحاب المعجمات. فنسخة ابن دريد غير نسخة الأزهرى، ونسخة ابن فارس لا تشبه نسخة صاحب بن عباد. كل نسخة من نسخ هؤلاء العلماء تتسم بزيادة في المادة اللغوية أو زيادة في الجذور ونقصانها. وكانت النتيجة أن اختلفوا في المهمل والمستعمل من الجذور. كما تبين لنا أن النسخة المطبوعة انفردت بجذور لغوية لم نجدها في نسخة من نسخ القرن الرابع الهجري. كما زيدت على هذه الطبعة جذور من (مختصر العين) لا توجد في النسخ الأخرى لعلماء هذا القرن ولا في نسخ الكتاب المخطوطة التي وصلت إلينا. هذا الاضطراب الذي ساد نسخ العين طوال هذه القرون يؤكد حقيقة لا يشك فيها أحد، هي أننا أمام كتاب فقد هويته، وليس في مادته ما يساعد على تلمس حقيقة مؤلفه. مما يجعلنا نتردد كثيرا قبل أن ننسبه إلى أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي.

لكون هذه المواد تقع في ما لم يطبع من الكتاب. والمواد المذكورة هي: (تقرر/و/ دسـك/ و/ دقط/ رخذ/ و/ مصك/ و/ مضد/ و/ نحص/ و/ ندخ/ و/ ردق/ و/ زقـد/ و/ ضلج/ و/ غثن/ و/ هـش/ و/ جتل/ و/ ظبأ/) وغيرها مما يمكن أن يكون قد فاتني.

والسؤال هو: إذا كانت هذه المواد (= الجذور) جزء من كتاب العين المروي عن الليث أو الخليل لم أهملتها هذه المعجمات تماما لم تدرجها في متونها مع الإشارة إلى صواب هذا الإدراج أو خطئه؟ ألا يشير إهمال هذه المواد إلى أن نسخ العين التي اعتمدها هؤلاء اللغويون كانت تخلو منها مما جعلهم يتابعون ما في نسخهم؟

ما أراه أن هذه المواد اللغوية وغيرها أدرجت في نسخ العين بعد القرن الرابع الهجري، لاسيما أن الأزهرى، الذي كان يتابع أخطاء الكتاب ويرد عليها ويصحح ما فيها من تصحيف وتحريف، لا تفوته مثل هذه المواد.

لقد دخلت هذه المواد وغيرها، في ظني، في نسخ العين المتأخرة من خلال بعض ردود اللغويين عليه واستدراكهم. ومن هؤلاء الخارزنجي الذي أفاد منه صاحب في (المحيط)، وأبو بكر الزبيدي الذي اختصر العين فأدخل فيه من المواد ما أراد بها أن يتم الكتاب ويبعد عنه النقص. أقول: لقد أفاد النساخ من هذه الردود والاستدراكات فأدخلوها في الكتاب جهلا بمنهج. وعندما وقعت هذه النسخ بأيدي بعض العلماء نقلوا منها ظنا منهم أنها من أصل الكتاب.

الخاتمة

ظهر لنا، من خلال ما طرحه هذا البحث، أن كتاب العين، بسبب عدم روايته عن مؤلفه



الملحق رقم (١) المواد اللغوية المستعملة في (العين) المطبوع
أشارت المعجمات الى اهمالها

المادة اللغوية	موضعها من كتاب العين	المصادر التي أشارت الى اهمالها في (العين)
١- تغر	٣٩٦/٤	البارع ٢٩٣
٢- جضض	٥/٨	تهذيب اللغة ٤٤٦/١
٣- دثث	٥/٦	تهذيب اللغة ٥٩/١٤
٤- زبق	٩٣/٥	تهذيب اللغة ٤٣٨/٨
٥- زغر	٣٨٣/٤	البارع ٢٩٨
٦- زلغ	٣٨٤/٥	العياب (حرف الغين) ٤٤ (ونقل مادته عن التهذيب)
٧- زنج	٧١/٦	تهذيب اللغة ٦٢١/١٠
٨- زهنع	٢٧٩/٢	البارع ١٨٥
٩- سرهد	١٢٠/٤	البارع ٢١١
١٠- سلهب	١٢٢/٤	البارع ٢٠٥
١١- شجذ	٣٠/٦	تهذيب اللغة ٥٢٤/١٠
١٢- صند	١٠٠/٧	تهذيب اللغة ١٤٤/١٢
١٣- ضيز	٥٣/٧	تهذيب اللغة ٥٢/١٢
١٤- عبهل	٢٨٢/٢	البارع ١٨٨
١٥- عئل	١٠٩/٢	تهذيب اللغة ٣٢٨/٢ وسلطونا (المصدر) و (ظهران)
١٦- عضر	٢٧٧/١	تهذيب اللغة ٤٧٢/١
١٧- علهس	٢٧٨/٢	المحيط في اللغة ٢٥٥/٢
١٨- عنش	٢٥٩/١	تهذيب اللغة ٤٣٣/١
١٩- قئل	١٣٧/٥	تهذيب اللغة ٨١/٩
٢٠- قشد	٣٥/٥	التكملة للصغاني ٣٨٨/٢
٢١- قهم	٣٧٢/٣	تهذيب اللغة ٤/٦
٢٢- كذب	٣٣٢/٥	تهذيب اللغة ١٢٥/١٠
٢٣- كوش	٣٨٨/٥	تهذيب اللغة ٣٠٦/١٠
٢٤- لخفا	٢٦٥/٤	تهذيب اللغة ٣٩٢/٧
٢٥- مذع	١٠٤/٢	تهذيب اللغة ٣٢٤/٢
٢٦- معل	١٥٤/٢	المحيط في اللغة ١٢٨/٢
٢٧- مكد	٤٨/٨	تهذيب اللغة ١٣٣/١٤
٢٨- نخط	٢٢٠/٤	تهذيب اللغة ٢٤٠/٧
٢٩- هبش	٤٣/٣	تهذيب اللغة ٩٠/٦
٣٠- هكر	٣٧٥/٣	تهذيب اللغة ١١/٦
٣١- هلبت	١٢٧/٤	البارع ٢١٠

٢٥٨/٢ المحيط في اللغة	٢٨١/٢	٣٢٢- هلمع
١٩٥ اليار ع	١١٨/٤	٣٣- هلمج
٦٠٥/٧ تهذيب اللغة	٣١٥/٤	٣٤- ونج
٢٢٢/٢ المحيط في اللغة	٢٦١/٢	٣٥- وفج

الملحق رقم (٢) المواد اللغوية المهمة في (العين) المطبوع أشارت المعجمات وكتب اللغة الى استعمالها فيه

المادة اللغوية	المصدر	المكان المفترض للمادة في (العين) المطبوع
١- برشقي	البارع ٥٣٢	٢٤٤/٥
٢- تغلق (?)	تهذيب اللغة ٥٨/٢	٢٦١/٥
٣- جاذ	تهذيب اللغة ١١٨/١١	١٧١/٦
٤- جبع	نسخة (الكرمل) المخطوطة، وعتها في طبعة (درويش).	٢٣٧/١
٥- جخجب	شرح مابقع في التصحيف والتحرير ١٢٢/٨٤/١	٢٢٧/٤
٦- جصص	تهذيب اللغة ٤٤٨/١٠	٥/٦
٧- حبا	تهذيب اللغة ٣٣٧/٥	٢٠٨/٣
٨- حتش	تهذيب اللغة ١٧٥/٤	٩١/٣
٩- حكص	تهذيب اللغة ٩١/٤	٥٩-٥٨/٣
١٠- خنن	تهذيب اللغة ٣٢٤/٧	٢٤٤/٤
١١- دشش	تهذيب اللغة ٣٦٨/١	٢١٣/٦
١٢- دعط	تهذيب اللغة ١٩٦/٢	٣٠/٢
١٣- دنس	تهذيب اللغة ٣٦٦/١٢	٢٣٠/٧
١٤- رغب	تهذيب اللغة ١٦٦/١٦، ولعاب (حرف الغين) ٣٩	٢٤٧/٤
١٥- رفج	تهذيب اللغة ٤٨/١١	١٠٩/٦
١٦- زلب	تهذيب اللغة ٢١٠/١٣	٢٦٩/٧
١٧- سمر	الجمهرة ٣٤/٢	٢٠٢/٢
١٨- شقن	تهذيب اللغة ٣٣١/٨	٤٣-٤٢/٥
١٩- شلج	تهذيب اللغة ١٨٣/٤، والتكملة ٥١/١٠٧، ولعاب (حرف لطاء) ١٠٧	٩٤/٣
٢٠- صبيخ	التكملة ١٥٥/٢	١٨٩/٤
٢١- صئر	تهذيب اللغة ١٥٩/١٢	١٠٨/٧
٢٢- صبيس	مقاييس اللغة ٣٨٦/٣ والمجمل ٥٧٢/٢	٥٧٢/٢
٢٣- ضطن	تهذيب اللغة ٤٩١/١١	٢٢/٧
٢٤- ضمغ	البارع ٢٦٩-٢٧٠، والمحكم ٢٤٩/٥، ولعاب (حرف الغين) ٦٠	٣٧٠/٤

٢٥- ضنط	العباب (حرف الطاء) ١١٧	٢٢-٢٢/٧
٢٦- طسق	تهذيب اللغة ٣٩٤/٨	٧٣/٥
٢٧- عبيج	نسخة (الكرمني المخطوطة) ، وعنها في طبعة (ترويش).	٢٢٧/١
٢٨- عضط	الجمهرة ٩٢/٣	١/٢
٢٩- عقس	تهذيب اللغة ١٨١/١	١
٣٠- قاب	تهذيب اللغة ٢٥٣/٩	٢٣١-٢٢٧/٥
٣١- قزبر	التكملة ١٦٦/٣	٢٥٥-٢٥٤/٥
٣٢- قشد	تهذيب اللغة ٣٠٩/٨	٢٣/٥
٣٣- قوع	تهذيب اللغة ٣٣/٣	١٧٤/٢
٣٤- كبص	تهذيب اللغة ٤٣/١٠	٣٠٤-٣٠٣/٥
٣٥- لحت	تهذيب اللغة ٩٦/٤	٦١/٣
٣٦- كحص	تهذيب اللغة ٩١/٤	٥٨-٥٧/٣
٣٧- كذن	تهذيب اللغة ١٦٦/١٠	٢٤٧/٥
٣٨- كسم	تهذيب اللغة ٨٥/١٠	٣١٧/٥
٣٩- كيع	الاقتضاب للبطلبيوسي ١٨٢/٢	١٨٢/٢
٤٠- لضم	تهذيب اللغة ٤٢/١٢	٤٥/٧
٤١- مدج	تهذيب اللغة ٦٧٦/١٠	٩٠/٦
٤٢- نظح	تهذيب اللغة ٤٥٨/٤	١٩٨/٣
٤٣- نفص	تهذيب اللغة ٢٠٥/١٢	١٣٥/٧
٤٤- همن	تهذيب اللغة ٣٣٢/٦	٦٠/٤
٤٥- هنك	تهذيب اللغة ٢٤/٦	٣٧٩/٣
٤٦- ينخ	تهذيب اللغة ١٨٢/٣	٢٤٤/٢
٤٧- يرع	تهذيب اللغة ٥٨٦/٧ والتكملة ١٨٧/٢	٣١٠/٤

هوامش البحث

خلال رواية أبي تراب اسحاق ابن الفرغ (المتوفى مطلع القرن الرابع) عنه، (انظر / مقدمة محقق الجزء ١٦ من كتاب تهذيب اللغة، ص ٥). ذكر عرام في (العين) لا يخرج عن كونه تعليقا على مادته اللغوية، تصويبا او زيادة، مما يدل على انه قد اطلع على نسخة من العين في الخزائن الطاهرية وسجل عليها هذه التعليقات، لا كونه راوية روى عنه الخليل او الليث في الكتاب. وتعليقاته لا تخرج عن مثل هذا التعليق. ففي مادة (خلع) من العين (١١٩/١):

- (١) انظر بحثنا، كتاب العين وموقف علماء اللغة منه حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مقبول للنشر.
- (٢) المصدر نفسه.
- (٣) انظر مقدمة ابن فارس لكتابه (المقاييس في اللغة).
- (٤) تهذيب اللغة ٢٦٤/٢ و ٤١٤/٤ و ٢٧١/٦ و ٢٧٦/١١.
- (٥) هو عرام بن الأصبح الأسلمي (أو السلمي) صاحب كتاب (أسماء جبال تهامة.. المطبوع. قدم مع عبد الله بن طاهر خراسان بعد سنة ٢١٧هـ، وبقي فيها الى منتصف القرن الثالث الهجري، عرفنا ذلك من



(والخليع، من أسماء الغول، قال عرام: هي الخلوع لأنها تخلع قلوب الناس، ولم يعرف الخليع). تعليقات عرام هذه دخلت الكتاب. فيما أرى. بعد وفاة الليث. (٦) ولم ترد في (البارع) للقيالي، لنقص النسخة المخطوطة التي طبع عليها الكتاب، كما تقع هذه المادة في ما لم يطبع من كتاب (المحيط) للصاحب بن

عباد. (٧) نعمة رحيم العزاوي: أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في اللغة والنحو، ص ٤٦٥. (٨) هذه المواد اللغوية لم ترد في نسخة البارع المطبوعة، لأنها طبعت عن نسخة مخطوطة ناقصة، كما أسلفنا.



مصادر البحث ومراجعته

١. أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في اللغة والنحو: د. نعمة رحيم العزاوي النجف الأشرف ١٩٧٥
٢. الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: لابن السيد البطلاني، بغداد. وزارة الثقافة والاعلام ١٩٩٠ (طبعة مصورة عن الطبعة المصرية)
٣. البارع في اللغة: لأبي علي القالي، تحقيق: د. هاشم الطعان، بيروت ١٩٧٥.
٤. التكملة والذيل والصلة: للحسن بن محمد الصفاني، تحقيق: عبد العليم الطحاوي وآخرين، القاهرة (مجمع اللغة العربية) ١٩٧٠، ١٩٧٩.
٥. التنبيه على حدوث التصحيف: لحمزة الاصفهاني، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد (مكتبة النهضة) ١٩٦٧
٦. تهذيب اللغة: لأبي منصور الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون وآخرين، ١٥ جزء، القاهرة (الدار المصرية) ١٩٦٤ وما بعدها. وهناك جزء مستدرك على التهذيب بتحقيق: د. رشيد العبيدي، رمزنا له بالجزء السادس عشر. طبع في الدار نفسها ١٩٧٥.
٧. جوهرة اللغة: لأبي بكر بن دريد، تحقيق: فريتر كنكو، الهند (حيدرآباد) ١٣٤٤هـ.
٨. شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: لأبي أحمد العسكري، تحقيق: د. السيد يوسف، دمشق (مجمع اللغة العربية) ١٩٨١
٩. الصحاح في اللغة: لأبي نصر الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٩٥٦.
١٠. العباب الزاخر واللباب الفاخر: للصفاني، تحقيق: الشيخ

- محمد حسن آل ياسين، بغداد (وزارة الثقافة والاعلام) ١٩٧٧-١٩٨٧، ظهر منه: حرف الهمزة، والسين، والطاء، والغين، والفاء.
١١. العين: للخليل بن أحمد الكراهيدي (٩)، تحقيق: د. مهدي المخزومي. ود. إبراهيم السامرائي، بغداد (وزارة الثقافة والاعلام) ٨٠، ١٩٨٥.
 ١٢. الجزء الأول منه بتحقيق: د. عبد الله درويش، بغداد ١٩٦٧.
 ١٣. فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: لأبي عبيد البكري، تحقيق: د. احسان عباس ود. عبد المجيد عابدين، بيروت ١٩٧١
 ١٤. مجمل اللغة: لأحمد بن فارس، تحقيق: زهير عبد الحسن سلطان، بيروت ١٩٨٤.
 ١٥. المحكم والمحيط الأعظم في اللغة: لابن سيدة، تحقيق: مصطفى السقا ود. حسين نصار وآخرين، القاهرة (معهد المخطوطات) ١٩٥٨، ١٩٧٢، الأجزاء: (٦١).
 ١٦. المحيط في اللغة: للصاحب بن عباد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد (وزارة الثقافة والاعلام) ١٩٨٧، ١٩٨٨ (ظهرت منه ثلاثة أجزاء).
 ١٧. مختصر العين: لأبي بكر الزبيدي الأشبيلي، تحقيق: د. صلاح مهدي الفرطوسي، بغداد (وزارة الثقافة والاعلام) ١٩٩١ (الجزء الأول).
 ١٨. المخصص: لابن سيدة، بولاق (الطبعة الاميرية) ١٣١٦هـ.
 ١٩. مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٩ وما بعدها.



إِذَنْ

حقيقتها وأحكامها وكيفية كتابتها

المرحوم

الدكتور محمود جاسم الدرويش

المقدمة

إذن: من الحروف التي تنصب الفعل المضارع بنفسها مباشرة لا بحرف آخر ظاهر أو مقدر. وقد تباينت آراء علماء النحو في (إذن)، في مادتها وفي معناها وفي أحكامها وفي كيفية كتابتها. وقد وجدت من المناسب أن أخص (إذن) ببحث نقض فيه على دقائقها، وبيان آراء النحاة فيها.

وسأحاول أن أذكر آراء النحاة في كل فقرة من فقرات البحث، ثم أرجح الرأي الذي أراه أفضل من غيره أو ما هو أقرب إلى العقول. ودارسو النحو قيل غيرهم يدركون أن هناك بونا كبيرا بين ما وضعت النحاة من أفكار مغرقة في الاستدلال والتعليل والتخيل المستند إلى مقولات المنطق أو علم الكلام، وبين ضرورات التطور اللغوي بوصفه واقعا حيا يتطور بتطور المجتمعات ذاتها.

أرجو من الله تعالى أن يوفقني في بحثي هذا وأن يجعله نافعا

نوعها (١)

مذهب جمهور النحاة أن (إذن) حرف بسيط^(١). وقال بعض الكوفيين إنها اسم^(٢). وقال أبو حيان الأندلسي: إنها ظرف^(٣). وقال سيبويه^(٤): إنها حرف جامد. وقيل إنها بسيطة غير مركبة^(٥). وقال الخليل^(٦): إنها مركبة من (إذ) و (أن)، وغلب عليها حكم الحرفية. وقيل: إنها مركبة من

(إذا) و (أن)^(٧). والأصل في: إذن أكرمك، إذا جئتني أكرمك، ثم حذفت الجملة وعوض التنوين منها وأضمرت (أن). وقال ابن هشام^(٨): وعلى القول الأول فالصحيح أنها بسيطة لا مركبة من (إذ) و (أن)، وعلى البساطة فالصحيح أنها الناصبة بنفسها لا ب (أن) مضمرة بعدها. وهذا ما ذهب إليه المرادي^(٩) أيضا.

وقال سيبويه^(١٠): إنها حرف جواب وجزاء. أقول: إن (إذن) حرف بسيط غير مركب ذو حروف ثلاثة، ينصب الفعل المضارع بنفسه، وما جاء من آراء تقول بتركيبها فهي غير مستندة إلى أدلة عقلية، وهي من باب التخيل والتعقيد.

معناها:

تدل (إذن) على أمرين هما: الجواب، وهذا يلزمها دائما في كل استعمالاتها. والجزاء، وهذا يلزمها في الأغلب^(١١).

قال سيبويه^(١٢): وأما (إذن) فجواب وجزاء. وقال

الشلوبين^(١٣): هي كذلك في كل موضع. وقال أبو علي

الفارسي^(١٤): في الأكثر، وقد تتمخض للجواب بدليل أنه يقال: أحبك، فتقول: إذن أظنك صادقا، إذ لا مجازاة هنا. وقال الرضي: لأن الشرط والجزاء إنما في الاستقبال أو في الماضي، ولا مدخل للجزاء في الحال.

وقال ابن هشام^(١٥): والأكثر أن تكون جوابا لأن أولو ظاهرتين أو مقدرتين، فالأول، كقول كثير عزة^(١٦):

لَبْنُ عَادِلِي عَبْد الْعَزِيزِ بِمَثَلِهَا

وَأَمَكْنِي مِنْهَا إِذْنٌ لَا أَقِيلُهَا

وَقُلُ الْحَمَاسِي^(١٨):

لَوْ كُنْتُ مِنْ مَا زِنْ لَمْ تَسْتَجِبْ إِبْلِي

بَنُو اللَّقِيطَةِ مِنْ ذَهْلِ بْنِ شَيْبَانَ

إِذْنٌ لِقَامٍ بِنَصْرِي مَعْشَرُ خُشْنٍ

عِنْدَ الْحَفِيطَةِ إِنْ ذُو لَوْثَةٍ لَا تَا

قال ابن هشام^(١٩): فقوله (إِنَّ لِقَامٍ بِنَصْرِي) بدل من (لَمْ تَسْتَجِبْ)، وبديل الجواب جواب. وقال عبد القادر البغدادي^(٢٠): إِنْ (إِذْنٌ) متضمنة لمعنى الشرط، وإذا كانت بمعنى الشرط الماضي جاز إجراؤها مجرى (لَوْ) في إدخال اللام في جوابها^(٢١). فجملة (لِقَامٍ) جواب (إِذْنٌ)، كأنه قيل: ولو استباحوا إبلي مع كوني من بني مازن لقام بنصري. والثاني^(٢٢): نَحْوُ أَنْ يُقَالَ: آتِيكَ، فَتَقُولُ: إِذْنٌ

أَكْرَمَكَ، أَيْ: إِنْ أَتَيْتَنِي إِذْنٌ أَكْرَمَكَ، وَقَالَ تَعَالَى: ((مَا

أَتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْنٌ لَذَهَبَ كُلُّ

إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ))^(٢٣).

قال الفراء^(٢٤): حيث جاءت بعدها اللام فقبلها (لَوْ) مقننة إن لم تكن ظاهرة.

والمراد من أنها للجزاء. غالباً. دلالتها على أن الجملة التي تحتويها تكون في الغالب مسببة عما قبلها، وتعد أنشأ من آثاره، توجد بوجوده وترتبط به عادة، فإن لم يوجد بين الجملتين جزاء لم يصح. في الغالب. مجيء إِذْنٌ، كأن يقول الصديق: سأغضي عن الهفوة، فتجيب: إذا ينزل المطر، إذ لا علاقة ولا ارتباط بين المعنى في الجملتين، فالكلام

لغو^(٢٥).

وَأَنَا أَذْهَبُ إِلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ سَبْيُوهِ مِنْ أَنَّهَا تَكُونُ جَوَاباً وَجِزَاءً (فَقَدْ يَجْتَمِعُ فِيهَا هَذَانِ، وَقَدْ يَنْفَرِدُ أَحَدُهُمَا، فَإِذَا قُلْتُ لِمَنْ قَسَالُكَ: أَنَا أَزُورُكَ، إِذْنٌ أَكْرَمَكَ، فَهَذَا جَوَابٌ وَجِزَاءٌ، وَإِذَا قُلْتُ لَكَ: إِذْنٌ أَزُورُكَ، فَهِيَ جَوَابٌ خَاصَّةٌ)^(٢٦).

عملها^(٢٧):

إِذْنٌ حَرْفٌ يَنْصَبُ الْفِعْلَ الْمَضارعَ بِنَفْسِهِ مَبَاشَرَةً، وَتَخْلِيصُ زَمَنِهِ لِلْاِسْتِقْبَالِ، كَسَائِرِ الْأَدَوَاتِ النَّاصِبَةِ لَهُ.

ومذهب سيبويه^(٢٨) أَنْ (إِذْنٌ) هِيَ الْعَامِلَةُ النَّاصِبَةُ. وَ (إِذْنٌ) تَنْصِبُ الْفِعْلَ الْمَضارعَ وَجَوَاباً إِذَا اجْتَمَعَتْ

شُرُوطُ أَرْبَعَةٍ:

١. أَنْ يَكُونَ الْفِعْلُ مُسْتَقْبِلاً، فَإِذَا كَانَ حَالاً رُفِعَ، كَقَوْلِكَ لِمَنْ يَحْدُثُكَ: إِذْنٌ أَظُنُّكَ صَادِقاً، لِأَنَّ هَذَا الظَّنَّ لَيْسَ أَمراً سَيَتَحَقَّقُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَإِنَّمَا هُوَ قَائِمٌ حَاصِلٌ وَقَدْ الْإِجَابَةِ، فَرَمَنَةٌ حَالِيَّةٌ، وَفِي هَذَا تَكُونُ (إِذْنٌ) مَلْغَاةَ الْعَمَلِ.

٢. دَلَالَتُهَا عَلَى جَوَابٍ حَقِيقِيٍّ بَعْدَهَا، أَوْ مَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْجَوَابِ. هَالِ سَبْيُوهِ^(٢٩): أَعْلَمُ أَنْ (إِذْنٌ) إِذَا كَانَتْ جَوَاباً وَكَانَتْ مُبْتَدَأَةً عَمِلَتْ فِي الْفِعْلِ عَمَلُ أَرَى فِي الْأِسْمِ، إِذَا كَانَتْ مُبْتَدَأَةً وَذَلِكَ قَوْلُكَ: إِذْنٌ أَجِيْتُكَ، وَإِنْ آتَيْكَ، وَذَلِكَ أَيْضاً قَوْلُكَ: إِذْنٌ وَلِلَّهِ أَجِيْتُكَ، وَالْقِسْمُ هَاهُنَا بِمَنْزِلَتِهِ فِي أَرَى إِذَا قُلْتُ: أَرَى وَاللَّهِ زَيْدًا فَاعِلًا.

٣. أَنْ تَكُونَ مُصَدَّرَةً فِي أَوَّلِ الْجَوَابِ، لِأَنَّهَا حِينَمَا تُشْرَفُ مُحَالًا، فَإِنْ تَأَخَّرَتْ أُلْغِيَتْ حَتْمًا نَحْوُ: أَكْرَمَكَ إِذْنٌ، وَأَنْ لَا يَرْتَبِطَ مَا بَعْدَهَا بِمَا قَبْلُهَا فِي الْإِعْرَابِ، بِالرَّغْمِ مِنْ ارْتِبَاطِهَا فِي الْمَعْنَى. وَإِنْ تَوَسَّطَتْ وَافْتَقَرَتْ مَا قَبْلُهَا لِمَا بَعْدَهَا، مِثْلُ أَنْ تَتَوَسَّطَ بَيْنَ الْمُبْتَدَأِ وَخَبَرِهِ، وَبَيْنَ الشَّرْطِ وَجِزَائِهِ، وَبَيْنَ الْقِسْمِ وَجَوَابِهِ، وَجِبَ الْغَاوُهَا أَيْضاً كَالْمُتَأَخَّرَةِ. وَشَدَّ النَّصْبُ بِـ (إِذْنٌ) بَيْنَ خَبَرٍ وَذِي خَبَرٍ فِي قَوْلِ الرَّاجِزِ^(٣٠).

لَا تَرْكَبِي فِيهِمْ شَطِيرًا^(٣١)

إِبْنِي إِذْنٌ أَهْلِكَ أَوْ أَطِيرَا

وقد أجاز ذلك الكسائي^(١)، والفراء^(٢) حيث قال: وقد تنصب العرب بـ (إذا) وهي بين الاسم وخبره في إن وحدها، فيقولون: إني إذا ضربتك، وإنما جاز في (إن) ولم يجز في المبتدأ بغير (إن) لأن الفعل لا يكون مقدماً في (إن) وقد يكون مقدماً لو أسقطت. وفي هذا فإن الفراء يجيز النصب والرفع، ويبدو لي أن الفراء يؤيد النصب هنا. وتأوله البصريون^(٣) على حذف خبر (إن)، والتقدير: إني لا أقدر على ذلك، ثم استأنف قوله: إذن اهلك، فنصبت.

وان تقدمها حرف عطف^(٤) ففيها وجهان: الإلغاء والاعمال، والإلغاء أجود، وبه قرأ السبعة^(٥): ((وإذا لا يلبثون)) مرفوعة، لأن فيها الواو، وإذا كانت الواو كان في الواو فعل مضمر، وكان معنى (إذن) التأخير، أي: ولو فعلوا ذلك لا يلبثون خلافاً لإقليلاً إذا. وفي بعض الشواذ^(٦): ((وإذا لا يلبثوا)) على الإعمال، بطرح النون، يراد بها النصب.

قال الفراء^(٧): وذلك جائز، لأن الفعل متروك، فصارت كأنها لأول الكلام وإن كانت فيها الواو.

وقال الأخفش^(٨) في قوله تعالى ((فإذن لا يؤتون الناس نقيراً))^(٩): إنما رفع لأن معتمد الفعل صار على الفاء، ولم يحمل على (إذن) فكأنه قال: فلا يؤتون الناس إذا نقيراً. وقال في قوله تعالى: ((وإذا لا تمتعون إلا قليلاً))^(١٠): فرفعت ما بعد (إذن) لكان الواو^(١١).

٤. ألا يفصل بينها وبين الفعل بغير القسم، فإن فصل بينهما بغيره ألغيت، نحو: إذن زيد يكرمك، وإن فصل بالقسم لم يعتبر نحو: إذن والله أكرمك^(١٢)، فالقسم هاهنا لا يبعد حاجزاً، كما لا يبعد حاجزاً بين المضاف والمضاف إليه كقول العرب: هذا غلام - والله - زيد.

قال ابن مالك^(١٣): فأضاف الغلام إلى زيد ولم يعتد بوقوع القسم بينهما، قال: حكى ذلك الكسائي. وقال:

واغتفر ذلك في (إذن) لأنها غير ممتزجة بما تعمل فيه امتزاج غيرها.

وأجاز ابن عصفور^(١٤) الفصل بالظرف نحو: إذن غداً أكرمك.

وأجاز ابن بابشاذ^(١٥) الفصل بالنداء والدعاء نحو: إذن يا زيد أحسن إليك، وإذن. يغفر الله لك. يدخلك الجنة. وقال المرادي^(١٦): ولم يسمع شيء من ذلك فالصحيح منعه.

وأنا أذهب إلى ما ذهب إليه ابن عصفور وابن بابشاذ اللذان جوزا الفصل بالظرف وبالنداء والدعاء، وذلك لأن (إذن) غير ممتزجة بما تعمل فيه امتزاج غيرها، كما قال ابن مالك:

وأجاز الكسائي وابن هشام الفصل بمعمول الفعل^(١٧)، وفي الفعل حينئذ وجهان: الاختيار عند الكسائي لنصب، وعند هشام الرفع.

وقد روي أن بعض العرب يلغي (إذن) مع استيفاء الشروط، وهي لغية حكاه عيسى بن عمر^(١٨) وسيبويه، قال سيبويه^(١٩): وزعم عيسى بن عمر أن ناساً من العرب يقولون: إذن أفعل ذلك، في الجواب، وقال سيبويه ذلك: فأخبرت يونس^(٢٠) بذلك فقَالَ: لا تبعدن ذا، ولم يكن ليروي إلا ماسم، جعلوها بمنزلة هل وبلى، إهمالها.

وتهمل (إذن) إذا كانت حشواً في الكلام بأن يعتمد ما بعدها على ما قبلها، وذلك في المسائل الآتية: وقد ذكر في التصريح^(٢١) أنها تهمل في ثلاث مسائل، وذكر ثعلب في مجالسه^(٢٢) مسألة رابعة، ثم ذكر ابن عصفور مسألة خامسة في مقربه^(٢٣) وإليك المسائل التي تهمل فيها (إذن):

١. أن يكون ما بعدها خبراً عما قبلها نحو: أنا إذن أكرمك، ألغيت (إذن) لوقوعها بين شيئين متلازمين.
٢. أن يكون جواباً لشرط قبلها نحو: إن تأنى إذن أكرمك.
٣. أن يكون جواب قسم قبلها مذكور نحو: والله إذن لا أخرج، أو مقدر كقول كثير عزة:

لبن عادلي عبد العزيز بمثلها

وأمكنني منها إذن لا أقبلها

برفع أقبلها، لأن (إذن) لم تتصنر لكونها جواب قسم مقدر، والتقدير: والله لبن، وجواب الشرط محذوف، وأهملت (إذن) لوقوعها بين القسم وجوابه، لا بين الشرط وجوابه.

ثم إذا وليت (إذن) الأسماء بـ طلت نحو: إذن أنت طالق، تأويلها التأخير، على معنى: أنت طالق إذن، وكذلك قولهم: إذن زيد قائم^(٣٢).

ولا تعمل (إذن) في الفعل الماضي أو الحال. قال ابن عصفور^(٣٣): والفعل الذي بعدها إن كان ماضياً أو حالاً لم تعمل فيه. حكمها^(٣٤):

١. (إذن) ثلاثة أحوال:

الأول: أن تكون عاملة كقول القائل: أنا أزورك، فتقول له: إذن أكرمك، فقد أجبت كلامه وجازيته، وتقيد بأن تتقدم ويعتمد الفعل عليها، ويكون مضارعاً.

الثاني: أن يجوز إعمالها وإلغاؤها، وذلك أن تقع في العطف ذات وجهين، كقولك: زيد يقوم وإذن يخرج، إن عطفت على الجملة الكبرى نصبت، وإن عطفت على الجملة الصغرى رفعت^(٣٥).

الثالث: أن تلقى لا غير، وذلك أن تقع بين شيئين، أحدهما طالب الآخر، كقولك: زيد إذن يخرج. الوقف على (إذن):

اختلف النحويون في الوقف^(٣٦) على (إذن)، فذهب الجمهور إلى أنها يوقف عليها بالألف لشبهها بتنوين النصب، وقال المازني والمبرد: إنه يوقف عليها بالنون، لأنها بمنزلة (أن) و (لن)^(٣٧). وقال ابن السراج^(٣٨): تبدل الألف من النون في قولك: إذن أتيك، فإذا وقفت قلت: إذا، وكذلك في

قوله تعالى: ((وإذن لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً))^(٣٩)، إذا وقفت عليها قلت: إذا.

أقول: يوقف على (إذن) بالنون، ولا تبدل نونها ألفاً، لأنها ليست بمنزلة التنوين الذي يوقف عليه بالألف، إنما النون في (إذن) حرف أصلي من حروف الكلمة فلا يبدل ألفاً عند الوقف. كتابتها

اختلف النحويون أيضاً في كتابتها أو في رسمها على ثلاثة مذاهب.

أحدهما: أنها تكتب بالألف، قيل: وهو الأكثر، وكذلك وردت في المصحف الشريف، ونسب هذا القول إلى المازني^(٤٠). ولكن نقل عنه أنه إذا وقف عليها كتبت بالنون. قال المرادي^(٤١): وهذا القول فيه نظر لأنه إذا كان يرى الوقف عليها بالنون، كما نقل عنه فلا ينبغي أن يكتبها بالألف. ونقل أيضاً عن الفراء^(٤٢) أنه أجاز أن تكتب بالألف.

الثاني: أنها تكتب بالنون، قيل: وإليه ذهب المبرد^(٤٣) والأكثر. ونقل عن المبرد أنه قال: أشتي أن أكوي يد من يكتب (إذن) بالألف، لأنها مثل (أن) و (لن). ولما كانت (إذن) حرفاً لا يدخلها التنوين، لأن التنوين لا يدخل في الحروف^(٤٤).

وقال مكي بن أبي طالب القيسي^(٤٥): لا يجوز عند حذاق النحويين أن تكتب (إذن) إلا بالنون، لأنها مثل (لن)، وليس في الحروف تنوين. أقول: فإذا كانت نونها أصلية لا يجوز إبدالها ألفاً، قال السمين الحلبي^(٤٦) في حديثه عن (إذن): ونونها أصلية.

الثالث: التفصيل: فإن كانت (إذن) عاملة كتبت بالنون لقوتها وإن كانت ملغاة كتبت بالألف لضعفها. قال الفراء^(٤٧): لا يخلو أن تكون ملغاة أو معملة، فإن كانت ملغاة كتبت بالألف لأنها قد ضعفت، وإن كانت معملة كتبت بالنون، لأنها قد قويت.

- (١) ينظر: ارتشاف الضرب ٢/٢٩٥ المساعد ٢/٧٤، مغني اللبيب ٣٠، موسوعة الحروف ٨٢، النحو الوافي ٤/٢٠٨.
- (٢) ارتشاف الضرب ٢/٢٩٥.
- (٣) المساعد ٢/٧٤.
- (٤) ارتشاف الضرب ٢/٢٩٥.
- (٥) الكتاب ٢/١٣.
- (٦) المساعد ٢/٧٤، النحو الوافي ٤/٢٠٨.
- (٧) المساعد ٢/٧٤.
- (٨) المساعد ٢/٧٤.
- (٩) مغني اللبيب ٢٠.
- (١٠) الجنى الداني ٢٥٧.
- (١١) الكتاب ٤/٢٢٤.
- (١٢) المساعد ٢/٧٥، موسوعة الحروف ٨٢، ٨٤، النحو الوافي ٤/٢٠٨.
- (١٣) الكتاب ٤/٢٢٤.
- (١٤) التصريح ٢/٢٢٤.
- (١٥) التصريح ٢/٢٢٤.
- (١٦) مغني اللبيب ٣٠.
- (١٧) الخزانة ٨/٤٤٧.
- (١٨) الخزانة ٨/٤٤٥، ٤٤٦.
- (١٩) مغني اللبيب ٣٠، الخزانة ٨/٤٤٧.
- (٢٠) الخزانة ٨/٤٤٦.
- (٢١) لو: حقيقتها وأحكامها (بحث للمؤلف لم ينشر) ص ١٤.
- (٢٢) مغني اللبيب ٣١، الخزانة ٨/٤٤٧.
- (٢٣) المؤمنون ٩١.
- (٢٤) معاني الفراء ١/٢٧٤، الخزانة ٨/٤٤٧.
- (٢٥) النحو الوافي ٤/٢٠٩.
- (٢٦) شرح جمل الزجاجي ٢/١٧١.
- (٢٧) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/٢٧٢، الجنى الداني ٢٥٥، ابن يعيش ٩/١٤، شرح الكافية الشافية ٢/١٥٢٥.
- (٢٨) النكت ١/٦٩٨، وينظر: المساعد ٢/٧٢، اعراب القرآن للنحاس ١/٤٦٣.
- (٢٩) الكتاب ٢/١٢.
- (٣٠) معاني القرآن للفراء ١/٢٧٤، المقرب ٢٨٧، الخزانة ٨/٤٥٦.
- (٣١) الشطير، الغريب.
- (٣٢) المساعد ٢/٧٦.
- (٣٣) معاني القرآن ٢/٢٢٨، المساعد ٢/٧٦.
- (٣٤) الانصاف ١/١٧٧، ١٧٩.
- (٣٥) المساعد ٢/٧٥.
- (٣٦) السبعة ٢٨٢، مختصر الشواذ ٧٧.
- (٣٧) الاسراء ٧٦.
- (٣٨) مختصر الشواذ ٧٧، البحر المحيط ٦/٦٦.
- (٣٩) معاني القرآن، ٢/٢٢٧، ٢٢٨.
- (٤٠) معاني القرآن ١/١٢١.
- (٤١) النساء ٥٢.
- (٤٢) الأحزاب ١٦.
- (٤٣) معاني القرآن ٢/٤٤٢.
- (٤٤) شرح الكافية الشافية ٢/١٥٣٦.
- (*) الجنى الداني ٢٥٦.
- (٤٥) المقرب ٢٨٧، ارتشاف الضرب ٢/٢٩٧، الأشموني ٢٨٩/٢.
- (٤٦) التصريح ٢/٢٢٥، الأشموني ٢/٢٨٩.
- (٤٧) الجنى الداني ٢٥٦.
- (٤٨) ارتشاف الضرب ٢/٢٩٧، التصريح ٢/٢٢٥، الأشموني ٢/٢٨٩.
- (٤٩) ارتشاف الضرب ٢/٢٩٦.
- (٥٠) الكتاب ٢/١٦، وينظر: كتاب الحل ٢٦٥، ٢٦٦.
- (٥١) هو يونس النحوي المشهور ١٨٢هـ.
- (٥٢) التصريح ٢/٢٢٤، وينظر: معاني النحو ٢/٢٣٧.
- (٥٣) مجالس ثعلب ١/٣٦٦.
- (٥٤) المقرب ٢٨٦.
- (٥٥) مجالس ثعلب ١/٣٦٦.

- (٥٦) المقرّب ٢٨٦.
 (٥٧) ينظر: الغرة المخفية ١/١٦٢.
 (٥٨) الغرة المخفية ١/١٦٢.
 (٥٩) ينظر: الأصول ٢/٢٥٥، الجنى الداني ٢٥٨،
 موسوعة الحروف ٨٨.
 (٦٠) الجنى الداني ٢٥٨، شرح الرضي ٢/٢٣٨.
 (٦١) الأصول ٢/٢٥٥.
 (٦٢) الاسراء ٧٦.
 (٦٣) ينظر: الجنى الداني ٢٥٩، شرح جمل الزجاجي
 ١٧٠/٢.

- (٦٤) الاقتضاب ٢/١٢٤.
 (٦٥) الجنى الداني ٢٥٩.
 (٦٦) أي، ان الذي يرى هو المازني.
 (٦٧) مشكل اعراب القرآن ١/٢٠٠.
 (٦٨) الاقتضاب ٢/١٢٤.
 (٦٩) اعراب القرآن للنحاس ١/٢٦٢.
 (٧٠) مشكل اعراب القرآن ١/٢٠٠.
 (٧١) الدر المصون ٦/٤.
 (٧٢) شرح جمل الزجاجي ٢/١٧٠.
 (٧٣) شرح جمل الزجاجي ٢/١٧٠.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
 - ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان الأندلسي ت
 ٧٤٥هـ، تحقيق د. مصطفى أحمد النعاس، مطب المدني، مصر
 ١٩٨٧.
 - الأصول في النحو: ابن السراج، محمد بن سهل، ت ٢١٦هـ،
 تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت
 ١٩٨٥.
 - اعراب القرآن: أبو جعفر النحاس، أحمد بن محمد، ت
 ٢٢٨هـ، تحقيق د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت
 ١٩٨٥.
 - الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ابن السيد البطليوسي، عبد
 الله بن محمد، ت ٥٢١هـ، تحقيق: مصطفى السقاود، حامد
 عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨١.
 - البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، مطب السعادة بمصر
 ١٣٢٨هـ.
 - الجنى الداني في حروف المعاني: المرادي، حسن بن قاسم، ت
 ٧٤٩هـ، تحقيق طه محسن، مطب جامعة الموصل ١٩٧٦.
 - خزانة الأدب: البغدادي، عبد القادر بن عمر، ت ١٠٩٢هـ،
 تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧٩-١٩٨٢.
 - الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي، أحمد
 ابن يوسف، ت ٧٥٦هـ، تحقيق د. أحمد محمد، الخراط، دار
 القلم، دمشق.
 - السبعة في القراءات: ابن مجاهد، أحمد بن موسى، ت ٢٢٤هـ،
 تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٨٠.
 - شرح الأشعوني على ألفية ابن مالك، مع (حاشية الصبان)
 دار إحياء الكتب العربية.
 - شرح التصريح على التوضيح: الأزهر، خالد، ت ٩٠٥هـ،
 دار إحياء الكتب العربية.
 - شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الاشبيلي، ت ٦٦٩هـ،
 تحقيق د. صاحب أبو جناح، بغداد ١٩٨٠.
 - شرح الرضي (شرح شافية ابن العاجب): رضي الدين
 الاسترأبادي، ت ٦٨٨هـ، تحقيق محمد نور الحسن، محمد
 الزخارف، محمد محي الدين عبد الحميد، مطب حجازي
 بالقاهرة.
 - شرح الكافية الشافية: ابن مالك، جمال الدين، ت ٦٧٢هـ،
 تحقيق د. عبد المنعم أحمد هريدي، مكة المكرمة ١٩٨٢.
 - شرح المفصل: ابن يعيش، يعيش بن علي، ت ٦٤٢هـ،
 الطباعة المنيرية مصر.
 - الغرة المخفية في شرح النزهة الألفية: ابن الخباز، ت ٦٢٩هـ،
 تحقيق حامد محمد العبدلي، بغداد ١٩٩٠، مطب العاني.
 - الكتاب: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، ت ١٨٠هـ،
 تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٦٦-١٩٧٧.
 - كتاب الخلل في إصلاح الخلل من كتاب الجمل: ابن السيد
 البطليوسي، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودي.
 - لو: حقيقتها وأقسامها: د. محمود جاسم النرويش (بحث
 لم ينشر).
 - مجالس ثعلب: ثعلب أحمد بن يحيى، ت ٢٩١هـ، تحقيق عبد

- المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد
الباقي، دار مطابع الشعب.
- مغني اللبيب: ابن هشام الأنصاري، ت ٧٦١هـ، تحقيق د. مازن
المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت ١٩٧٩.
- المقرئ: ابن عصفور، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري
وعبد الله الجبوري، مطب العاني، بغداد، ١٩٨٦.
- موسوعة الحروف في اللغة العربية، د. أميل بديع يعقوب،
دار الجيل، بيروت ١٩٨٨.
- النحو الوافي: عباس حسن، دار المعارف بمصر.
- النكت في تفسير كتاب سيبويه، الأعلام الشنتمري، يوسف بن
سليمان، ت ٤٧٦هـ، تحقيق زهير عبد الحسن سلطان، الكويت
١٩٨٧.

السلام هارون، دار المعارف بمصر.
- مختصر الشواذ: ابن خالويه، الحسين بن أحمد، ت ٣٧٠هـ،
برجستراسر دار الهجرة.
- المساعد على تسهيل الفوائد، ابن عقيل، بهاء الدين، ت
٧٦٩هـ، تحقيق د. محمد كامل بركات، دار الفكر، دمشق
١٩٨٠-١٩٨٤.
- مشكل إعراب القرآن: أبو طالب القيسي، مكّي، ت ٤٣٧هـ،
تحقيق د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت
١٩٨٤.
- معاني القرآن: الفراء، يحيى بن زياد، ت ٢٠٧هـ، عالم
الكتب، بيروت ١٩٨٣.
- معاني النحو: د. فاضل السامرائي، مطب التعليم العالي،
الموصل ١٩٨٧.



ثورة الزنج والتأسيس النظري لها وواقعها العملي

ياسر جاسم قاسم

وينتهي نسبه في قبيلة عبد القيس^(١) وذكر عنه، كان يقول ((إن جدي محمد بن حكيم من أهل الكوفة أحد الخارجين على هشام بن عبد الملك مع زيد بن علي بن الحسين فلما قتل زيد هرب ولحق بالري^(٢) وبعد الصفدي في مخطوطته الوافي بالوفيات أول كاتب يذكر لصاحب الزنج كنية هي ((أبو الحسن)) كما نقل الرواية الجديدة التي يذكرها عن نسب والدته صاحب الزنج وقصة مجيء والد علي إلى ورزنيين فيقول: أنها قرعة بنت عبد الواحد ابن محمد الشامي والدها كان معتاداً على الحج سنوياً إلى مكة ثم أنه كان يمر بالمدينة حيث ينزل على شيخ من آل أبي طالب حاملاً له الهدايا من الري وحدث أنه في سنة من السنين وجد الشيخ متوفياً تاركاً ابنه محمداً وعمره آنذاك ١١ سنة وقد عرض والد القرعة على الصبي مرافقته إلى الري ولكنه رفض لعدم موافقة والدته واخته. وفي السنة التالية وجد عبد الواحد والد القرعة الطفل محمداً وحيداً إذ توفيت والدته واخته ولذلك فإنه جاء به إلى قرية ورزنيين وزوجه بابنته قرعة فولدت له ابنتين مائتا صغيرتين وولداً اسماه علياً وهو قائد الزنج ولم يستمر زواجهما طويلاً فقد فارقت قرعة لأن محمداً كان متلاًفاً وتزوج عليها جارية اشتراها، وقد أخذ ابنه علياً معه وبعد سنين عديدة رجع إلى أمه في ورزنيين إثر وفاة والده، وأقام معها ردهاً من الزمن، ثم ذهب إلى خراسان حيث بقي هناك سنتين رجع بعدهما مرة أخرى إلى ورزنيين ليبقى فترة، ثم يغيب عنها نهائياً إلى أن أعلن ثورته ونجح فيها فدعا والدته إلى المجيء إلى البصرة غير أنها رفضت ذلك^(٣).

وبعض المصادر تشير إلى أن أصله فارسي كما أسلفت

حالة الرق حالة قديمة لم تستطع الأديان التي تنادي بحرية الناس القضاء عليها، ومن ضمنها الدين الإسلامي حيث حاول الإسلام جاهداً القضاء عليها ولكن لم يتم ذلك له، بسبب تغلغل الحالة داخل الجسد العربي آنذاك. لذلك حاول بالتدريج ولم ينجح حيث استمرت حالة الرق حتى عصور متأخرة من العصر الحديث. إن الضعيف عندما يسيطر عليه القوي ويذيقه شتى أنواع المراتة فإن الضعيف يتحين الفرص للقضاء على القوي أو لرد اعتباره نوعاً ما. وبالتالي نفهم أن ثورة الزنج قد حدثت نتيجة هذه المعادلة تحين الفرص للقضاء على الغني. وإذا أردنا أن نعرف أي ثورة هي علينا التعريف بصاحبها وهذه نقطة هامة للغاية حيث يعد صاحب الثورة ومفجرها والمعروف بـ ((صاحب الزنج)) وهو اللقب الذي أطلقه المؤرخون على علي بن محمد الذي ظهر في فرات البصرة سنة ٢٥٥هـ فقاد الزنج في ثورتهم الكبرى التي دامت نحواً من أربع عشرة سنة ((٢٥٥هـ - ٢٧٠هـ)) وفي الكلام على نسبه فهناك من يزعم أنه فارسي، أما الرجل فهو ينسب نفسه على لسانه فيقول ((أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب))^(٤) وهناك من المؤرخين من يقول إنه غير نسبه مرات عدة فالطبري في الجزء الثالث ١٧٤٢ يقول: أنه ادعى أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله ابن العباس بن علي بن أبي طالب وهذه مسألة هامة في تحديد شخصه وماهيته وفي الاعتقاد أنه يغير نسبه غير مرة، وذلك للظروف التي تحيط به في لحظة معينة فهو ولد ونشأ في بلاد فارس في قرية كبيرة تدعى ورزنيين من قرى الري وكان اسمه علي ابن محمد بن عبد الرحيم

واسمه بهبود^(١) كما أن صاحب الزنج كان عربي الأصل بل كان علويًا اسمه علي بن محمد العربي كما تشير مصادر أخرى. ولكن الشك في نسبه العلوي مازال قائماً على الرغم من نص الطبري على ذلك فيقول المسعودي: إن أكثر الناس يقول أنه دعي آل أبي طالب، ويؤكد نولدكه في هذا الموضوع: إن صاحب الزنج ((ادعى أنه من نسل علي وفاطمة بنت الرسول، وربما كان هذا الادعاء صحيحاً وذلك إن نسل علي آنذاك كانوا يعدون بالآلاف ولم تكن لهم كل أهمية تاريخية تذكر لكنه ربما كان نسبه مجرد اختراع))^(٢) واعتقد أن هذا الاختلاف الكبير في نسبه ناشئ من عدم دقة تاريخنا العربي حول الكثير من المسائل واتباع بعض المؤرخين أهواءهم ونقمتهم من أي شيء يدعى للعلويين. طبعاً ليس كلهم ولكن الغالبية العظمى منهم تنتمي لمذهب معين وتنقم من مذهب آخر عند تناوله، وهذا هو دأبهم ونراه في أغلب كتب التاريخ، واذكر كتاب الملل والنحل للشهرستاني حيث يدعي في بداية كتابه ابتعاده عن أي تحيز ضد أي مذهب، وطرح المذاهب كما هي، ونراه يتناقض مع نفسه بنقمته من الطائفة الشيعية ووسمهم بالرافضة في أغلب تناولاته. وهذه تسمية كما معروف لا يحبها الشيعة، ويتبرؤون منها ويجزمون أن أعداءهم ينسبونهم إليهم وبالنتيجة فإن التاريخ الذي ورنناه لا يبين لنا الكثير من الحقائق التاريخية التي لها علاقة بالعلويين كإخوان الصفاء / وثورة الزنج، وغيرها من الأمور، ولا غرابة أن يكون صاحب الزنج من العلويين لسبب رئيس وهو نقمة العلويين على الأنظمة الحاكمة على مر العصور. وقد تكون نسبته للعلويين لإضفاء المزيد من الشرعية على ثورته، وهذا شأن وارد أيضاً كما عاش علي بن محمد في سامراء عاصمة الخلافة العباسية، ورحل عنها عام ٢٤٩هـ (٨٦٢م)) إلى البحرين متأثراً بما شهد وسمع في عاصمة الخلافة من فوضى واضطراب أشد التأثير. ولعل علي بن محمد صمم على أن يفعل شيئاً مذ كان في سامراء غير أنه أدرك أن هذه المدينة لم تكن مركزاً صالحاً لأي عصيان على الخلافة؛ بسبب الرقابة الشديدة، والجاسوسية المحكمة، ووجود السلطة المركزية. وقدم علي بن محمد بعد رحلة طويلة إلى البصرة، سنة ٢٥٤هـ، وكان

عاملها محمد بن رجاء الحاظري، وصادف قيام فتنة بين الأتراك أيضاً وفي هذه السنة كانت البصرة على أشد أوضاعها خراباً، بسبب الفتنة وتطورها وهكذا استفاد صاحب الزنج من هذه الظروف المؤاتية، وحاول أن يبدأ دعوته في مسجد البصرة. غير أنه أخفق وطارده الجند، ولذا بالفرار إلى بغداد، غير أن الوالي قبض على أتباعه. وبذلك هو مهد لحركته وظل في بغداد يترقب الفرص يدعو لنفسه، ولم ينس أن يستخدم التقية في تصرفاته ويحيط نفسه بالغموض لكي يحمي نفسه. ثم أنه ظل يترقب البصرة كما أسلفنا حتى عزل عاملها محمد بن رجاء الحاظري عدوه اللدود وقامت فتنة أخرى بين الأتراك فعاد إلى البصرة سنة ٢٥٥هـ ومعه أعوانه الستة المقيرون وهم علي بن أبان ويحيى بن محمد ومحمد بن سلم وسليمان بن جامع والفلاحون وشرق ورقيق^(٣) وكان يهدف من مجيئه للاتصال بالزنج المشتغلين بكسح السباح ويدرّس أحوالهم ويقوي علاقته بهم. وأخذ الزنج يتصلون به ويجتمعون حوله ويعتبر البصري يوم الاثنين ٢٦ / رمضان / ٢٥٥هـ ((٨٦٩/٩/٦م)) يوم القيام بالثورة وهذه الثورة تدل على ذكاء صاحبها، فعلي بن محمد لم يعتمد على أناس أثرياء أو أصحاب جاه، أو ليس لهم صلة في الواقع المعيش آنذاك، بل اعتمد على ضعفاء الناس، وعلى القوم المسبيين من قبل السلطة ومن قبل الأقوياء من الناس، وبالنتيجة سيكون لعادلتنا الأولى التي ابتدأنا بها هذا البحث وجود في هذه المسألة، فالضعيف يقتنص الفرص للغبلة على القوي وهنا يتبين لنا مسألة مهمة سنعرض لها وبشكل أكبر تفصيلاً فيما سيأتي بهذا البحث، حيث إن الزنج تسببوا بثورتهم بخراب البصرة وهذا يدل على تماديهم في أخذ حقوقهم، فهم مظلومون وهذا شيء مؤكد ولكن لا يسوغ لهم أن يظلموا الناس بمجموعهم المجتمعي ويحرقوا ويقتلوا ويسرفوا كما سيتبين لنا ذلك، ولكن صاحب الزنج تسامح في حالات كثيرة مع الأثرياء والمحايد كما فعل في قريتي القادسية والجعفرية.

بعد هذه المقدمة التاريخية نتساءل عن هذه الثورة وعن أهدافها التي انبثقت من أجلها. فهل كانت ذات برنامج يهدف إلى إصلاح شامل للنظام الاجتماعي القائم؟ أم كانت



الحرف وهذه الثورة تضيء صفة العمومية عليها، وذلك لعدم تخصصها في العبيد فقط على الرغم من أنهم كانوا قادتها والمخططين لها، ولكن الضعفاء كذلك عندما وجدوا أهدافهم في الثورة اشتركوا بها ومن دون تلكؤ.

وهكذا وقعت الثورة بتجاوز حقوق الناس، والمبالغة في اخذ حقوق الزنج، والثورة لم تعمل لتحرير الزنج فحسب بل عدت أعداءهم أسرى حرب تحقق عليهم العبودية، ولعل ما يبرر القسوة التي وقعوا بها ان الثورة، كانت بين طبقات المجتمع الفقيرة المتمثلة بالعبيد ومن تبعهم، وبين الأغنياء والسلطة الحاكمة وبالنسبة، فهو يريد أن يضعف همة أعدائه ولم تقف ثورته على أساس من العدل الاجتماعي سوى الذي حققه لجماعته من العبيد الذين تبعوه أول الثورة.

ولكن نستطيع القول إن ثورة الزنج أول حركة تمخض عنها الوضع الاجتماعي الجديد في القرن الثالث، ويبدو أنها كانت الشرارة التي أشعلت الأفكار الكامنة لدى مريديها فلم تلبث السنون القادمة، حتى انبثقت ثورة القرامطة، وحركتهم وثورة الزنج مهلت التربة لكي ينشر القرامطة دعوتهم على نطاق واسع، لان الدعوتين وان اختلفتا في الأسلوب والبرنامج اتفقتا في ضرورة تغيير النظام القائم أي أنها أسهمت في بث الوعي الذي تريده بقية الحركات وأعطت قدرة على المواجهة مع النظام القائم، وبالنسبة فإن هذه الحركة أخفقت لسبب مهم هي أنها كانت ثورة طبقية، وليست ثورة شعبية بحق وهذا قد تناولناه لان الثورة لم تنطوا على برنامج وأسس فكرية ثابتة، لأنها اعتمدت وانطلقت من أسس دينية ولكن انتقامت من الناس، وخربت البلاد، ودمرت ممتلكاتهم ولم تكتف بتحرير العبيد بل قامت باستلاب حرية الآخرين، وجعلهم عبيداً أي غالت بطلب حقوقهم ولكن علينا أن لا نغفل مقولة بعض المؤرخين حول صاحب الزنج وتبرئتهم له من الأعمال الفاسدة حيث يقول ابن كثير: إن صاحب الزنج لم يكن يتعرض لأموال الناس، ولا يؤدي أحداً إنما كان يريد أخذ أموال السلاطان^(١) وكذلك يبرئ الطبري صاحب الزنج بأنه منع أصحابه من الغارة على القرى الآمنة، ولكن هذا لم يمنع هذه الثورة كغيرها من الثورات

مجرد حركة ضيقة ترمي إلى تحسين أحوال طبقة الزنج؟ نحن قبل أن ننشر هذه المسألة علينا أن نعرف أن منشأ هذه الحركة هو ديني عقائدي بحت، وهذا بين من خلال انتساب علي بن محمد إلى العلويين لإضفاء صفة الشرعية على ثورته. وبالنسبة سيكون لهذه الثورة صدى أكبر عند العامة من الناس بانتسابها للعلويين لاسيما إذا عرفنا أن هذه السنين التي واكبت هذه الثورة سنو ظهور قوية لمذهب التشيع حيث شهد غيبة الإمام المهدي سنة ٢٦٠ هـ أي بعد ٥ سنوات من اندلاع الثورة حسب العقيدة الاثني عشرية أيضاً، وخروج الصفاريين ودورهم الرئيس في انتشار المذهب الشيعي وغيره من الأمور المهمة^(٢). استطيع القول إن هذه الثورة بعد هذه الإشارة إلى تشيعها كان أساسها اجتماعياً إصلاحياً بداية الأمر، ولكن اتخذت من الدين سترأ لها وبالتالي فإن ثورة الزنج دعت إلى تحسين أحوال العبيد ومعاملتهم كما أمر الله ورسوله بالرفق والحسن والعمل على تحريرهم وبأي وسيلة كانت، وحسب الشريعة الإسلامية، كما أن صاحب الزنج كان يدرس التنجيم وما يتصل به من التنبؤ والسحر. حتى أنه كان يستطيع أن يعرف متى كسوف القمر وكان يخدع جماعته بإخبارهم بمعرفة وقت الكسوف لأنه يعرف حسب حسابات فلكية فيصدقونه على أنه يعرف ما لا يعرفون هم، فيزداد انبهارهم به ومن ذلك أنه لما أراد دخول البصرة سنة ٢٥٧ هـ نظر في حساب النجوم ووقف على انكساف القمر وقال: اجتهدت في الدعاء على أهل البصرة وابتهلت إلى الله في تعجيل خرابها، فخطبت فقيل لي إن البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها، فإذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة فأولت انكسار نصف الرغيف كسوف القمر المتوقع في هذه الأيام^(٣) وهذا يدل على ذكائه في جذب العامة وثورته هي ثورة العبيد الأفريقيين في البصرة وما حولها ضد أسيادهم حيث كانت تمثل أحد عوامل القلق الذي كان ينتاب بعض الطبقات الاجتماعية ومنها طبقة الأفارقة أو الزنج، وثورة الزنج حرب اجتماعية ذات طابع طبقي أي إنها ثورة العبيد وأنصاف العبيد ضد الملاكين من أصحاب الأراضي، وقد اشترك في جيش الزنج جماعات كبيرة من غير السود كالأعراب، وأهل القرى، والعمال، وأصحاب



من وقوع الضرر على غير المستهدفين من قبلها، ولو انتقلنا إلى الجانب العسكري لها فسنرى أن الزنج استفادوا من وضع البصرة الجغرافي، وكثرة الأنهار فيها، واشتهارها بغابات النخيل مما جعل التحرك صعباً بها من قبل العباسيين للقضاء على الزنج، وثورتهم، ولكن تحرك الزنج بها كان سهلاً لمعرفةهم بجغرافية البصرة وعيشهم زمناً طويلاً فيها، حيث استطاعوا بجيوشهم الانتصار على القوات العباسية في الكثير من الوقائع، بسبب سهولة المنطقة لديهم، وصعوبتها على الجيوش العباسية وهكذا بدأ الخليفة الموفق العباسي أعماله ضد الزنج بإرسال جيش يقوده غلامه سعيد بن صالح الحاجب في رجب ٢٥٧هـ واستطاع الحاجب أن يكبد الزنج خسائر فادحة أول الأمر حين هزم جيشاً زنجياً كان يعسكر على نهر المرجاب المتفرع من نهر معقل، غير أنه أصيب بجراح خطيرة أرغمته على أن ينسحب إلى موضع يقال له هطمة بفرات البصرة، ليعيد تنظيم جيشه. والحاجب استطاع التغلب على الزنج غير أن الزنج ما لبثوا أن باغثوا جيش الخلافة في هجوم ليلي بارع فأحرقوا معسكره، وقتلوا الكثيرين، وعزل الحاجب، وتسلم منصور بن جعفر الخياط مكانه ولاقى أيضاً من القتل في جيشه عدداً هائلاً وهكذا استطاع الزنج التغلب على أغلب الجيوش العباسية التي بعثت لها للقتال والقضاء عليهم. وقد سبق هاتين المحاولتين محاولات أخرى نبعت عن ذكرها لأن بحثنا ليس بحثاً تاريخياً بل تحليلياً لهذه الثورة الهامة.

ومهما يكن فإن الهدف الرئيس لهذه الثورة وصاحبها هو احتلال البصرة، وفعلاً استطاع الزنج تخريب كل القرى المحيطة بالمدينة استعداداً لدخولها والسيطرة على طرقها الرئيسية المؤدية لها. واستفاد الزنج من الحالة الأمنية والسياسية المتدهورة في المدينة نتيجة الخلاف بين الربيعيين وهم شيعة والسعديين وهم سنة^(١) وحشد صاحب الزنج خيرة قواده لدخول البصرة فأسند القيادة العليا إلى علي بن إبان مع يحيى بن محمد وصمم الجيش الزنجي على مهاجمة المدينة في يوم الجمعة ١٧/شوال/ ٢٥٧هـ. فدخل الجيش البصرة وجرت عمليات القتل والسلب والنهب ((فكان السيف يعمل في أهل البصرة

وأصواتهم مرتفعة بالشهادة وعظم الخطب، وعمها القتل والنهب والإحراق وقتلوا كل من رأوا فيها من أهل اليسار وأخذوا ماله^(٢) وحسب خراب البصرة الذي ذهب مثلاً يؤرخ فيه أهل البصرة لهذه الحادثة، واستمر الزنج في توسعهم باحتلالهم البصرة حتى وصلوا إلى البطيحة، وأخذوا يتوسعون إلى جنوب واسط واستطاع سليمان بن جامع قائد الزنج أن يدخل واسط سنة ٢٦٤هـ فهجّر السكان مدينتهم، وخرجوا حفاة الأقدام هائمين على وجوههم فزعين كما يصفهم المؤرخون وكسب الزنج في سنة ٢٦٥هـ نصراً مؤزرأ بدخولهم النعمانية فأحرقوا سوقها وأكثر منازلها وبلغوا إلى قريب بغداد أي أقل من ٧٠ ميلاً جنوب بغداد. وهكذا استدعى الخليفة المعتمد العباسي الموفق إلى مكة من قبل المهدي، لأن الخليفة المعتمد أدرك خطورة ثورتهم وعدم قدرته على السيطرة على الثورة وحده، ولكفاءة الموفق العسكرية والتي ستثبتها الأيام التالية، المهم نستطيع أن نعد سنة ٢٦٦هـ، بداية قوة العباسيين، وأقول نجم الزنج فاستعد الموفق لحملة حاسمة ضد الزنج، واستعرض جيشاً قوامه عشرة آلاف مقاتل، وكان يرافقه سفن حربية، وتحرك أبو العباس بن الموفق نحو ((جر جارية)) بعد أن عبأ جيشه تعبئة دقيقة واستقر قرب واسط، واستطاع أبو العباس أن يهزم سليمان بن جامع فأجبره على الانسحاب من واسط والتقهقر. أما الزنج فقد أخذوا بدورهم الاستعداد لمواجهة أخرى، وهزموا مرة أخرى قرب واسط، ويبدو أن سليمان بن جامع شعر بقوة الجيش العباسي، فقد امتنع عن الحرب لمدة شهر كامل، واعتمد استراتيجية الهجوم السريع والانسحاب، وكان يقوم بعملية حرق السفن الحربية العباسية، ويزيلون القناطر وينسحبون وعلى الرغم من شجاعة الجيش بقيادة أبي العباس، ولكن لم يستطع الانتصار على الزنج حتى حضر الموفق العباسي بنفسه في ١١/صفر/ ٢٦٧هـ لإدارة دفعة القتال وكان هدفه احتلال المنبوعة مركز الزنج قرب واسط، ودخل الجيش فعلاً هذه المدينة الحصنة في ٨/ربيع الآخر/ ٢٦٧هـ وقد تأثر صاحب الزنج لسقوط هذه المدينة بيد الخلافة العباسية ثم تحرك الموفق نحو طهيتا ودخلها في ٢٧/ربيع الآخر وقتل الجبائي

وكان من اعظم قواد صاحب الزنج واكثرهم طاعة له ثم دخل المنصورة بسهولة ثم توجه نحو الأهواز، واستطاع دخولها أيضاً، واقتصر سلطان الزنج على المختارة، وما جاورها من ارجاء ابـي الخصيب، وظل الموفق في هذه المنطقة يعد العدة للحرب حتى ١٤/ شعبان ٢٦٧هـ وبنى هناك مدينة على ضفاف شط العرب اسمها الموفقية لكي يضرب حصاراً على المختارة عاصمة الزنج، وفرض الحصار على الزنج، وبدأ يأخذ أكله، حيث حلت سنة ٢٦٨هـ حتى اخذ الزنج يقاسون الجاعة، وندرة الأقوات مما أدى إلى شل قوتهم، وإضعاف صفوفهم إلى سنة ٢٧٠هـ حيث أن الموفق هاجم المختارة سنة ٢٦٧هـ وخرب فيها الكثير وانسحب في نفس ليلة الهجوم، ثم سنة ٢٦٨هـ كذلك وظلت المختارة تقاوم الهجوم والحصار حتى شعبان ٢٦٩هـ حيث تمكن أصحابه من إحراق بعض قصور صاحب الزنج، وفي ذي القعدة سنة ٢٦٩هـ عزم الموفق على دخول المدينة واحتلالها من الجانب الشرقي من نهر أبي الخصيب وبدأ الزحف في ٧/ ذي القعدة/ براً ونهراً وكان تعداد الجيش خمسين ألف مقاتل، واستطاع الموفق احتلال المختارة، وحملت نساء صاحب الزنج وأولاده وبناته إلى الموفقية التي مر ذكرها آنفاً^(١)، وقد بلغ قتلى هذه الحرب على ما يروى آلاف من المسلمين ومن الفريقين وأدخل رأس علي بن محمد بغداد ١٨/ جمادى الأولى/ ٢٧٠هـ.

إن الزنج بما فعلوه في هذه الثورة، وقبلها وبعدها لا يستطيع أي باحث أن يجزم بانهم قد فعلوا كل هذا بدون تنظيم رسمي، لكل قوتهم وخططهم واستراتيجيتهم، وهذا واضح حتى من اختيارهم للبصرة وجغرافيتها الصعبة، حيث الأنهار المتشابكة والأهواز، وعدم قدرة الجيش العباسي، والأترار على ملاحقتهم، لعدم قدرتهم على القتال في مثل هذه الظروف القاسية، وكذلك قدرتهم على فتح الكثير من المناطق شملت القسم الأدنى من العراق والأهواز حتى وصلت الثورة إلى قريب بغداد وتبعد ٧٠ ميلاً عن العاصمة، واختيار المختارة عاصمة لهم كان دقيقاً أيضاً حيث تمثل الاختيار على نهر أبي الخصيب مكاناً حصيناً تتشابه فيه الأنهار والأشجار، وهذا يدل دلالة أكيدة على التنظيم الكبير الذي قامت به جماعة الزنج وكان من

الطبيعي أن تكون المختارة على هيئة قلعة حربية لتستطيع الصمود في وجه الغارات المتلاحقة التي كان يشنها على المختارة العباسيون، بالإضافة إلى أن المختارة كانت محصنة تحصيناً طبيعياً بنهر شط العرب وأبي الخصيب من الجهتين الشمالية والشرقية فإنها أحيطت بالأسوار، وبذلك امتنعت مدة على الجيش العباسي ووجود القصور العديدة داخل مدينة المختارة يدل على تنظيم الزنج وبشكل دقيق للغاية حيث نجد إلى جانب قصر صاحب الزنج قصوراً أخرى في المختارة أهمها دار انكلياي ابن صاحب الزنج التي كانت إلى جوار قصر أبيه، ودور الجبائي وابن سمعان وسليمان بن جامع وكلهم من قواد الزنج الكبار، وأشادوا القناطير والجسور على الأنهار، هذا من الجانب العمراني والسياسي. أما التنظيم الاقتصادي فقد اهتم صاحب الزنج اهتماماً كبيراً بتوفير المؤن والأقوات لعاصمته ولجيشه الضخم، ومن ثم شيد أسواقاً كثيرة في الجانب الغربي من المختارة ومنها السوق ((المباركة)) حيث شغلت قضية المؤن والتموين صاحب الزنج إلى أقصى الحدود منذ بداية ثورته، لذلك استمال الأعراب إلى جانبه وسخرهم في جلب المؤن إلى معسكره ومنعها عن المعسكر العباسي. وهذا هو دلالة التنظيم الكبير الذي قام به الزنج لإنجاح ثورتهم كل هذه المدة. فليس من الممكن أن تكون الثورة بهذه الاستمرارية من دون هذا التنظيم، وعين صاحب الزنج شخصاً جديداً للإشراف على نقل التموين وهو أحمد بن الجنيد في مؤخر نهر أبي الخصيب، وكلفه أن يحمل سمك البطيخة إلى معسكره، أما في الجانب الإداري فقد حاول صاحب الزنج أن يقيم في عاصمته مؤسسات إدارية ومالية لا تشرف على سير الحرب فحسب، بل لتتولى تنظيم الشؤون المدنية داخل الدولة القصيرة العمر التي شكلها علي بن محمد، ولم يقتصر واجب ((صاحب الزنج)) على وضع الخطط وقيادة الجيوش بل كانت له صفة مدنية باعتبارها رأس الدولة الزنجية وأعطى نفسه لقب أمير المؤمنين^(٢). وكذلك عين له ولاة على الأمصار التابعة لدولته فنجد أحمد بن مهدي الجبائي الذي وصل إلى مركز مرموق في دولة الزنج، حتى ولاة علي بن محمد أكثر أعماله وضم إليه محمد بن إبراهيم الذي تولى الكتابة له، فلما مات

الجبائي طمع محمد بن إبراهيم في وظيفته: ((قنبذ الدواة والقلم ولبس آلة الحرب وتجرد للقتال))^(١٤) كذلك ضرب النقود التي أصدرها علي بن محمد في عاصمته وهذا ما يشير إلى وجود دار لضرب النقود من ناحية وإلى إعلان استقلاله الفعلي من ناحية ثانية عن الدولة العباسية، وهناك قطعتان نقديتان ذهبيتان للزنج توجد أحدهما في المتحف البريطاني والأخرى في باريس وترجع الأولى إلى سنة ٢٦١هـ في حين ضربت الأخرى سنة ٢٦٤هـ وهذا دليل على أن الحياة العامة والنظم المالية استمرت في دولة الزنج بسبع سنوات. وقد نشر الأستاذ وكر القطعة الأولى الموجودة في المتحف البريطاني في حين نشر الأستاذ كازانوفا القطعة الأخرى الموجودة الآن في باريس^(١٥) وهكذا فإن كل هذا التنظيم أسهم في إيجاد هذه الدولة وهو دلالة أكيدة على تنظيمها وبقيت مسألة مهمة أن الزنج قد شملوا بمقولة الضغط يولد الانفجار، فإن الضغوطات التي طالتهم هي التي سببت بخروجهم وقيامهم بكل هذه الفوضى، ونود أن نشير كذلك إلى أن الفوضى التي قام بها الزنج لم تنشأ من فوضى تجمعاتهم، بل نشأت من ترتيب صفوفهم أي هي فوضى من ترتيب هذه الفوضى التي نشأت بسببهم كان يسبقها تنظيم وتبويب لكل دولتهم، وذلك ليستمر وإن كانوا غير منظمين هذا سيسهم بالتالي في تراجع ثورتهم منذ بدايتها لكن التنظيم سبب استمرار الثورة وانتصارها، ولا ننسى أن جزءاً كبيراً من انتصارات ثورته التي حققها هي بفضل شخصيته التي امتازت بالكثير من المعرفة بأخلاقيات وأدبيات الأقوام التي كانت تحيط به على الرغم من وصف أحمد علي له بأنه ليس بالرجل المفكر والحاكم المثقف بل هو داهية طموح ذو شخصية جذابة^(١٦). ولكننا نختلف اختلافاً كبيراً مع هذا القول وذلك لأن صاحب الزنج لولا سعة ثقافته وإطلاعه لما استمرت ثورته ١٤ سنة كتب له من خلالها انتصارات كبيرة، كما أن معرفته بالمجتمع مكنته من القيادة وبالشكل الأفضل له، لذلك يقول الدكتور فيصل السامر عنه: ((كان علي بن محمد رجلاً مثقفاً بمفهوم عصره)) وأنه ((كان ذكياً قوي الإرادة طموحاً ذات نفس وثابة نازعة نحو الآمال الكبيرة))^(١٧) وهكذا نراه واضحاً وذلك

للرؤى الاجتماعية والاقتصادية التي امتازت بها ثورته ومكنته من أن يستمر بها طوال هذه السنين بالإضافة إلى حسنكته في المجال السياسي والاقتصادي كان لديه ذكاء مفرط مكّنه أيضاً من الاستمرار وهذا واضح ويدل على يرويه الصفدي (إن أهل البحرين كانوا لا يدعون شيئاً من فضلاته يسقط إلى الأرض إلا ويأخذونه تبركاً به))^(١٨) على الرغم من المبالغة التي قد تكون في قول الصفدي، ولكن يتبين من مدلول ما يرويه المكانة التي تميز بها صاحب الزنج بفعل ذكائه المتقد الذي مكّنه من تبوأ هذه المنزلة، كما إن الشعارات التي رفعها، والتي تنم عن قريب أو بعيد على أنه كان على معرفة بأراء الفرق الدينية المتعددة، على الرغم من الاتهامات التي توجه على أنه بشعاراته هذه كان خارجياً أو زديياً، ولكنه في الاعتقاد عندما يستخدم مثل هذه الشعارات فإنما هو ذكي يريد أن يستميل إليه بقية المذاهب ولا تدل الشعارات هذه على أنه صاحب مذهب مغاير للأمامية الأثني عشرية للأسباب التي ذكرناها، وللإشعار الآتي سترد في خضم البحث، وللصفدي رواية تظهر اهتمام علي بن محمد وولعه الأدبي إذ يقول:

((إن والدته ذكرته بأنه عندما كان معها في الري لا يدع أحداً عنده أدب ولا رواية إلا أخذها))^(١٩) بالإضافة إلى أنه اشتغل بالتعليم عندما ذهب إلى سامراء وعلي بن محمد عرف عنه أنه كان شاعراً وأديباً حسن الشعر مطبوعاً عليه^(٢٠) ويقول القيرواني إن علي بن محمد شعراً كثيراً ناقضه البغداديون، وكل هذه الدلائل تناقض ما ذهب إليه الدكتور أحمد علي من أن صاحب الزنج ما كانت لديه ثقافة مهمة. وفيما يخص شعره فقد اتهمه الطبري بأنه شعر استجدائي للكتاب والسلاطين بقصد أن يعطيه هؤلاء الأموال ولكن الأستاذ عبد الجبار ناجي يرد على هذه المسألة بقوله: إن ما وجد من نماذج شعرية هي عبارة عن أبيات معدودة لا تسمح بإعطاء صورة واضحة عن أسلوبه الشعري والمجالات التي نظم فيها أي أن المؤرخين لم يعثروا على قصائد كبار وكثيرة لصاحب الزنج بل أبيات من هنا وهناك لا تدل على أنه كان شاعراً مداحاً كما ذهب الطبري والذي هو أحد مؤرخي السلاطين ويقسم شعر علي بن محمد إلى ثلاثة أصناف:

١. صنف يصور فيه نزعاته الشخصية وافتخاره
بنفسه ومطامحه في نيل الزعامة والثورة وفيه يقول:
وعزيمتي مثل الحسام وهمتي

نفسى أصول بها كنفس القصور

وإذا تنازعني أقول لها اسكتي

قتلي مريحك أو صعود المنبر

ما قد قضى سيكون فاصطبري له

ولك الأمان من الذي لم يقدر

وله أيضاً:

أما والذي أسرى إلى ركن يسه

حراجيج بالركبان مقورة حديبا

لأدر عن الحرب حتى يقال لي

قضيت ذمام الحرب فاهتجر الحربا

وله واصفاً كيف خرج بمن بقي معه من الزنوج محارباً وقائلاً:

ساغسل عني بالسيف جالبا

علي قضاء الله ما كان جالبا

واذهل عن داري واجعل نهبا

لعرضي من باقي المذلة حالبا

فأن تهدموا بالغدر داري فأنهم

تراث كريم لا يبالي العواقب ما

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه

ونكب عن ذكر العواقب جانباً ما

ولم يستشرفني رأيه غير نفسه

ولم يرض إلا قائم السيف صاحباً

وله أبيات تؤيد طموحه للوصول للخلافة حيث يقول:

إن الذي جعل النجوم زواهرا

جعل الخلافة في الأمام الظاهر

قاد العساكر من بنجر^(١) مسحرا

بأنهم أقبال وأيمن طائر

حتى أناخ على الأبله بعدما

ترك البصيرة كالحشيم الدائر

٢. الصنف الثاني من شعره يعبر فيه عن ثورته وعلى ما

كان يجري داخل قصور بني العباس من مفاسد أخلاقية

وسهوا، ويتضمن الأبيات التالية وفيها يصرح بعقيدته

الدينية الشيعية حيث يقول:

لطف نفسي على قصور ببغدا

دوما قد حوته من كل عاص

وخمور هناك تشرب جهرا

ورجال على المعاصي حراص

لست بأبن القواطم الغران لم

أجل الخيل > حول تلك العراص

وللبيت الأخير أهمية إذ يشير إلى شيعة علي بن محمد،
كما أن البيتين التاليين رداً على الرأي المتعارف بأن علياً كان
خارجي المذهب إذ يقول:

متى أرى الدنيا بلا مجبر

ولا حروري ولا ناصب

متى أرى السيف دليلاً على

حب علي بن أبي طالب

وله قصيدة ينقلها الأستاذ جبار ناجي تتضمن عدداً من
الآبيات فيها عتاب موجه لخلفاء بني العباس لتقريبهم
الأتراك وإبعادهم الشيعة أثار بهم بل تنكليهم بهم والآبيات
توضح عقيدته أيضاً:

بني عمنا إنا وأنتم أنامل

تضمنها من راحتها عقودها

بني عمنا لا توقدوا نار فتنة

بطيء على مر الزمان خمودها

بني عمنا وليست التركة أمراً

ونحن قديماً أصلها وعديدها

فما بال عجم التركة تنقسم فينا

ونحن لديها في البلاد شهودها

فاقسم لا ذقت القراح وإن أذقت

فبلغة عيش أو بباد عميدها

٢. والصنف الأخير من شعره يتضمن أبياتاً غزلية وفيه
يقول:

ولما تبينت المنازل بالحمى

ولما أقض منها حاجة المتورد

زفرت إليها زفة لوة حشوتها

سرايل أبدان الحديد المسرد

لرقت حواشيها وظلت متونها

تلين كما لانت لداوود في اليد^(١)

وبقي بيتان يختم دوره السياسي فيهما ويسدل الستار على
ثورته يستوديعه الجميل لمدينته المختارة وداره حينما
أفلحت جيوش العباسيين في هجومها على تلك المدينة إذ
يقول:

عليك سلام الله يا خير منزل

خرجنا وخلفاء غير ذميم

فإن تكن الأيام أحدثن فرقة

فمن ذا الذي من ربها سليم

وهنا لابد من الإشارة إلى أن ثورة الزنج تمت قراءتها بشكل
مختلف بين المحدثين والقدماء، فأغلب القدماء قدموها لنا
على أنها ثورة قتل بالجملة، وبعبارة لكل القيم الإنسانية
فالصفدي يقول في مخطوطته عن صاحب الزنج بـأنه
((قال الشعر واستباح به ثم حدث في نفسه الكفر والخبيث
ودعوى الإمامة وعلم الغيب والخروج على الأئمة وضرب
الناس بعضهم ببعض)) ونرى مقولة الصفدي بالخروج
على الأئمة يقصد بها خلفاء بني العباس، ونستدل بذلك
على انحياز الصفدي لسلطة الاستبداد، ولا غرابة فالكثير
من هؤلاء المؤرخين إنما هم وعاظ سلاطين ومتبعون بدون
دراية لسلطة الاستبداد المتمثلة بالخلفاء الذين هم ظل الله
على أرضه في حين توجد قراءة ثانية لصاحب الزنج

تتمثل في المؤرخين المحدثين الذين يضعون صاحب الزنج بمركز يؤهله للقيادة، ويمنحه صفات المصلح الاجتماعي على الرغم من السلبيات التي رافقت ثورته.

الثورة التي جمعت الآلاف من العبيد حوله وكانوا قريبين إليه وبشكل كبير ولكن تشير بعض المصادر ومنها مخطوطة الصفدي بأن قلوب الزنج في وقت من الأوقات تغيرت، وساءت أحوالهم، وهموا بالوثوب عليه. ويعلق الأستاذ عبد الجبار ناجي على ذلك بما نصه ((بأنها أول إشارة تاريخية تصرح بحدوث أشبه ما يكون بالتمرد والانشقاق على سلطة قائد الزنج ولم يرد مثلها في المصادر الأخرى))^(٣). وبقيت مسألة مهمة وهي آثار ثورة الزنج، وما خلفته من تأثيرات سيئة في اقتصاديات العراق الأدنى وانعكس ذلك على موارد البيت العباسي، وشل الزراعة والتجارة في كل هذه المناطق. كذلك تعطيل المؤسسات العامة للدولة، وتحرير العبيد الذي كان تأثيره سيئاً في المناطق المحتلة من قبلهم، وأكبر خسارة لاقتها الخلافة العباسية هي سقوط البصرة وسقوط ميناء الأبله المهم في الحركة التجارية للدولة العباسية، وكذلك من آثار ثورتهم نشوء مدينتين زاهرتين ترعرعا وسط ميدان القتال أهمهما مدينة المختارة عاصمة صاحب الزنج، والموقعية مركز قوات أبي أحمد الموفق وازدهرت المدينتان بشكل كبير. كذلك من آثار هذه الثورة إبراز شخصيتين مهمتين هما: صاحب الزنج الذي كان شخصية مغمورة لكنه بذكائه وتنظيمه وقدرته العملية استطاع أن يبرز شخصية مهمة جداً ويستمر ١٤ سنة. أما الشخصية الثانية فهي شخصية الموفق العباسي الذي استطاع أن يهزم الزنج، وصاحبهم علي بن محمد على الرغم من ذكائه المتقد وصعوبة المكان الذي تم القتال فيه بين الجانبين، أن التأثيرات التي سببتها هذه الثورة مهمة للغاية وتمثل حلقة انتقال بين حالتي كانت عليهما البصرة ما قبل خرابها على يد علي بن محمد. أما أسباب إخفاق هذه الثورة على الرغم من كل ما أشرنا إليه من تنظيم وذكاء وغيرها من الأمور فهي:

١- كانت ثورة الزنج حركة ضيقة لا تنطوي على برنامج دقيق، ونظرية تضمن لها البقاء والانتشار

الواسع. وكان بقاؤها وقوتها منظويين برز عيمها واندفاع أتباعه العبيد من ناحية، وبضعف الخلافة وانشغالها من ناحية ثانية. وهذا ما يفسر عدم رواج الدعوة بين الأحرار من أهل البصرة.

٢- إن اعتناق صاحب الزنج مبادئ الخوارج الأزارقة جلب عليه نظمة العلويين، وبغضهم لأن الخوارج كانوا أعداء الشيعة مما حدا هؤلاء إلى عدم التعاون مع علي بن محمد.

٣- كانت ثورة الزنج قد قامت إبان ضعف الخلافة العباسية، وتفسخ الإدارة والسياسة في العاصمة، فأتاح هذا الضعف لصاحب الزنج أن ينشر دعوته في المناطق الجنوبية من العراق، حيث لا توجد قوات كبيرة للدولة فلما تولى الأمر أبو أحمد الموفق وكان شخصاً قوياً حازماً استطاع بعد فرائعه من أعدائه الآخرين أن يركز جهوده نحو حركة الزنج فيقضي عليها قضاء مبرماً.

٤- كان الزنج قد لبوا دعوة علي بن محمد فراراً من وضعهم السيئ، وأملوا في تحسين حالتهم الاجتماعية المزرية، فلما راوا أن الحركة لم تسفر عن نتائج حاسمة وأن الموفق منحهم الأمان وأغدى عليهم الأموال هجروا زعيمهم والتحقوا بجيش العباسيين بعد أن وقعوا بالجوع وتعرضوا لخطر الموت.

٥- كان لشخصية الموفق أثر كبير في القضاء على هذه الحركة، فقد استطاع أن يعي، الجيوش الضخمة والقوات الكبيرة، ويحشد الأموال والذخائر في الموقعية، فيتمكن من أن يشل ثورة الزنج ويقضي عليها.

٦- إن الحصار الاقتصادي الذي ضربه الموفق على الزنج كان عاملاً مهماً في القضاء عليهم لأنهم في أيامهم الأخيرة أخذوا يقاسون قلة الغذاء حتى إن الأسير منهم على حد قول الطبري كان يسأل عن عهده بالخبز فيذكر أنه لم يذقه من سنة. ويغالي المؤرخون فيقولون إنهم أكلوا لحوم الناس بل لحوم الموتى. وهذا الضيق دفع الكثيرين منهم إلى أن يهجروا معسكرهم مستأنسين إلى الموفق حتى إن صاحب الزنج وجد نفسه في أيامه الأخيرة في شردمة قليلة من أتباعه وكان هذا عاملاً أساسياً من عوامل إخفاق الثورة.

٧- لم تكن ثورة الزنج خروجاً على الدولة والنظام القائم فحسب، بل خروجاً على الدين كذلك في نظر

المعاصرين لذلك تطوع الاف الناس لحرب الزنج من العراق وفارس والبحرين. وهذا هو الطابع الذي انطبعت به كل الحركات التي قامت آنذاك فنظر إليها الاتقياء والمتدينون نظرة سخط ومقت ووصموها بالزندقة والزيف ومخالفة الدين.

٨. كان جيش العباسيين يقوم على تنظيمات عسكرية دقيقة، واسلحة متنوعة، ويتمتع بمتشربب جيد، وتغذية حسنة في حين كان أسلوب الزنج أشبه بحرب العصابات لا تقدر إلا على الهجوم الخاطف القائم على السرعة وبث الكمائن، لذلك كانت انجح غاراتهم هي الغارات الليلية ونادراً ما قام الزنج بهجوم منظم ووقفوا وجهاً لوجه أمام الجيش العباسي.

٩. كان طول المدة التي استغرقتها الثورة عاملاً مهماً في عدم نجاحها لأن الزنج فقدوا كثيراً من قواتهم كما لقوا مقاومة من أهالي جنوب العراق فضلاً عن مقاومة الدولة.

١٠. إن سعة المنطقة التي احتلها الزنج أدت إلى بعثرة قواتهم هنا وهناك وإلى تفريق حاميات ضنيلة العدد من

كل مركز احتلوه، وهذا عامل مهم أيضاً في إخفاق الثورة فقد تعذر على صاحب الزنج تركيز قواته في الأماكن التي يتطلبها الموقف العسكري.

١١. إن الأضرار التي تعرض لها أهل المدن التي احتلها الزنج زادت من ضراوة مقاومتهم للثورة، وقد زاد من عداة الأهالي إن الزنج كانوا من عبيدهم فشق عليهم أن يغدوا سادة لهم^{١٤}. وهكذا نرى هذه الثورة وأهميتها من الناحية التاريخية وتأثيراتها الاجتماعية، اعتقد أن هذه الثورة كان لها صدى واسع في المجال الفكري المعرفي على الرغم مما رأينا فيها من مساوئ وكان أهم شيء أفرزته هذه الثورة حالة العبودية التي كان فيها الزنج والمعاملة السيئة للإنسانية في العهود الإسلامية التي واكبت هذه الثورة. إن النهضة التي بالإمكان الاستفادة منها من خلال هذه الثورة مسألة الحرية التي يجب أن تعطى للإنسانية جمعاء.



الهوامش

١. أبو المحاسن، النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١، تاريخ ابن الوردي ج ٦ ص ٢٢٣
٢. ابن أبي الحديد ج ٨، ص ٢١١
٣. الطبري ج ٢، ص ١٧٤٢
٤. عبد الجبار ناجي، صاحب الزنج الناصر الشاعر، مجلة المورد، العددان ٢، ١٩٧٢ م
٥. ابن الجوزي، المنتظم ج ٥، ص ٦٩
٦. ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥

مقدمة في دراسة النشاط التجاري

في الاردن خلال العصر العباسي

الدكتور سوادي عبد محمد
كلية الاداب، جامعة البصرة

مقدمة:

لعل اصعب ما يواجه الباحث في الاحوال الاقتصادية لبلاد الشام عموماً ندرة المعلومات التي يمكن الحصول عليها في المصادر المتوفرة في الوقت الحاضر. الا اذا اجتهد للعثور في تحليل هذه المعلومات واستيعابها بما يغنيه في هذا المجال. فضلاً عن التشابك في التقسيمات الادارية لهذه البلاد وتداخل اوضاعها، بعضها ببعض مما لا يتيح المجال لتوضيح دور كل اقليم منها بمعزل عن الآخر.

فاذا كانت هذه المعلومات المشتتة التي تخصنا بها المصادر التاريخية والجغرافية، قليلة الى هذا الحد فكيف بنا، اذا سعينا الى التفصيلات عن اوجه النشاط الاقتصادي لكل وحدة ادارية أو اقليمية من بلاد الشام؟ وخصوصاً ما يتعلق بالتجارة أو الزراعة أو الصناعة أو النظام المالي أو النقدي أو الضرائب، فأننا سنكون امام سيل من التساؤلات عما يجعل هذه الجوانب أكثر وضوحاً. ولكن ينبغي علينا، أن لا نبالغ في ذلك الى ما يجعل دراستنا هذه محورا لمعلومات تكهنية، فهناك من النصوص ما يمكن تحليلها بسانتجاه تفسير الموضوعات الاقتصادية المتعلقة ببلاد الشام ومنها النشاط التجاري لاقليم الاردن في العصر العباسي، وانراك طبيعته من خلالها والتوصل الى الحقائق التاريخية الثابتة.

ومعروف ان الاردن ظهر في الكتابات التاريخية والجغرافية منذ العهود الاسلامية الاولى، وتبلور اسمه أحد اجناد بلاد الشام الخمسة وظل محتفظاً بأهميته خلال العصرين الأموي والعباسي ويمكن القول أن هذه الأهمية تركزت في دوره في الحياة الاقتصادية وبخاصة في النشاط التجاري، فلو استعرضنا ما جاء به المؤرخون والجغرافيون العرب والمسلمون لاتضح بجلاء ما يساعدها على الفهم الصحيح لما اضطلع به هذا الاقليم على نطاق التجارة في العالم الاسلامي، خلال تلك الحقبة، وكذلك في حدود

منطقة بلاد الشام ومصر.

موانئ الاردن ومراكزه التجارية:

يشير اليعقوبي الى أهمية كور الاردن ودورها في تجارة منطقة الشام وبحر الروم (المتوسط) وخصوصاً في هذه الحقبة، اذ عاش هذا المؤرخ حتى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، فيقول: ((ان طبرية وهي مدينة الاردن وصور ساحلية من مدنه، وكذلك عكا وقيس وبيسان وفحل وجرش والسواد)) اذ تبلغ مواردها فيما عدا ما تدره الضياع الاخرى، مائة الف دينار، وهو ما يأتيها من تجارتها^(١)، ويضع ابن رسته مدينة الطبرية في سلسلة كور الشام ثم يقول: ((وجند الاردن وهي الطبرية، ثم يعدد الاجناد الاخرى^(٢) مشيراً، من طرف خفي الى اهميتها باعتمادها على ذاتها اقتصادياً، بتحصيل مواردها ودفع اعطيات الجند وارزاقهم. أما ابن خرداذبة الذي توفي على اعتاب القرن الرابع الهجري، فيعدد كور الاردن، وهي طبرية والسامرة وبيسان وفحل وجرش وبيت راس.

ويخلص الى القول ان خراج الاردن ثلثمائة وخمسون الف دينار^(٣) ولعل أكثر هذا المبلغ كان يتحصل عن طريق التجارة ونشاطاتها المختلفة، لأن أغلب هذه الكور التي ذكرها ساحلية تستقبل السفن والمراكب وتكلم قدامة بن جعفر بعد ربع قرن تقريباً من وفاة ابن خرداذبة، عن الطرق والمسافات بين كور الاردن المجاورة، بما يوحي بانها كانت مهياً للتجار والمسافرين، لنقل البضائع، فيذكر ارتباط الاردن بالموصل والجزيرة الفراتية وسنجار ونصيبين والرقعة ومنبج وحلب وحماة وحمص وبعبك ودمشق ثم ارتباطها بمصر وما والاها، اذ تصل الى القاهرة والاسكندرية كما يذكر الطريق المؤدية منها الى القيروان في بلاد المغرب

العربي^(١) ثم يقرن ذلك بخراج الاردن (موارده) التي كانت تبلغ في زمانه مائة وتسعة آلاف دينار^(٢).

واغلب الظن، ان هذا البلداني وغيره، ممن عنوا بذكر السكك والمسافات بالمسالك بين المدن والبلدان والممالك كانوا يسعون لوضع معلومات تمهد لاولئك الذين كانوا يرتادونها من المسافرين والتجار واصحاب اليريد، فتصبح دليلاً لهم للوصول بين مدينة واخرى بأقصر الطرق واوفرها اماناً ووقتاً، كما ان تيسيرها بأيدي هؤلاء بين حين واخر، يظهر اهتمام أهل ذلك العصر بالتجارة.

ويؤكد الاصطخري ان طبرية هي مدينة الاردن الكبرى تقع على بحيرة عذبة الماء، طولها اثنا عشر ميلاً، عرض شرسخين او ثلاثة فراسخ، وان صور التي وضعها المؤرخون والجغرافيون في جند الاردن خلال تلك الحقبة^(٣)، بلد من احسن الحصون التي على شط البحر، عامرة، خصبة، ونقل انه اقدم بلد بالساحل^(٤) ولا غرو فان هذه الاهمية لمدينتي طبرية وصور اللتين يتحسنت عنهما الاصطخري، انما تتمثلان بموقعها الذي لا بد ان يكون له تأثير في اتصالاتها، سواء على البحر او في البر والظاهر ان العمران انذي اشار اليه الكاتب فيما يتعلق بمدينة صور، حـصل نتيجة خصبها واتجارها بالحاصيل والمنتجات الزراعية.

ونقل ابن حوقل^(٥) توفي سنة ٢٤٩هـ، المعلومات التي جاء بها الاصطخري، ولم يزد عليها سوى الاشارة الى العيون الحارة الجارية التي كانت تغذي بحيرة طبرية اذ أصبحت هذه العيون بمياهها المعدنية، مقصداً للناس من جميع الافاق، يغتسلون ويغوضون فيها ليوافق موضع شفاقتهم^(٦) ومن الطبيعي ان يرافق ذلك نشاط نقل وجلب بعض السلع والبضائع التي كانت تلقى رواجاً في هذه المدينة او في غيرها من مدن الاردن.

غير ان المقدسي يزودنا بمعلومات مهمة عن طبرية التي وصفها بأنها، قصبـة الاردن، وخصوصاً ما يتعلق بنشاطها التجاري، فيذكر ان في اسفل البحيرة جسرأ عليه طريق يتجه نحو دمشق، وتلتف حول المدينة القرى والنخيل والبحيرة كثيرة الاسماك خفيفة الماء، وان السفن فيها تذهب وتجيء^(٧) ويمضي صاحب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ليوضح ان مدينة "اللجش". احدى توابع الاردن موضوعة بين اربعة من الرساتيق قريبة من البحر.

ثم يقدم لنا تفصيلات عن مدينة صور ومينائها الذي كان يستقبل المراكب والسفن التجارية، وقال: ان المدينة حصينة لا يمكن دخولها الا من باب واحدة تؤدي الى جسر احاط بها، وقد ابنتيت حيطان ثلاثة في داخل المياه المواجهة لها، واقتطعت من البحر ثم ركبت سلسلة من الحديد تمنع دخول المراكب في الليل، ويمكن ارجاؤها نهاراً فتغطس في الماء، لكي تدخل السفن اليها لتفريغ حمولتها^(٨).

اما مدينة "عكا" فقد اكتسبت هي الاخرى اهميتها من موقعها على البحر المتوسط ومن مينائها الذي ابنتي منشاته احمد بن طولون صاحب مصر وبلاد الشام ٢٥٤هـ. ٢٧٠هـ/ ٨٦٨-٨٨٢م على غرار مدينة صور^(٩).

وتوضح اشارة المقدسي التي مفادها، ان العدو البيزنطي كان قبل ذلك يغير على المراكب في مدينتي صور وعكا^(١٠)، توضح الاهمية البالغة لتجارة هاتين المدينتين اللتين بلغ من نشاطهما، انهما جلبتا انتباده أكبر امبراطورية تهيمن على تلك المنطقة وتبسط نفوذها السياسي والبحري والتجاري هناك.

وظلت عكا وصور، محتفظتين بمنزلتهما وازدهارهما التجاري خلال القرن الخامس الهجري، يؤكد ناصر خسرو، وجود ميناء عكا للمحافضة على السفن، ويبعدون ان هذا الرحالة، شاهد السفن الراسية وهي تملأ خليج المرفأ فقال انها: تشبه الاساطيل ظهرها ناحية المدينة وحانطها داخل البحر وعلى امتدادهما، مدخل مفتوح وطوله خمسون ذراعاً وقد شدت السلاسل بين الحانطين، فاذا اريد ادخال سفينة الميناء ارخيت السلسلة حتى تغوص في الماء، فتمر السفينة فوقها، ثم تشد حتى لا يستطيع عدو ان يقصدها بسوء^(١١) وقال عن صور: انها بنيت على صخرة امتدت في الماء بحيث ان الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع والباقي في ماء البحر، والقلعة مبنية بالحجر المنحوت الذي سدت فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلاله، وفيها نافورات، ثم يصف اسواقها، بانها جميلة كثيرة الخيرات وخلص الى القول، ان صور عرفت بالثراء، مشيدة على مرتفع وتأتيها المياه من الجبل^(١٢).

وليس من شك في ان ما جاء به ناصر خسرو وهو شاهد عيان يعد استمراراً لدور هاتين المدينتين التجاري في هذا الجزء من بلاد الشام وفي منطقة البحر المتوسط، كما انه

يقدم صورة فيها كثير من الوضوح لما شهدنا من ازدهار في الناحيتين العمرانية والاجتماعية وهو نتيجة منطقية فالثراء واليسر هما من سمات المدن التجارية في تلك الحقبة. إذ تعد مراكز استقطاب لأصحاب الثروات والاموال ومنها صور وعكا اللتان يشكل فيهما التجار المحليون والوافدون نسبة كبيرة في سكانهما فضلا عن نمو أسواقهما.

أما الرحالة الريني بن يامين التطيلي، وهو من أهل القرن السادس الهجري فقد ذكر في رحلته إلى بلاد الشام، أن صور مدينة جميلة لها خليج يتوسطها بين برجين عظيمين، تدخله السفن للرسو عند الميناء، وبين البرجين سلسلة حديد معترضة عليها الحراس الامناء، يربطونها في أول الليل فيتعذر على سفن القرصان، سبيل الدخول للسلب والنهب، سواء من البر أو من البحر، ثم يبدي هذا الرحالة إعجابه ودهشته من نظام هذا الميناء فيقول: ((ليس في بلاد الدنيا ما يماثل هذا الميناء شأنًا))^(١٣).

ومن الجدير بالإشارة هنا إلى أن التطيلي الذي سجل انطباعاته عن تلك المظاهر أثناء تجواله في بلدان العالم الاسلامي وغيره في بلاد الشام، قدم لنا شهادة موثقة عن النشاط التجاري لاقليم الاردن وشهرته في عالم ذلك العصر الذي تمثل التجارة وفعاليتها المختلفة فيه مظهرا من مظاهر الأنبهة والمنية ومدخل إلى الثراء واليسر.

وفي الربع الأول من القرن السابع الهجري، زار الرحالة ابن جبير منطقة بلاد الشام وكتب عنها مذكراته في رحلته، فذكر مدينة عكا التي هي من جند الاردن فقال: ((إنها مرفأ كل سفينة)) حتى أنه كان يشبها في عظمتها بالقسطنطينية التي تمثل في تلك الحقبة مركزا تجاريا عالميا، وقال ايضا ((إنها مجتمع السفن والرفاق وملتقى تجار المسلمين والنصارى من جميع الافاق)) واقاد ((أن يسكنها وشوارعها تغص بالزحام وتضيق فيها مواطئ الاقدام))^(١٤).

وهذه شهادة أخرى، لا تقل أهمية عن شهادة من سبقه من الرحالة بسنوات طويلة، لكنه زاد عليهم ما جاء في وصفه الدقيق والمقتضب عما شاهد من السفن والمراكب وهي ترسو في الميناء من كل حذب وصوب ومن التجار من البلاد الاسلامية وغيرها وقد ملأوا شوارع المدينة بزحامهم فضافت بهم.

ولا نجانب الحقيقة، إذا قلنا أن ما جاء به المؤرخون من معلومات مفصلة عن ميناءي صور وعكا وهما ومن كور

جند الاردن، تعكس صورة واضحة عن مكانة هذا الاقليم وتميزه بين اقاليم العالم الاسلامي وذلك بنشاطه الاقتصادي وازدهار تجارته فكانت عكا أول ساحة التقى فيها التجار الايطاليون من البيزيين والجنوبيين والبنادقة، وتبعهم تجار من بلجيكا وانكلترا، فكانوا يجلبون حاصلات الغرب ويقايضونها بحاصلات الشرق وبضائعها، ثم راحوا يعقدون الصفقات التجارية الاصولية، أما صور فكان لها دور عسكري في مواجهة الغزو البيزنطي، ففيها دار صناعة المراكب والسفن ((ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم))^(١٥) ولكن لا بد أن تسهم دار صناعة السفن في هذه المدينة في تزويد حركة التجارة بالسفن والمعدات اللازمة ومتطلبات تسييرها إلى جانب ذلك فقد كانت مراكب صور تغلغ إلى سواحل خليج القسطنطينية (بحر ايجه) وإلى خليج البندقية (بحر الادرياتيك) وإلى بحر بنطس (البحر الاسود) وتخرج كذلك على جزائر قبرس وروندس واقريطش، وهي تحمل التجار المسلمين أو وكلاءهم والتجار النصارى وغيرهم، وهو يصطحبون تجارتهم وامتعتهم.

واكتفى أبو الفدا في القرن الثامن الهجري، بذكر عكا وصور فقال: ((عكا مدينة كبيرة ساحلية، وإن صور مدينة حصينة ساحلية فيها سلسلة تمنع المراكب من الدخول))^(١٦) ونستدل من قوله على أن هاتين المدينتين لا تزالان، حتى تلك الحقبة، تقومان بدورهما في تجارة بلاد الشام، إذ بقيت الأولى على توسعها منذ القرن الماضي، كما احتفظت الثانية بنظام مينائها الذي كان معمولاً به سابقا، وخصوصا وجود السلسلة التي كانت تربط واجهة الميناء الذي ترسو فيه السفن والمراكب التجارية.

ولا غرو فإن ما ذهب اليه الاستاذ محمد كرد علي من أن مدينتي عكا وصور، كانتا المرفأين الاعظمين بين الموانئ وقاعدتي التجارة ومركزتي القناصل العاملين أيام الحروب الصليبية^(١٧) كان صحيحا إذ جاءت المراكب الفرنسية يقودها بحارة فرنسيون من مرسيليا ومونبلييه وآرل إلى هذين الميناءين، وكان يحدوهم الأمل في الحصول على تجارة مربحة مع بلاد الشام ومصر، كما بذلت جنوا بصورة خاصة جهودها لتبقي لها الأفضلية في التجارة مع بلاد الشام والبلاد المصرية^(١٨).

وهكذا يكون من غير المتعذر، أن نستخلص التأكيد على

الأهمية التي ينطوي عليها وجود ميناءي الأردن عكا وصور في التاريخ الاقتصادي لبلاد الشام، وخصوصاً إذا ما علمنا أن عكا بقيت بخليجها الوحيد على طول ذلك الساحل، مرسى للسفن، طوال العصور الوسطى، كما جلبت صور بمينائها المنظم اهتمام تجار العالم وبها استبغته من حماية وأمن كانا ضروريين لتجاراتهم التي كانت تتطلب مزيداً منها، في حوض البحر المتوسط الذي ما لبثت تتجول فيه سفن القرصان^(١) لتهدد مراكب التجار والمسافرين أينما ظفرت بها على السواحل أو في عرض البحر.

الطرق التجارية:

إن قيام مملكة بيت المقدس الصليبية الممتدة من جبال طوروس إلى القدس وعلى طول الساحل وانتشار مقاومة الصليبيين في جنوب الأردن، أوجد حاجة ملحة إلى طرق اتصال تجارية بين المدن والحصون والقلاع لتأمين وصول المواد والسلع والتموين والبضائع - بصورة منظمة ومستمرة، وقد أصبح ذلك نظاماً ثابتاً بين مدن الأردن الداخلية والساحلية، وظل العمل به حتى بعد طرد الصليبيين من بلاد الشام وفلسطين في نهاية القرن السابع الهجري، ولعل من أهم الطرق التي ظهرت هي:

١. طريق القاهرة دمشق البري والبحري، وهو طريق التجارة الأكثر ازدهاراً بين الشام ومال والجنوب عبر بحر القلزم (البحر الأحمر).

٢. طريق الحجاج الشاميين والصريبيين الذي ينطلق نحو بلاد الحجاز من جنوب الأردن، وقد سميت هذه الطريق "طريق القوافل الكبرى" وكان يجتازها المسافرون السوريون وهي لا تبعد عن البحر إلا قليلاً ويمر بشرق نهر الأردن خارج فلسطين وقد اتاحت الفرصة للتجار المسلمين في تبادل السلع مع التجار الأوروبيين الذين كانوا يسلكون طريق البحر للوصول إلى فلسطين في هذا الموسم، وقد انشأت على هذه الطريق معالم الأمن والراحة للحجاج والمسافرين وقوافل التجار وهناك إشارة مفيدة أوردها أبو الفدا، توضح أن عمان من جند الأردن المدينة الأولى، تقع على درب حجاج الشام ويمر في جنوبها نهر الأرقاء تنتشر حولها المزارع والبساتين^(٢)، وهذه الإشارة تساعدنا على القول، أن عمان كانت مركزاً من مراكز تجمع الحجاج والمسافرين والتجار الشاميين والصريبيين وهم في طريقهم إلى الحجاز أو لدى عودتهم من هذه البلاد.

٣. طريق البريد، الذي يبدأ من بغداد إلى مصر، ماراً بحماة وحمص وبعليبك ودمشق وطبرية من أرض الأردن والرملة وغفار والقاهرة ثم الإسكندرية^(٣)، وكان التجار والمسافرون قد اعتادوا على نقل بضاعتهم وتسيير قوافلهم عليه، لوجود محطات على قارعاته أشبه بالقرى والمدن الصغيرة فيها الخانات والسقايات والمرابط والمعالف فضلاً عن توفر الأمن وبعض متطلباته.

٤. وهناك طريق تجارية من بغداد إلى بلاد المغرب العربي عبر بلاد الشام ماراً بمنطقة الأردن، وقد ذكرها قدامة بن جعفر وأشار إلى أنها تبدأ من بغداد إلى الموصل وسنجار وبلد والجزيرة الفراتية ونصيبين والرقعة وحلب وحماة وحمص وبعليبك ودمشق ثم منها إلى طبرية الأردن ثم الرملة ثم القاهرة ومنها إلى الإسكندرية وأخرها القيروان^(٤) ومن المحتمل جداً أن تكون هذه الطريق سالكة طوال العصور العباسية، لأنها تحمل أكثر تجارات العراق ومنها البصرة إلى بلاد الشام وبلاد المغرب العربي، وكانت "دومة الجندل" المحطة الوحيدة في الطريق بين العراق وبلاد الشام وهي تبعد سبع مراحل عن دمشق وتسع مراحل عن طبرية الأردن^(٥).

٥. وهناك ما يشير إلى وجود طريق تجارية داخلية، يمثل نهر الأردن فيها جزءاً مهماً فهو ينحدر من خلف بانياس فيتجر بأزاء قدس، ثم ينحدر إلى طبرية، وعندها يشق البحيرة ثم ينحدر في أنوار الأردن، وتحمل في السفن الصغيرة في هذه الطريق حواصلات المين ومناجرتها إلى جميع المناطق التي تمر بها ثم تعود حاملة معها بضائع تلك الاصقاع^(٦).

٦. ونسمع عن طريق من جند الأردن وكورها إلى جزيرة قبرص التي تقع قبالة مدينة صور وعلى بعد (٩٢) كيلو متراً وكانت قبرص تضم مدناً عامرة وللمسلمين فيها رفق وسعة لكثرة ما يحمل منها من الخيرات والثياب والالات وهي لمن غلب، المسافة إليها في البحر اقلاع يوم وليلة وذلك على حد قول المقدسي^(٧) وبعد استيلاء الجنوبيين ومن ثم البنادقة، خلال الحروب الصليبية على هذه الجزيرة ازدادت صلاتها مع بلاد الشام وخصوصاً التجارية، إذ نشط التجار الإيطاليون والمسلمون في إيجاد فنادقهم وقياسهم وخاناتهم سواء في مدن قبرص أو الأردن بغية الانصراف إلى



تجاراتهم وتنظيم تعاقداتهم وممارساتهم الاقتصادية. ولعل من المراكز التجارية المهمة في الاردن، خليج ايلة "العقبة" التي امتد اثرها منذ العصر العباسي حتى وقتنا الحاضر، وقد عدا المؤرخون ميناء ايلة من اهم الموانئ على بحر القلزم (البحر الاحمر) فهو يشكل احد المنافذ الرئيسية في شمال هذا البحر، فعن طريقها يتم نقل السلع والحاصلات من الغرب الى الشرق وبالعكس وكانت مدينته تيسر عقد الصفقات التجارية بين المصدرين والموردين كما تؤمن وصول تجارتهم الثمينة احيانا باقل كلفة وبأسرع وقت واكثر تأمينا حتى اصبحت ايلة مطمحا للغزاة والفاحين، وخصوصا الصليبيين الذين سارعوا بعد نشر سيطرتهم في جنوب الاردن وعلى ميناء قلعة الشوبك سنة ٥٠٩هـ / ١١١٠م الى احتلالها وابتناء المعقل والحصون والقلاع حولها لاحكام السيطرة على الطرق والمرات التي كانت تتحكم فيها.

الصناعة والزراعة وتجارتهما:

على الرغم من صعوبة فصل الصناعة عن التجارة في هذه الحقبة بشكل قاطع عن بعضهما، اذ كان الناس الذين ينتجون سلعة ما يقومون في الغالب بالتجارة فيها، كما يتجرون بالسلع الماثلة لها^(١) ولكن يمكن الى حد ما، التمييز في بلاد الشام عموما وفي جند الاردن بصورة خاصة، بين السلع الموردة والمواد والبضائع التي كانت تصنع في مدن الاردن ويقوم المصنعون الحرفيون انفسهم بالتجارة فيها وكذلك بين البضائع التي كان يتخذها هؤلاء في تجارتهم وهي ليست من صنعهم بل كانوا يبتاعونها سواء من الداخل او الخارج، فمدينة "اللجون" تنتج الزيت والزيتون الذي ليس في شيء من البلدان اكثر منه في بلادنا^(٢) ومدينة قدس كثيرة الخير، اكثر اهلها ينسجون الحصر ويقتلون الحبال وقريب منها جبل عاملة ذو قرى نفيسة واعناب واثمار وزيتون وهو يطل على البحر ويتصل بجبل لبنان^(٣)، وكانت اكثر تجارات اجناد الشام من الزيت والحصر والحبال للسفن من هذه الكور وسواها، كما كان من بين سكان مدينة صور من يحترف صناعة الزجاج النفيس المعروف بالزجاج السوري الشهير في العالم وفيها كذلك السكر الجيد^(٤) ومعلوم ان صور كانت مشهورة بصنع الزجاج والسكر في العصور الوسطى، وقد ظلت معاملها تصدر هاتين المادتين حتى سنة ١٢٩١هـ / ١٨٧٠م، كما كانت ايضا اول مدينة اشتهرت بصنع الاصباغ منذ عهد الفينيقيين، وكان التجار يستوردونه

منها ومن صيدا^(٥) وبقيت هذه المدينة تتجر بالار جوان وهو نوع من الصبغة يصنع في صور، وكان الاوربيون يتهافتون في الحصول عليه^(٦) وفي مدينة عمان جبال حمر يسمى ترابها "السمة" وهو تراب رخو وفيها كذلك جبال بيض تسمى "الحوارة" فيه ادنى صلاحية يبيض به السقوف ويطين به السطوح^(٧) ومن المرجح جدا ان السمة والحوارة تدخل في اكثر المباني والمنشآت في الشام والبلاد المجاورة.

وتؤكد المصادر المتوفرة على الاتجار بالحاصلات والمنتوجات الزراعية في اغلب مدن الاردن، فمدينة "بيسان" على النهر كثيرة الفخيل والارزاز و"كابل" مدينة ساحلية، بها مزارع الاقصاب، وبها يطبخ السكر الفائق و"الفراذية" قرية كبيرة، معدن الاعناب والكروم، بها ماء غزير وموضع نزيه^(٨) و"الصلت" (السلط الحالية) في جبل الغور الشرقي، فيها بساتين كثيرة وحب الرمان المجلوب منها مشهور في البلاد وهي بلد عامر اهل بالناس^(٩) و"الكرك" بلد مشهور، احد المعقل بالشام، لها بساتين كثيرة وفواكهها مفضلة من الشمس وغير ذلك، في الافاق و"الشوبك" بلد صغير كثير البساتين وفواكهه من الشمس وغيره مفضلة وتنقل الى ديار مصر^(١٠) وفي البحيرة القريبة من مدينة "قدس" انواع من السمك منه البني حمل الى واسط^(١١).

ومهما يكن من امر تجارات هذه المدن التي ذكرها المؤرخون ووصفها الرحالة، سواء التي شهت بالصناعة الحرفية او بالزراعة فانها اوجدت بالضرورة الركائز الاساسية للنشاط التجاري على النطاق الداخلي في بلاد الشام عموما او مع البلدان المجاورة او البعيدة وهو ما كان يجري في جميع البلاد الاسلامية ولعل من اهم الركائز التي نقرأ عنها، المعملات (المصنوعات) التي اشار اليها المقدسي^(١٢) وهي تشمل على ما يبدو، جميع ما يصنع من المعادن او من الحاصلات الزراعية او من المنتجات الحيوانية التي هي من المواد الأولية الخام، اي ان موارد هذه المدن وانتاجها العام، خلق توجيها نحو التجارة فضلا عن نموه فئة الصناع والعاملين والحرفيين، الذين كانوا يجدون المادة الأولية لصناعاتهم^(١٣).

اما الركيزة الاخرى، فهي فئة التجار — اصنافهم ومراتبهم وتخصصهم التدريجي في عملية الاتجار، فيذكر

المقدس، وجود التجار والصناع^(١١) وأهل الشروة واليسار^(١٢)، كما يشير إلى توفر معادن الكبريت والرصاص والشمس والحرارة (شبيهة بالجص والبورك للبناء والتشييد^(١٣) فضلاً عن وجود مزارع الأقمص والنبع والخليل والأعناب والزيتون والحبوب والأشجار والفواكه^(١٤).

ومن الجدير بالذكر، أن هناك ما يشير إلى وجود الصيارفة والجهابذة^(١٥) الذين كانت تتم على أيديهم عمليات تجارية مختلفة، وخصوصاً ما يتعلق بالتبادل، سواء بالنقد أو بالمقايضة، غير أنه لا يوجد لدينا ما يدل على وجود تجارة الائتمان بالصكوك أو بتحويل ثمن الشراء إلى الصراف، وهو أسلوب من المعاملات التجارية كانت تجري في بعض البلاد الإسلامية^(١٦).

التبادل وتجار المدن:

تسود منطقة البحر المتوسط، ظاهرة الحرية في نقل الصناعات والحاصلات الفائضة والمتعددة من بلاد آخر، ويرجع وجود هذه الظاهرة إلى عهود ما قبل السيل التاريخ، إذ مزج الناس في تلك البقعة وصهروا في عالم دائم التبادل في السلع والرجال والخبرة الفنية^(١٧)، ويمكن أن نلمس تدفق السلع المستمر بين بلدان البحر المتوسط وأوروبا خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، فكان التجار الأفرنج يستبضعون من ديار الشام، الحرير والقطن والكتان والخام والأنسجة الكتانية والحريرية.

أما حركة الصناعيين الحرفيين في هذه المنطقة، فتجد المصريين في بلاد الشام والشاميين في بلاد المغرب العربي وكان منهم الصباغون والصاغة والفرافن والخياطون والنساجون وصانعو الزجاج (الزجاجون) وغزالو الحرير والأسكافيون وغيرهم كثيرون من أصحاب الحرف والصناع. كما نستطيع أن نرى إلى جانب هؤلاء تجاراً من بلاد الشام منتشرين في محيط البحر المتوسط، وتجار من القاهرة وتونس والاسكندرية والمهريّة في صور وعكا وعسقلان وطبرية ودمشق وبغروت وبلبك وغيرها من الديار الشامية، وكان هؤلاء يجاهدون في حمل متاجرهم والتفتيش عن عملاء يبتاعونها، أو العثور على سلع مناسبة يمكنهم مبادلتها أو شراؤها. وفي هذا الصدد، نسمع عن اليعقوبي^(١٨) وهو يتحدث عن مدينة صور يشير من

طرف خفي، إلى تصديرها للسفن والمراكب المصنوعة في دار صناعتها (ترسانتها) إلى مصر وبلاد الروم، ثم نسمع في القرن السادس الهجري عن تجار بالارحوان والاوني الصيفية والزجاج والثمار والعقاقير والحشائش الطبية والأفاويه العطرية. وبقيت هذه المدينة، تعامل من قبل تجار الأفرنج معاملة مثلى لا يمس أحدهم بأذى، ولا يتعدى على حقوقه^(١٩). وعن المقدسي، وهو يعدد تجارات بعض مدن الأردن بقوله: ((ومن مدينتي "صفر" (ولعلها صفد) و"بيسان" يصدر النيل والتمور من مدينة "عمان" الحبوب والخرفان والعسل والرز ومن "طبرية" شقاق الطارح والكاغد (الورق) والبر (نوع من النسيج) ومن "قدس" ثياب المنيرة والبلعيسية والحبال ومن "صور" السكر والخرز (أو الجزر) والزجاج المخروط ومن "ماب" قسوط اللوز^(٢٠)، ويفهم مما أورده ناصر خسرو أن هناك تجارة للمرور^(٢١) (الترانسيت) كانت تراو لها مدينة "صور" ويؤيد التطيلي ما جاء في المصادر، عن شهرة صور بالسكر والزجاج^(٢٢) وأن مصانعها كانت تصدره إلى الأفاق، فتجده في الاسكندرية وتونس والقيروان، كما كان المغاربة يستهلكون "فستق الشام" الذي كان يصل إليهم مع الأصناف الأخرى بواسطة التجار البصريين والشاميين^(٢٣) وكذلك الأقمشة المذهبة المنقوشة^(٢٤).

أما عن المستوردات فليست لدينا معلومات كثيرة ومفصلة ولكن يمكننا أن نقرر من خلال ما أورده المصادر التي أتيج لنا الاطلاع عليها أن تجار بلاد الشام ومنهم تجار الأردن كانت لهم دور وكالة^(٢٥) في القسطنطينية وفي القاهرة وفي العراق^(٢٦) (لعله في بغداد أو البصرة) وعن طريقها كانوا يتجرون عن البضائع المناسبة للبلاد الشامية لعقد صفقات توريدتها إلى هناك، ونسمع عن استيراد "بيسان" إحدى مدن الأردن، التمور الكثيرة والدبس من البصرة^(٢٧) وذلك بواسطة التجار الشاميين والعراقيين وغيرهم ومن هنا استدل على وكالة الشاميين في البصرة، فقد كانت هذه الأخيرة مأوى كل تاجر وطريق كل عابـر^(٢٨) ومن الجهة الأخرى، فإن تجار العراق ومصر والمغرب والشرق الأقصى وبلاد فارس، كانت تحذوهم الرغبة المشوبة بالمعانة في الوصول إلى بلاد الشام لتصريف بضائعهم من توابل الهند

والعطور والفلفل والدار صيني (القرفة) والقرفة نفل والزنجبيل والمسك والكافور والعقاقير والثياب والحناء والمناديل البلية (نسبة الى ابلة في البصرة) والعمائم والاحجار الثمينة ونسيج الذهب واسنان الفيل والحريير والياقوت والماس واللؤلؤ والبللور والسنباذج والقصدير وخشب الساج وقصرن الكركدن فضلا عن الذهب والفضة والطاووس والنعام وريشهما والقردة والموازين والطنافس والرصاص والاحذية، ولعل ابن جبير يجعلنا اكثر اقتناعا في ذلك وخصوصا عندما نقرا له ان عكا التي هي من جند الاردن، ملتقى السفن والتجار المسلمين والنصارى من جميع البلاد حتى انها كانت تضيق بهم^(١٢) كما ان هذه المدينة كانت الميناء الوحيد لتوريد الارز الى بلاد الشام بغية توفيره بسبب كثرة اعتماد السكان على هذه المادة مما رفع من شأنها ليس على نطاق الاردن فحسب وانما في جميع بلاد الشام والعالم الإسلامي، فضلا عن انها كانت المدينة الأكثر اتصالا باوروبا عن سواها من المدن الشامية فاصبحت مطمحا للغزاة الذين كانوا يستهدفون احتلال الشام وفلسطين^(١٣).

اما دور التجار اليهود "الراذانية"^(١٤) ويسمون ايضا "تجار البحر الرهدانية"^(١٥) في نقل تجارة بلاد الافرنج، الى الشام عن طريق البحر المتوسط، فيمكن فهمه على اساس الاتجار بالذهب والنقود وهي ائمن تجارات ذلك العصر واغلاها واكثرها نفعا وربحا وكذلك الديباج والخز الفائق، فكانوا يحملون بضائعهم هذه بانفسهم من اواسط اوروبا الغربية عن طريق مرفئ البحر المتوسط منها عكا وصور وبيروت، فيبيعونها أو يبادلونها بسلع غيرها ثم يتجهون نحو بغداد والبصرة ويسلكون طريق الخليج العربي للوصول الى الهند والصين ثم يعودون ببضائع هذه البلاد، كما انهم يعرجون بطريق آخر الى بلاد المغرب الإسلامي فيتوغلون للوصول الى مراكزه التجارية ويحصلون على الذهب من السودان^(١٦) وأودغست^(١٧) ويعودون به الى اوروبا عن طريق بلاد الشام وانطاكية والقسطنطينية^(١٨) وربما تاجروا بالذهب والنقود هناك.

لقد كشفت جنيزة^(١٩) القاهرة، ان عائلات يهودية كانت تمتن التجارة في فلسطين وصور وعكا والبصرة والاسكندرية وبعض بلاد المغرب، وقد تعاونت هذه الاسر فيما بينها على تبادل الصفقات التجارية والمشاركة مع

التجار المسلمين والهندوس والسيحيين للرواج في تجارات مربحة^(٢٠). وذكر التطيلي، ما يشير الى وجود هذه العائلات اليهودية في مدينة صور وهي تتجر بواسطة السفن والمراكب التي كانت تمتلكها فتجوب البحار في الشرق والغرب، كما كان بعضهم من احترف صناعة الزجاج والسكر^(٢١).

ومن الجدير بالذكر ان الضرائب التي كان يفرضها الحكام والولاة على اقاليم بلاد الشام ومنها جند الاردن، كانت باهظة اذا قورنت بما كان يستحصله حكام الولايات الاخرى في البلاد الاسلامية، فقد فرض الحمدانيون في عهد سيف الدولة اموالا على مناطق بلاد الشام لا يبالغ المقدسي كثير في تقديرها، فقرر على قنشرين ان تدفع (٢٦٠) الف دينار وعلى الاردن (١٧٠) الف دينار وعلى فلسطين (٢٥٩) الف دينار وعلى دمشق اربعمائة ونيص دينار وعلى حمص (٢٤٠) الف دينار، اما خراج الاردن فهو (٢٥٠) الف دينار وخراج فلسطين (٥٠٠) الف دينار^(٢٢) ويمكن ان نستدل من هذه الارقام على النشاط الاقتصادي المتعدد الجوانب الذي تمتاز به هذه البلاد ولعل التجارة في مقدمتها.

اما وحدات الاوزان والنقود التي ارى فائدة من عدم اغفالها في موضوعات التجارات وتبادل السلع (البيع والشراء) الذي يستند في اساسه على الوزن وخصوصا ما يتعلق بكثير من سلع المحصولات والمعمولات والمصنوعات الحرفية، وما يختص بالنقد، قيمته وحجمه وعياره.

ووحدة الاوزان المستخدمة في بلاد الشام ثلاث،

١. وحدة الصاع

٢. وحدة المدى

٣. وحدة الارطال

اما الوحدة النقدية في هذه البلاد خلال الحقبة التي نهتم بدراستها فاساسها "الشعيرة" التي تدخل في قيمة الدينار والدرهم وربما في عيار الدينار (اي نسبة المعدن الثمين الذي يدخل فيه) ففي مدينة "الرملة" في فلسطين تحسب كل ١.٥ صاع كيلجة واحدة وان كل (٢) كيلج يعادل مكوكا واحدا ويساوي (١٠.٥) صاعا وكل (٢) مكوك يعادل (١) ويبة والويبة (٢١) صاعا، اما اللفيز فيساوي (٤) ويبات ويعادل (٨٤) صاعا. وفي مدينة "ايليا" يستخدم المدى الذي يساوي (٢) قفيزات ويحول الى (١٧٢) صاعا، وعلى هذا الاساس فكل (٢/١) مد يعادل قفيزا واحدا ويساوي (٤٢)

صاعاً. وفي مدينة "عمان" يستخدم المدي الذي يعادل (٦) كيالج التي مجموعها (٩) ساعات. ويشير المقدسي الى ان اهل عمان كانوا يبيعون في هذه الوحدة، الزبيب والقطين^(٣)، وربما السـلع والحاج الاخرى، ولعلهم كذلك كانوا يستخدمون ما جرى عليه اهل الرملة او اهل ايليا ايضا من وحدات للوزن في بيعهم وشرائهم، ويبسندو على اغلب الاحتمال، ان مدن الاردن الاخرى تستخدم اوزانا مختلفة، ففي مدينة "صور" القفيز يساوي (١) مدى ايليا اي (٢) قـغيزات من الرملة ويعادل (١٧٢) صاعاً، اما الكيلجة عندهم. فهي صاع وغراره والاخرة ربما تكون من وحدات الصاع. وفي دمشق يحسبون كل (١,٥) قفيز بما يساوي (١٢٦) صاعاً.

اما الارطال، فيجري استخدامها في بلاد الشام، ابتداءً من مدينة حمص حتى مدينة الحفار وتساوي ستمائة^(٣) وحدة وزنية وهذه الوحدة يوضح المقدسي الذي ذكرها ما هيتها وطبيعتها غير انه يذكر ان رطل عكا الذي يساوي (١٢) اوقية، هو الذي فرض وجوده في عمليات البيع والشراء، وان الاوقية تساوي على حد قوله من (٥٠) الى بضع واربعين من هذه الوحدات، اما رطل قنسرين فيساوي (٤) اوقيات أي بمقدار ثلث رطل عكا.

وفي موضوع النقد والعملات المستخدمة في الاردن ومدنه فان المعلومات عنها لا تكاد تفي بالاجابة الدقيقة والمفصلة فالتقد اساسه "الشعيرة" اذ ان الدرهم يساوي (٦٠) حبة وان كل حبة واحدة تساوي شعيرة واحدة وان الدانو يساوي (١٠) حبات اي (١٠) شعيرات ويمكن تحويل الشعيرات الى قراريط الدينار الذي يساوي (٢٤) قرارطاً يعادل في الوقت نفسه (٨٤) شعيرة، ونستطيع ان نحسب قيمة الدينار والدرهم بالشعيرات اذا عرفنا ان القرارط يساوي (٢,٥) شعيرة^(٣) نستخلص من ذلك ان الدينار الذهبي الذي كان يجري التعامل فيه في معظم بلاد الشام والاردن خلال تلك الحقبة يساوي (١,٤) درهماً فضياً، اي ان الدراهم الفضية كانت غالية ويتطلبها الناس وذلك بعكس ما كان سائداً في البلاد الاسلامية الاخرى: فالدينار في العراق في

بداية القرن السادس الهجري يساوي (١٠) دراهم واحياناً (١٠,٥) درهم وفي وقت آخر يساوي (١١,٥) درهماً.

ولعل من المفيد انقول، ان نقود بلاد الشام ومنها الاردن في هذه الحقبة من دراستنا، كانت تقوم على اساس مزدوج وهو الدينار الذهبي والدرهم الفضي وهي النقود التي ورثتها هذه البلاد عن دولة بني امية وتتمثل بالنقود الهبيرة التي ضربها عمر بن هبيرة والخالدية نسبة الى خالد بن عبد الله البجلي واليوسفية التي سكها يوسف بن عمر وكلهم من عمال العراق وولاته وكان العباسيون قد ابقوا التعامل فيها وخصوصاً في العصر العباسي الاول.

واليوسف ليست لدينا معلومات مفصلة عن هذه النقود من حيث انسجامها وخصوصاً ما يتعلق بعيارها أو حجمها أو وزنها أو فيما يتعلق بتداولها وكثرتها في ايدي الناس، مما يؤدي الى رخص ثمنها وكيفية طردها للعملات الاخرى سواء الجيدة منها او الرديئة في السوق وفي محيط التداول.

واغلب الظن ان الدنانير "الارمانوسية"^(٣) و"الرابطية"^(٣) و"الصورية"^(٣) و"المصرية"^(٣) و"الاميرية"^(٣) كانت معروفة لدى اهل الشام وفي الاردن لتوفرها بايدي التجار الذين كانوا يختلطون الى الموانئ وتدل الحركة التجارية النشطة في الموانئ على ليونة النقد والتعامل بالدنانير الوافدة، فاغلبها كان عملة جيدة، يطلبها ويسعى اليها التجار لانهم كانوا يتجافون مناطق العملة الرديئة والرخيصة في معاملاتهم وصفقاتهم التجارية.

لكننا لا نميل الى الاعتقاد بوجود "القراضة" وهي اجزاء السكة وكسورها، وتقطع من الدينار الذهبي^(٣) وذلك في منطقة الاردن على الرغم من شيوعها في بعض البلاد الاسلامية^(٣) وربما كانت تدخل عن طريق بعض تجار العراق والجزيرة الفراتية لوجود التعامل فيها ولقرب هذه البلاد من الشام، ولكن لم يكن يؤخذ بها بصورة رسمية ودائمة.

اما دور ضرب النقود في الشام والاردن بصورة خاصة فهي نفسها التي كان قد اوجدها الامويون ثم ابقى على بعضها العباسيون في دمشق وحلب والرملة وعكا وغيرها، لكن معلوماتنا عنها لا تزال قليلة وغير كافية.

- (١) وهو ما درج عليه المؤرخون منذ ان جند الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بلاد الشام، اربعة اجناد، جند دمشق وجند الاردن وجند حمص وجند فلسطين، ثم ظهر في عهد الامويين جند قنسرين فقال اليعقوبي: ((جند حمص من اوسع مدن الشام وجند دمشق وجند الاردن وجند فلسطين (كتاب البلدان) المكتبة المرتضوية، النجف ١٩١٨) ص ٨٥، ٩٠، وقيل الجند: المدينة، جمعه اجناد، واجناد الشام خمس كور، دمشق، حمص، قنسرين، الاردن وفلسطين، وقد سميت بذلك لان جند كل موضع يقبضون (اعطياتهم فيه، وقال ابن رسته: ((فجند عمر الشام، اربعة اجناد ومتفرقة في ايدي عماله، وبقيت على ذلك التجنيد حتى زاد فيها يزيد بن معاوية قنسرين وكانت من ارض الجزيرة، وجند فلسطين وهي الرملة وجند الاردن وهي الطبرية وجند دمشق وجند قنسرين (كتاب العلاقات النفيسة، ليلين ١٨٩١) ص ١٠٧
- (٢) كتاب البلدان، ص ٨٨-٨٩
- (٣) العلاقات النفيسة، ص ١٠٧
- (٤) المسالك والممالك (اعادت طبعه بالافوسيت، مكتبة الثني ببغداد)، ص ٧٨
- (٥) كتاب الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٢٧-٢٢٩
- (٦) م. ن، ص ٢٥١
- (٧) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٢٧، ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص ٧٨، ابن الفقيه الهمداني، مختصر البلدان، ص ١١٦، ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٤٢
- (٨) المسالك والممالك، ص ٤٥٤
- (٩) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٨٥-١٨٦
- (١٠) م. ن، ص ١٦١
- (١١) احسن التقاسيم، ص ١٦٢-١٦٤
- (١٢) يذكر المقدسي، ان احمد بن طولون، الذي حكم مصر وبلاد الشام احسب ان يتخذ لعكا مثل ما كان لصور ومنعتها واستدارة الحائط على مينائها، لجمع صناعات الميناء ومهرته وعرض عليهم ذلك فذكروا له ان ابا بكر البناء، وهو احد العارفين بهندسة بناء الموانئ، فكتب الى عامله على بيت المقدس فارسه اليه، فقام بمهمته في اقتطاع قسم من البحر يقع قبالة المدينة وبنى جوله وربطه بسلسلة ثم جعل على الباب فتطرة يدخل الى السفن والمراكب فيها، وعندما اكتمل دفع احمد بن طولون نظر ذلك الى ابي بكر البناء الف دينار وخلعا مكافأة له (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ص ١٦٢-١٦٣
- (١٣) م. ن، ص ١٦٣

- (١٤) سفرنامه (نقلها الى العربية د. يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب اللبناني الجديد، ط ٢، ١٩٧٠) ص ٥٠-٥١.
- (١٥) م. ن، ص ٥٠
- (١٦) رحلة بنيامين التطيلي (ترجمة عزرا حداد، بغداد، ط ١، ١٩٤٥) ص ٩١-٩٢
- (١٧) رحلة ابن جبير (دار صادر، بيروت، ١٩٥٩) ص ٢٧٦
- (١٨) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٢٧
- (١٩) تقويم البلدان، ص ٢٤٢، ٢٤٥
- (٢٠) خطاط الشام (بيروت، ١٩٧٠) ج ٢، ص ٢٤٥
- (٢١) اقدم القناصل التي جاء ذكرها، هم الذين عينتهم جنواليا بها في مدينة عكا سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م وكان هؤلاء القناصل يصادقون على توقيعات العقود والوصايا والوثائق والصكوك ويتثبتون من هوية الوافدين الجدد من مواطنيهم، وخصوصا ما يتعلق بالتجار فيحسمون الخلافات التي كانت تقوم بينهم، واول ما ورد اسم القنصل في جملة النزلة الجنوبية التي كانت في عكا، واسط القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، وقد دعوه بنائب القمص (-) ثم انتشرت هذه الرتبة في المناطق الاخرى.
- انظر: محمد كرد علي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٥
- (٢٢) رحلة التطيلي، ص ٩١-٩٢
- (٢٣) تقويم البلدان، ص ٢٤٩
- (٢٤) آدم متر، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ص ٤١٢
- (٢٥) كتاب الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٢٧-٢٢٩
- (٢٦) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١١٥
- (٢٧) المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ١٨٤
- (٢٨) احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص ١٨٤
- (٢٩) جواتياين، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، (الكويت، ١٩٨٠) ص ١٤٧
- (٣٠) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١١٦
- (٣١) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٦١
- (٣٢) رحلة بنيامين التطيلي، ص ٩٢ وافترن بالسكر انواع عديدة من الشراب والحلويات والساكر.
- (٣٣) رحلة بنيامين التطيلي، ص ٩٢، هامش رقم (٢)
- (٣٤) محمد كرد علي، خطط الشام، ج ٢، ص ٢٤٥
- (٣٥) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ١٦٢، ١٨٤
- (٣٦) م. ن، ص ١٨٤
- (٣٧) ابو الفدا، تقويم البلدان، ص ٢٤٢
- (٣٨) م. ن، ص ٢٤٥

(٦١) وسموا ايضا "الرهادانية" أو "الراهدانية" وقد اشتق هذا من اسم نهر الرون، فنسبوا اليه (آدم متر، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٢٧)
(٦٢) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص٢٧٠، ويسميه ابن الصغير المالكي "الرهادنة" (سيرة الائمة الرستميين، ص٤١، ٥٧)

(٦٣) مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢١٩
(٦٤) البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، ص١٥٩
(٦٥) جوايتاين، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص٢٧٧
(٦٦) المقصود بكلمة "جنيزة" حجرة تتخذ مخزنا، كان يلحق بالمعبد اليهودي أو أي مكان تخزن فيه الاوراق المكتوبة بالخط العبري أو غيره، ويعتقد بأنه يجب ان لا تقطع اية ورقة يسطر عليها "اسم الله" وانما تحفظ في مكان امين، وكنيزة القاهرة هي كنيزة كنيسة الفسطاط (مصر القديمة) والكنيزة القريبة من جبانة البساتين بالقاهرة، وقد عرفت هاتان الكنيزتان باسم جنيزة القاهرة وضمت عقودات ومحاضر للجلسات والخطابات والتقارير (جوايتاين، دراسات في التاريخ الاسلامي والنظم الاسلامية، ص٢٤٢، ٢٤٣)

(٦٧) جوايتان، المصدر السابق، ص٢٨١، ٢٨٢
(٦٨) رحلة بنيامين التيطلي، ص٩١، ٩٢
(٦٩) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٨٩
(٧٠) احسن التقاسيم، ص١٨١

(٧١) م. ن. ص١٨٢
(٧٢) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٨٢
(٧٣) البيزنطية، تنسب الى الامبراطور رومانس الثاني (القلقشندي، صبح الاعشى) ج٧، ص١٠، ١٢
(٧٤) وهي الدنانير الذهبية ومصدرها بلاد الاندلس في عهد المرابطين

(٧٥) وهي الدنانير "الشيخة" افرنجية ورومية (القلقشندي، المصدر السابق، ص٤٢٧)

(٧٦) وقد شاع التعامل فيها في بلاد الشام والجزيرة
(٧٧) الدينار العباسي، الذهبي الذي كتب عليه اسم والي العهد وقد منع التعامل بغيره من العملات التي ضربت في دار الضرب ببغداد.

(٧٨) وتسمى "مثلوما" اذا بقي ما يساوي اكثر من القراضة المقطوعة منه ليصبح الدينار يساوي مجموع حجمي (القراضة والمثلوم) (ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٢، ص٢١٢، ٢٩٦)

(٧٩) ذكر ابن خلكان، ان الناس كانوا يتعاملون بالقطع الصغار ويسمونهم القراضة، وهي كثيرة الوجود بأيديهم في معاملاتهم وخصوصا في بلاد الجزيرة والعراق (وفيات الاعيان، ص٢٩٦) وأشار الذهبي الى ان الناس كانوا يتعاملون بقراضة الذهب القيروط والحبّة ونحو ذلك (العبر في خبر من غير، الكويت ١٩٦٦) ص

(٢٩) المقدسي، المصدر السابق، ص١٦٢

(٤٠) م. ن. ص١٨٤، ونود كذلك الى وجود معادن المغرة الجيدة والحديد والرخام والكبريت والملح في مناطق مختلفة من بلاد الشام. ومن المحتمل ان يتجر بها الناس في الاردن.

(٤١) احسن التقاسيم، ص١٥٢

(٤٢) م. ن. ص١٥٢

(٤٣) م. ن. ص١٨٤

(٤٤) م. ن. ص١٥٢

(٤٥) م. ن. ص١٨٢

(٤٦) يطلق الدكتور عبد العزيز الدوري على طريقة المعاملات التجارية بهذا الاسلوب، طريقة التعامل المزدوج، وهو ان يأخذ التجار العملة المحلية لقاء بضائعهم ثم يشترون بهذه النقود بضائع من تلك البلاد وقد وصلت هذه الطريقة حد الكمال في البصرة خلال هذه الحقبة، اذ كانت العملية بوجهيها تتم عن طريق الطرفين دون الحاجة الى استعمال النقود فعلا (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت، ١٩٧٤)، ص١٥٤

(٤٧) جوايتاين، دراسات في التاريخ الاسلامي، ص١٧١

(٤٨) كتاب البلدان، ص٨٨، ٨٩

(٤٩) محمد كرد علي، خطط الشام، ج٢، ٢٤٥

(٥٠) احسن التقاسيم، ص١٨٠

(٥١) سفرنامه، ص٥١

(٥٢) سفرنامه، ص٥١

(٥٣) رحلة التيطلي، ص٩٢

(٥٤) د. عز الدين احمد موسى، النشاط الاقتصادي في المغرب الاسلامي في القرن السادس الهجري (بيروت، ١٩٨٣) ص٢٢٨

(٥٥) المنتمون اليها يسمون بنواب التجار أي "وكلاء التجار" وبالعبارة بيكيدها اسو حاريم ويميل جوايتاين الى القول ان هذه الوظيفة هي صورة مطابقة لقناصل المدن الايطالية التجارية في بلاد المشرق وفي الشام بصورة خاصة، ومهمته تشييد دار الوكالة ليخزن فيها بضائع زبائنه وتستخدم لعقد الصفقات التجارية العامة، اذ من المعتاد ان تجري صفقات البيع والشراء فيها (دراسات في التاريخ الاسلامي، ص٢٧١، ٢٧٢)
(٥٦) ابن ميسر، تاريخ مصر (نشر هنري ماسيه، القاهرة ١٩١٩)، ص٦٢، ٨٨

(٥٧) المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٨٠

(٥٨) ابن الفقيه الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص٩٢

(٥٩) رحلة ابن جبير، ص٢٧٦

(٦٠) اشار المصدر السابق الى ان الافرنج انتزعوها من ايدي المسلمين فاصبحت قاعدة من قواعدهم في بلاد الشام، وكان ذلك يمثل اكبر خسارة للعالم الاسلامي (فبكي لها الاسلام ملء جفونه، وكانت احد شجونه، ص٢٧٦)

المصادر والمراجع

- آدم منتر .
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، عصر النهضة في الإسلام (دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان).
- الاصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت ٢٤٤هـ/١٥٢م)
- المسالك والممالك (القاهرة، ١٩٦١).
- بنيامين التيطلي، الرحالة الريي بنيامين يسمونه التيطلي النباري الاندلسي (ت ٥٦٩هـ/١٧٢م) البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م)
- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (الطبعة الأوروبية، ١٨٥٧م)
- ابن جبير أبو الحسين محمد بن أحمد الكناشي الاندلسي الشاطبي البلبني (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)
- رحلة ابن جبير (دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٩)
- س. ن. جوايتان
- دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية (ترجمة د. عطية القوسي) (الكويت، ١٩٨٠).
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصللي الحوقلي البغدادي (ت ٣٦٧هـ/٩٧٧م) صورة الأرض (دار مكتبة الحياة، بيروت)
- ابن خردادبه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٢٠٠هـ/٩١٢م)
- المسالك والممالك (إعادة طبعه بالافيسيت، مكتبة المثنى، بغداد)
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٢م)
- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان (مصر، ١٣٦٠هـ)
- ابن رسته أبو علي أحمد بن عمر (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م)
- الاعلاق النفيسة (لیدن، ١٨٩٦م)
- ابن الصغير المالكي، عبد الله بن أبي عبد الله (ت نهاية القرن الخامس الهجري)
- سيرة الائمة الرستميين (باريس، ١٩٠٨)
- د. عبد العزيز الدوري
- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري (مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٨)
- د. عز الدين أحمد موسى
- النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، خلال القرن
- السادس الهجري (دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢)
- أقدماء بن جعفر أبو الفرج، الكاتب البغدادي (ت ٢٢٠هـ/٩٢٢م)
- نبد من كتاب الخراج مصنعة الكتابة (منشورات مع كتاب المسالك والممالك لابن خردادبه)
- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز (ت ٧٤٨هـ/١٢٤٧م)
- العبر في خبر من غير (تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت، ١٩٦٠)
- أبو الفداء، اسماعيل بن نور الدين بن علي بن محمود بن محمد (ت ٧٢٠هـ/١٧٢١م)
- تقويم البلدان (مطبعة دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠)
- ابن الفقيه أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت ٢٤٠هـ/٩٥١م)
- مختصر كتاب البلدان (لیدن، ١٢٠٢م)
- ابن القلانسي، أبو يغلي حمزة (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م)
- ذيل تاريخ دمشق (بيروت، مطبعة الالباء اليسوعيين، ١٩٠٨)
- القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢٢هـ/١٤١٨م) صبح الاعشى في صناعة الانشا (القاهرة، ١٩٢٢)
- مجهول (عاش اواخر القرن السادس الهجري)
- الاستبصار في عجائب الامصار (الاسكندرية ١٩٥٨)
- محمد كرد علي
- خطط الشام (بيروت، ١٩٢٠) الجزء الثالث
- القدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المعروف بالبشاري (ت ٢٧٥هـ/٩٨٥م)
- احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (لیدن، ١٩٠٦)
- ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م)
- تاريخ مصر (طبعة هنري ماسيه، القاهرة، ١٩١٩)
- ناصر خسرو، أبو معين القبدياني الروزي (ت ٤٨٨هـ/١٠٨٨م)
- سفرنامه (ترجمة د. يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٤٥)
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤هـ/٨٩٥م)
- كتاب البلدان (المكتبة المرتضوية، النجف، ١٩١٨)

من مظاهر التحديث في ديالى

وفقاً لجريدة الزوراء العراقية ١٨٦٩-١٩١٧.

أ. د. طارق نافع الحمداني

جامعة بغداد / كلية التربية

١. أوجه التحديث ومظاهره في مدن العراق عامة وديالى خاصة

يتناول هذا الموضوع ((محافظة ديالى)) في الوقت الحاضر، التي كان يطلق عليها في حقبة البحث اسم ((قضاء خراسان))، فضلاً عن أقضية أخرى تشكلها المحافظة آنذاك وهي قضاء خانقين. وقد تغيرت أسماء الألوية والأقضية والنواحي كثيراً، حتى صار قضاء خراسان لواء باسم (لواء ديالى).^(١)

ونحن ندرس مظاهر التحديث في ديالى لابد من القول إن تغيرات عديدة قد حصلت في هذه المدينة، شأنها في ذلك شأن بقية المدن العراقية الأخرى، بفضل اصلاحات تم اجراؤها في الميادين الادارية، والاقتصادية والاجتماعية، وقد اثرت بشكل أو بآخر في نمط الحياة العامة، ونقلها من حالة التخلف والركود التي كانت عليها الى حالة أفضل في تسيير امور الدولة إدارياً، وتقديماً خدمات اجتماعية أكثر تقدماً. ويدخل في هذا الإطار إنشاء السكك الحديدية وخطوط البرق والجسور والمعابر. وكان الأثر الفعال لمثل هذه الخدمات قد تناولته الصحافة، وبالذات الزوراء. باعتبارها الصحيفة الرسمية العثمانية، حيث نشرت أخبار هذه النشاطات التي استعملت في

العراق أول مرة. ومما يجب تأكيده هنا، أن التطور الذي شهدته المدن العراقية آنذاك، لم يأت دفعة واحدة، ولم يجر قبوله بسهولة، ذلك لأن المجتمع العراقي وقتئذ كان لا يزال يعيش في تراث الماضي وتقاليده، ولم ينفذ عنه غبار الماضي ويتلمس جلابيب الاصلاحات الحديثة، إلا بفضل الضغوط العديدة التي جاءت من المكتشفات الحديثة التي إنتشرت سريعاً في العالم، ومن التأثير الغربي الواسع غير المقصود، ومن اجراءات حكومية عديدة^(٢)، ابتدأت بمجيء مدحت باشا الى العراق عام ١٨٦٩.

يعد مدحت باشا أول وال عمل على إدخال مظاهر التحديث الى العراق في جوانب الحياة المختلفة، لإدراكه أن العراق كان يعيش في عزلة عن تيارات الحضارة الغربية التي تأثرت بها بعض الولايات العثمانية. وتميز الوالي مدحت باشا عن الولاة الذين سبقوه باطلاعه على المشكلات التي عاناها العراق ودراساتها، والسعي لوضع الحلول الناجعة لها قبل تسلمه منصب الولاية، لذلك جاءت محاولاته الاصلاحية لوضع قواعد النهضة ودعائم التحديث في العراق، في مرافق الحياة الحيوية^(٣).

تناولت اصلاحات مدحت باشا مجالات

العراق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، نتيجة للاتفاقيات التي جرت بين الحكومتين البريطانية والعثمانية عام ١٨٥٧، والتي أسفرت عن إيصال خط برقي من الهند إلى البصرة في بغداد، في قاع نهر دجلة، وتم مد خط مماثل ما بين بغداد واستانبول في حزيران عام ١٨٦١.^(١٧)

مدت في السنوات القلائل التالية خطوط برق إضافية بين بغداد والفاو، وبين بغداد و خانقين، وبذلك تم وصل المدينة بالهند وفارس. واستمرت عملية إيصال الأسلاك البرقية من بغداد إلى بقية مدن الولاية، فأوصل الخط البرقي منها إلى مدينة بعقوبة، مركز قضاء خراسان، في عام ١٨٦٩.^(١٨) ولا كانت ممارسة أعمال النقل بطيئة في العراق عموماً، ولا يمكن الاعتماد عليها كثيراً، فإن اتساع نظام البرق إلى معظم أجزاء العراق، قد ساعد على تقوية قبضة الحكومة على أموره، وإدخال الإصلاحات الحديثة التي كانت تنوي القيام بها.^(١٩)

أما بالنسبة للبريد، فلم يعرف العراق وجود خدمات بريدية منتظمة قبل عام ١٨٦٨، إذ كان البريد يعتمد على بريد شركة الهند الشرقية البريطانية، وبريد السعاة المعروفين بالتتارية، الذي يقوم بنقل الرسائل بين بغداد واستانبول. ولكن الحكومة بدأت الاهتمام بأمر البريد، فقامت عام ١٨٦٩ بإصدار نظام (إدارة البوسطة الأساسية) الذي نشر في ٢٦ ربيع الآخر ١٢٨٨ هـ / تموز ١٨٧١ م، وبموجبه شرعت بفتح دوائر للبريد والبرق في مدن العراق المختلفة، وشملت مدن: بعقوبة و خانقين والحلة وشهربان والدليم و كربلاء والديوانية، وهي المدن التي كان قد وصل إليها الخط البرقي آنذاك.^(٢٠) وشهد العراق ومدنه الرئيسية في مطلع القرن العشرين، استخدام الهاتف (التلفون)، إذ ربطت

مختلفة، ففي مجال الإدارة طبق نظام الولاية الذي أصدرته الحكومة العثمانية في عام ١٢٨١/١٨٦٤، وبموجبه أصبحت ولاية بغداد مؤلفة من لواء بغداد نفسه وإقليته، وضمت إقليته خراسان و خانقين، وأدخل بموجب النظام الإداري الجديد عدداً كبيراً من الموظفين المدربين الذين حلوا محل أشباه الأميين من البشوات والاغوات، ووضع لكل وحدة إدارية ملاكاً ثابتاً من الموظفين وثبتت واجباتهم لإنجاز الأعمال التي كان يزعم القيام بها في العراق.^(٢١)

أرسى مدحت باشا الأسس الأولى لعملية التحديث في مجال البلديات والمجالس البلدية، وبنى المدارس مما زاد في نسبة المتعلمين في العراق، وأسس المصانع وأوصى باستيراد عدد من المكنائن لتطوير الصناعة، وعمل على تطوير مشاريع الري، وأصدر جريدة الزوراء. ولا يمكن لاحد أن ينكر ما لهذه الأعمال الإصلاحية من أثر في العراق، وأقل ما يمكن أن يقال فيها أنها هيأت النفوس للإصلاح، ولو سار الولاة الذين جاءوا بعده على منواله لتغير وجه العراق.^(٢٢) لقد تعاقب على العراق بعد عزل مدحت باشا عام ١٨٧٢ ولاية متعددون لم يقيم أكثرهم بعمل يذكر، فكانوا ضعافاً في الإدارة تعوزهم الثقافة والمعرفة، ولم تعرف سوى أسمائهم، وصار العراق يستقبل الواحد تلو الآخر دونما فائدة تذكر منهم.^(٢٣)

ومهما يكن من شيء، فإن هناك عدداً من مظاهر التحديث التي استفادت منها المدن العراقية، ومن بينها ديارى، حيث تركت أثراً واضحة في حياة المجتمع ونهضته الحديثة، فخطوط البرق (التلغراف) مثلاً قد تم مدّها إلى

مدينة بغداد بمدينة الكاظمية بالهاتف عام ١٩١٢، ثم جرى مد اسلاك للهاتف بين بغداد ومدينة بعقوبة، مركز قضاء خراسان^(١٣).

وفي الوقت الذي سسارت فيه الخطوط البرقية (التلغراف) والملاحة النهرية والبحرية على خير ما يرام لربط اجزاء العراق المختلفة وتسهيل السير فيه، فإن خطوط المواصلات الاخرى قد اصابها التعثر، فمن المعروف أن الطرق في العراق، باختلاف المناطق، كانت مهمة وغير مكسوة، وتغرق عمقا في اتربة الصيف، وتفيض فتتحول الى بحار من الوحل، بسبب الامطار او فيضان القنوات، وغدت سكك الحديد اكثر قبولا باعتبارها من الوسائل العملية في هذه البلاد.

ولقد طرحت مشروعات مختلفة منذ خمسينيات القرن التاسع عشر لمد خطوط حديد من البحر المتوسط الى العراق، او حتى الى الهند، ولكنها لم تكن مشروعات اقتصادية، فصرف النظر عنها^(١٤) ومع ذلك، ففي سني الثمانينيات من القرن التاسع عشر، تألفت شركة محلية لمد خط حديد بين بغداد و خانقين، بالوسائل المحلية المتوفرة، الا ان عدم توفر رأس المال اللازم قد حال دون تحقيقه، ولم يكن المشروع الذي خلفه في سنة ١٨٩٠ أحسن حظا^(١٥).

ومع تعثر مشاريع سكك الحديد في العراق، فإن خدمات النقل القديمة ظلت قائمة فيه، بين بغداد ومدنها إذ بدأ ظهور العربات اليرية المعتادة في الربع الاخير من القرن التاسع عشر، وكان هناك خط عربات (تجرها الخيل) منتظم بين بغداد وبعقوبة، وبين غرب بغداد وسامراء، وهذه الخطوط تعتمد اساسا على حركة الحجاج الكثيفة^(١٦).

ومن وسائل الانتقال المهمة في ولاية بغداد، دواب الحمل، كالبغال والجمال، التي كانت تسلك طرق القوافل المهمة التي تربط بغداد بكرمنشاه وهمدان، مارة بمدن بعقوبة و خانقين وقصر شيرين. ويمر على هذا الطريق، كما يقول عيساوي، ما يقرب من (٥٠) ألف حمل جمل و (٤٠) ألف حمل بغل الى كرمشاه خلال العام، وتتجه حمولة (١٠) الاف حمل فقط الى خانقين: وحمولة (٢) الاف الى قصر شيرين^(١٧).

ومما يذكر هنا، أن مدحت باشا قد اوجد في اثناء ولايته للعراق (دائرة النافعة) لتكون مسؤولة عن الطرق والمعابر في العراق. الا أن هذه الدائرة كانت قد ألغيت بعد مغادرة الوالي مدحت باشا لبغداد بأقل من شهرين وقد خلت ولاية بغداد طوال السنوات الواقعة بين عامي ١٨٧٢ و ١٩٠٦ من وجود أية دائرة متخصصة تقوم بتنفيذ المشاريع العامة كالطرق والجسور ووسائل الاتصالات الاخرى ومشاريع الري، لذلك عهدت الى دائرة البلديات للقيام بهذه المهمات^(١٨) الا ان الملاحظ، ان هذه الدائرة لم تقم بأعمالها بصورة مرضية، وبخاصة في مجال انشاء الجسور في ولاية بغداد وأقصيتها، ومنها قضاء خراسان. ففي اثناء مروره بمدينة بعقوبة عام

١٩١٤، وصف لنا هيو بارد Hubbard، جسر بعقوبة العائم بقوله: ((في طريقي من بغداد الى (ارات) مررت ببعقوبة حيث وجدت ما يثير إشمئزانا، ذلك لان الجسر العائم لم يكن ليسمح بمرور العربات (ذات العجلات) ولذا وجب علينا ان نغير سير العربة، ونعبر نهر دياي بواسطة (قفة). وفي الجانب الآخر من النهر وبعد مسيرة ميل وجدنا عربة اخرى بانتظارنا، لاستبدال

تعاقبت عملية بناء محطات القياس لارتفاع مناسب المياه في أماكن مختلفة من دخول مياه نهري دجلة والفرات في العراق. وعلى الرغم من أهمية الفيضان وأخطاره في العهد العثماني، فإن الولاة العثمانيين لم يقوموا بعمل جاد لدرء خطر الفيضان سوى تقوية السدود وبطريقة السخرة، وبطرق بدائية ومواد بسيطة كالتراب والخشب.^(٣١)

ومن الفيضانات التي تعرضت لها بعقوبة ولم يتمكن الولاة العثمانيون من إيقافها ما حدث عام ١٨٨٤، إذ كتبت جريدة الزوراء في عددها ١٥٦ نيسان ١٨٨٤ ((وفي الوقت نفسه طغت مياه نهر ديارى فاغرقت مناطق بعقوبة وبهرز والهويدر ونواحيهم [كذا]))^(٣٢)

ولعل من أخطر الفيضانات التي تعرضت لها بعقوبة، ذلك الذي حدث عام ١٩٠٧ في عهد الوالي أبو بكر حازم (١٩٠٧-١٩٠٨) حيث قالت الزوراء:

((فاض نهر ديارى فيضانا لم يسبق له مثيل فصارت المياه تجري في نهري دجلة وديارى حتى استولت على الاراضي في أطراف البلد فاحاطت بجوانبها الثلاثة، فابتدر من جهة محافظة البلد بتحكيم السداد الموجودة وهي من تراب، وسورع من الجهة الاخرى لتعمير الحال المنخرمة من الاسداد التي في طرفي دجلة وسندها بغاية الاهتمام، والضرر في قضاء خراسان من فيض هذين النهرين مرة وهو امر طبيعى، فلذلك اعطيت الاوامر الاكيدة الى من يلزم تبليغه بايثار المعاونة اللازمة الى اهالي تلك الانحاء، أما المياه المستولية على طريق القضاء المذكور فقد صارت مانعة للمرور والعبور وخربت اسلاك البرق)).^(٣٣)

أما عن الخسائر الناجمة عن ذلك الفيضان فقد كتبت جريدة الزوراء:^(٣٤)

عربتنا))^(٣٥). وهكذا يظهر لنا من هذا الوصف، طبيعة جسر بعقوبة (جسر الطوافات او العوامات) الذي كان ضعيفا لا يسمح بمرور عربات النقل ذات العجلات. ويشير الأمر الى تقصير إدارة البلديات في العراق، في بناء الجسور الحديثة الكافية لعمليات النقل البري. ومن الامور الحديثة التي جرى استخدامها في العراق في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، الكيروسين اذ بذلت محاولات (زمن مدحت باشا) للاستفادة من رواسب النفط حول مندلي، وذلك باعداد مشروع لتصفيته في بعقوبة سنة ١٨٧١. إذ كان يتم استخراج (الكيروسين) بالوسائل المحلية المتاحة، وكان يكلف البلدية ٦٧٠ بارة للقية، ومع ذلك فقد حل تدريجيا محل زيت الزيتون في الأسواق إذ جرت العادة على استخدامه من قبل كما أصبح في مكاتب الادارة وغيرها. ونتج عن ذلك الاستغناء عن الكيروسين الامريكي، وأصبحت كل مدينة تستخدم مصابيح الكيروسين.^(٣٦)

ومع أهمية الزراعة والري في تحديث العراق، إلا أن المشاريع في هذين المجالين ظلت قاصرة. إذ أن أية خطة قد ترسم لتطويرهما لا تكون ناجحة بدون السيطرة على المياه، وإطلاقها وتوزيعها، وموازنتها مع الاراضي الموجودة. ولم يكن الولاة العثمانيون في العراق يدركون مثل هذه القاعدة العملية السليمة، مما جر البلاد الى كثير من الكوارث والنكبات، بخاصة وأنه لم تكن هناك (محطات قياس) لمعرفة كميات الماء في الانهر وتصريفها عند مدينة بغداد. وكانت أول (محطة للقياس) قد أنشأها السير وليام ويلكوكس عام ١٩٠٦ في منطقة دار القنصلية البريطانية في الضفة اليسرى لنهر دجلة، بعد ذلك

((أمطرت السماء في قضاء الخالص لمدة ٤٨ ساعة ثم تارت عاصفة فانحدر سـيل من نهر ديالـي فانهدمت ديار كثيرة واحاط الماء قرية (الهويدر) وبساتين أطراف بعقوبة، وارتفع الماء على كافة بساتين وقرى (خرنابات) و(شفة) و(بهرز) وانقطعت الطرق، وخرب في قرية (دلي عباس) مائة مسكن، وفي ناحية (شهربان) اربعون داراً، وفي قرية (أبو صيدة الكبير) ثمانون مسكناً وبقيت بساتينها تحت الماء، وخربت ديار كثيرة من ديار (الزهيرات) و(العواشق) و(أبو صيدا الصغير) و(المخيسة) و(بلدروز)، وتفرقت العشائر الساكنة تحت الخيام، وانهدم صدر جدول (بـلدروز) واستولت مياه ديالـي على قسم من مزارع الهارونية وشهربان والاسيود، فأتلفت المواشي والاغنام، وبسبب فيضان نهر ديالـي فاض الماء في النهر وان حتى صار كنهـر ديالـي وانهدم في قرية تيل تاوه (قضاء الخالص حالياً) مساكن كثيرة)).

٢. جريدة الزوراء مظهر من مظاهر التحديث. كانت الزوراء أول جريدة صدرت أيام ولاية مدحت باشا في العراق سنة ١٨٦٩، وقد ظلت الجريدة الرسمية لولاية بغداد الى الاحتلال البريطاني لهذه المدينة عام ١٩١٧.

ومن قراءة الاعداد الاولى للجريدة يلمس القارئ ان مدحت باشا لم يصدرها دونما هدف، وانما كان يروم تثقيف الشعب، وتنبيهه الى ما يروم القيام به من اصلاحات حديثة، وما يجب على الشعب عمله. صدر العدد الاول من الزوراء يوم الثلاثاء في الخامس من ربيع الاول من عام ١٢٨٦هـ/ الموافق الخامس عشر من حزيران عام ١٨٦٩، باللغتين العربية والتركية. وقد نشرت في هذا العدد صورة الفرمان العالي لتولية مدحت باشا ولاية بغداد،

الذي ألقاه في (سراي الحكومة)، وأطلع سامعيه على انه جاء برغبة مخصصة لإفادة البلاد وإثراء السكان، وإدخال العديد من التغييرات والإصلاحات التي يرجو نفعها، والتغييرات التي قد لا تكون موضع موافقة في بداية الأمر، ولكنها قد تصبح موضع التقدير عندما يدرك الناس النفع الذي يعود عليهم من ورائها.^(١)

وفي هذا الفرمان يصف الوالي حالة العراق وتأخره، وما وصلت إليه الحال وإلى فطنة أهله وشهرتهم فيقول: ((وهنا الاراضي تقبل كل نوع من العمارة والاهلون لانقون لكل تعليم، وفطرتهم معلومة واستعدادهم مشهور، فيستطيعون اكثر من غيرهم التقدم، لينالوا حظاً من الثروة والحضارة، لكن الخراب المستولي، وعدم النشاط ناجم عن تقصير الأهلين، ونأمل أن نصل الى الغاية المطلوبة فنرى الآثار النافعة وثمار المساعي في أقرب مدة)).^(٢)

وهناك شعور عميق بالتخلف عن الأمم الأخرى، وضرورة الاسراع في التقدم لسائرة ركب الحضارة، بخاصة في مجال الزراعة والتجارة، كما يقـتضيه العصر، حيث يقول:

((ما أعجب الحال وما أغرب هذه الاحوال ان قوة إنبائية أراضـي الحنطة العراقية التي هي فوق العادة حال كونها قد حيرت العقول، وملاّت بطون صحايف التواريخ وازهرت في آفاق العالم كالمرخ، فنحن الى الآن نروم خفض هذه الشدة المرتفعة ونريد ان نبقي بلا اسم ولا شهرة. وإلى الآن نستعمل الآلات الباقية من عهد نوح ومع هذا فلا يمر بخيالنا أمر تكثير زراعتنا ولا يسري بخاطرنا توسع دائرة تجارتنا وتوفرها.

عجبا ما هي الأسباب الموجبة لنقص مملكتنا

عن درجة الاقطار السائرة، وما هي الامور المجبرة
لقدني زراعتنا يوماً فيوماً، هل أنها [كذا] لا تحتوي
على الاراضي القابلة للحرث والزرع؟ أم ليس فيها
ما يروي مزارعها؟ فأن أجيبنا عن أحد هذين
السؤالين قلنا ليس عندنا أراضي [كذا]، فأن
الاراضي الخالية الوسيعة التي قد امتلأت التواريخ
في ذكرها، والتي هي اليوم تُصب أعيننا، القابلة
لكل نوع من أنواع الزروع تكذبنا // وإذا قلنا ان
مياهنا لا تروي مزروعاتنا فأن نهري دجلة
والفرات الشاهدان العادلان [كذا] الجاريان في وسط
مملكتنا يكذبان مدعانا هذا

فالان الشيء الواجب علينا، والامر الموجب
لترقيتنا انما هو ترك البطالة والعطالة والتشبث
بأسباب الترقيات، ووضع آثارها في ميدان
العيان^(١٦).

وهكذا نلاحظ كيف كانت الزوراء تلفت أنظار
المواطن العربي الى أنه في بلد متخلف برغم تقدمه
ووفرة إنتاجه في الماضي، وخصوبة أراضيه ووفرة
مياهه، وعليه يجب نبذ الإهمال والأخذ بأسباب
التطور والتقدم.

نبه الفرمان العالي بصورة صريحة الى حالة
أوربا وتقدمها، ودعا الى السير وراء أوربا، لانها
سبقت الشرق بثلاثة قرون أو أكثر، وكانت الزوراء
تنشر فعلاً كثيراً من الأخبار عن معالم الحضارة
والتقدم في العالم، لتنوير افكار الناس وتنبيههم
على ما هم عليه.

والأهم من ذلك كله، أن الزوراء كانت تنشر على
صفحاتها شؤون الولاية وأحداثها، والقوانين
والانباء الرسمية والبراءات السلطانية، حتى
استفاق الناس بأن هناك حكومة وقوانين، وهناك
اصلاً فعلياً، فلا بد والحالة هذه ان توظف هذه

الدعوات والتوجيهات انظار الناس بعد فترة السبات
الطويل الذي كانوا عليه، وان يتطلعوا نحو الاحسن
في حياتهم.

(٣). مظاهر التحديث في ديالى وفقاً لما نقلته جريدة
الزوراء:

من المعلوم أن جريدة الزوراء كان لها مراسلون
ومدراء تحرير في مناطق العراق المهمة، وكان هؤلاء
يمدون الجريدة بمعلومات المناطق التي يوفدون
اليها أولاً بأول. فقد ورد عن أحد مدراء تحرير
جريدة الزوراء في خانقين الآتي:

((... ان وظيفة مكلفية مدراء التحريرات
وكتابتها الموجودين بالامور التحريرية في الولاية
والاقتضية باعطاء الوقوعات والحوادث المحلية
لجريدتكم المعتبرة هي معلومة، فببناء على هذا
الاساس ها أنا أبدأ بمكتوبي هذا لاعطاء الحوادث
المحلية...)).^(١٧)

والملاحظ ان قائم مقامي الاقضية آنذاك كانوا
يسهمون في تسجيل أسماء المشتركين بجريدة الزوراء،
إذ جاء في العدد ١٤٢٧:

((نشكر قائم مقام قضاء مندلي ذا العزة راشد
بك أفندي على ما أسداه، ونذكر بلسان الشناء ما
أبداه من إستحضار ثلاثة وثلاثين شخصاً مشتركين
لجريدتنا وإرسال ورقة اسمائهم لطبعتنا، اذ علم أن
دوام إنتشار جريدة الولاية في حالة تستوجب
الإفادة العمومية يتوقف على تكثير المشتركين فبذل
في ذلك همته واثراً اعتنائه وغيرته)).^(١٨)

وليس ذلك فحسب، انما أوردت الزوراء في
أماكن مختلفة - إشارات لقيام قائم مقامي الاقضية
بجمع بدلات إشتراك المواطنين في جريدة الزوراء،
مما استدعى إظهار الشكر لهم، إذ جاء فيها:

((نشكر همة مصطفى سالم أفندي، قائم مقام

قضاء خانقين، المبذولة في جمع بدلات جريدتنا عن السنة الحالية من أصحابها وإرسالها بتمامها الى مطبعتنا. ولا ريب في أن صنيعة هذا الجميل دلت على حبه للمعارف، هذا ونرجو بصورة جدية من قائم مقامي الأقضية السائرة ان يبذلوا همتهم)).^(١٨)

ومثل هذه النشاطات التي كان يقوم بها قائم مقامو الأقضية، أدت الى زيادة عدد قراء جريدة الزوراء، وكانت مثل هذه الزيادة مثار اهتمام محرري الجريدة، إذ جاء في احد اعدادها: ((بينما كان المشترون لجريدتنا في قضاء مندلي منذ كم سنة بقدر ثمانية عشر اذ قد فهم ان مشتري الزوراء بهذه السنة بلغوا ستة وثلاثين مشترياً، وذلك بهمة قائم مقام القضاء ذي الرفعة عارف افندي)).^(١٩)

وتساءلت الجريدة: ((وما هذا الشوق والرغبة الا من مزيد عرفان الأهالي بقدر أوراق الحوادث وأهميتها، فنحن بالخاصة نشكر رغبة الأهالي في هذا الباب)).^(٢٠)

هذه هي جريدة الزوراء الرسمية، وهي تعكس لنا المرحلة التي كانت تعيشها البلاد آنذاك، إذ كانت تنقل اخبار المناطق المختلفة وحوادثها. فعندما كانت أسراب الجراد تغزو أطراف العراق وتلحق افدح الخسائر بالمزروعات فإن الزوراء كانت تنقل اخبار هذه الآفة، والجهود الحكومية المبذولة في هذا الشأن، مشيرة الى استخدام (التلغراف) كاحدى الاختراعات الحديثة للإبلاغ السريع، عن هذه الآفة في أقضية مندلي وخانقين وغيرها.^(٢١) ولما كانت سكك الحديد من مشاريع التحديث

التي جرى العمل بها في العراق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فقد روجت الزوراء لمثل هذه المشاريع وفائدتها العامة، وبخاصة في مجال النقل أو التجارة، كما حصل الأمر في أوروبا، إذ جاء فيها:

((طرق الحديد كما هو عند كل احد معلوم وبأي قدر ما تكون طرق الحديد زايدة في ملك فانه يترقى في التجارة والثروة، وهذا أمر غير موهوم. واذا جعل أمام نظر المطالعة أن طريق الحديد قد قصر جملة من الطرق الطوال البعيدة، فانما يتعين ان الواردات التجارية والاخذ والعطاء قد كسبت السهولة بأي درجة وان طرق الحديد في أوروبا صادف ممرها في أكثر الاحيان جبلاً وتلالاً وودية وإزالة.. ولم يحصل التأخر والاحجام عن إيصالها الى النقطة المطلوبة... أما طرقنا فهي مستوية للغاية وليس عندنا في غير العمليات الترابية جبال تخترق ولا لنا أودية تدفن)).^(٢٢)

وفي الوقت نفسه، فقد ثبتت الزوراء تفاصيل العمل بمشروع سكة الحديد التي تصل بين بغداد وكربلاء والنجف من جهة، وبينها وبين خانقين من جهة أخرى من قبل "شركة محلية"، والجهود التي بذلها الوالي العثماني آنذاك (عبد الرحمن باشا)، من أجل إرساء المقاوله على هذه الشركة المحلية، التي تعهدت القيام بمدة السكة من بغداد الى المناطق المذكورة على شكل مراحل، على ان تعلق شعبة بغداد - خانقين، الى حين الانتهاء من الشعب الاولى.^(٢٣)

واستكمالاً لتطوير مشاريع النقل والمواصلات فقد نقلت لنا الزوراء الاجراءات، لتنظيمها وتسييرها. فمن جهة جرى تنظيم تجارة

تحديثها نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وكانت جريدة الزوراء- الجريدة الرسمية الواسعة الانتشار- تنشر كثيرا من هذه المظاهر، ومن معالم الحضارة والتقدم في العالم، مما كان له أكبر الأثر في تغيير النظرة الى التحديث في العراق.

الترانزيت (المرور) التي كانت تمر بخانقـيين الى فارس، وضبط الرسوم الكمركية المفروضة على هذه التجارة في كمر ك خانقـيين- (كمر ك الحدود) والتي كانت تقدر بـ ٧٪، لتكون معلومة لدى الجميع^(١). وهكذا نلاحظ أن بعضاً من مظاهر الحياة في العراق عامة، وديالى خاصة، قد جرى العمل على

الهوامش

- (١) الدكتور جميل موسى النجار، الادارة العثمانية في ولاية بغداد في عهد الوالي مدحت باشا الى نهاية الحكم العثماني ١٨٦٩-١٩١٧ (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩١) ص ٤٣٥.
- (٨) جريدة الزوراء العدد ١٢ المؤرخ في ٢٢ جمادى الاولى ١٢٨٦هـ/ الموافق ١٩ آب ١٨٦٩، انظر ايضا: النجار، المصدر السابق، ص ٤٢٧. ومما يذكر ان خطوط الاتصال البرقي بين بغداد ومدن اخرى في ديالى قد تمت ما بين ١٨٧٥ و ١٨٩٣، وشملت شهربان ومندي ايضا. المصدر نفسه، ص ٤٢٧.
- (٩) لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ج ١، ص ٦٥.
- (١٠) النجار، المصدر السابق، ص ٤٢٨-٤٢٩، عبد الرزاق الهلالي، معجم العراق (مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٣) ص ١٤٦.
- (١١) النجار، المصدر السابق، ص ٤٤٢.
- (١٢) شارل عيساوي، التاريخ الاقتصادي للهِلال الخصيب، ترجمة رؤوف عباس حامد (بيروت، ط١، ١٩٩٠) ص ص ٢٤٠-٢٤١.
- (١٣) لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ج ١، ص ٦٣.
- (١٤) عيساوي، المصدر السابق، ص ٢٤١، انظر ايضا: ريجارد

- (١) عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد، ١٩٥٥) ج ٧، ص ١٦٩.
- (٢) ستيفن هيملي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي (الفجر للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٨) ج ١، ص ٤٢.
- (٣) نعيم طه ياسين، بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٢٨.
- (٤) حسين الرحال وعبد المجيد كمونة، الادارة المركزية والادارة المحلية في العراق، (مطبعة عبد الكريم زاهد، بغداد، ١٩٥٣) ص ٥٣.
- (٥) الدكتور عناد اسماعيل الكبيسي، الادب في صحافة العراق منذ بداية القرن العشرين (مطابع النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧٢) ص ٢٧.
- (٦) منير بكر التكريتي، الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية من ١٨٦٩-١٩٢١ (مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩) ص ١٢.
- (٧) نابليون المارديني، تنزه العباد في مدينة بغداد (المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٧) ص ٥٦، انظر ايضا:

- (٢٤) أورد هذه النصوص التكريتي، المصدر السابق، ص ٧٩.
- (٢٥) الدكتور يوسف عز الدين، فهمي المدرس من رواد الفكر العربي الحديث (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٠)، ص ٢٥-٢٧، حيث نقل لنا بعض نصوص جريدة الزوراء في عددها الأول.
- (٢٦) جريدة الزوراء، العدد ٨٨١ الثلاثاء ٢٧ محرم ١٢٩٦ هـ.
- (٢٧) جريدة الزوراء، العدد ١٤٢٧ السبت ٢١ شعبان ١٣٠٧ هـ.
- (٢٨) المصدر نفسه، العدد ١٨١٢ الأربعاء ٨ ذي القعدة ١٣١٦ هـ الموافق ١٩/٤/١٨٩٩ م. هذا وقد وردت نفس صيغة الشكر المرفوعة من تحرير جريدة الزوراء إلى قائممقامي قضاء خراسان وخانقين لقيامهما بجمع بدلات هذه الجريدة. انظر الأعداد ١٧٦٩ ٢٠ ذي الحجة ١٣١٥ هـ الموافق ٤/٥/١٨٩٨ م والعدد ١٨٢٣ الأربعاء ٢٢ جمادى الأولى ١٣١٧ هـ الموافق ٢٧/٩/١٨٩٩ م.
- (٢٩) جريدة الزوراء العدد ٧٦٦ السبت ٢٨ جمادى الآخرة ١٢٩٥ هـ.
- (٣٠) جريدة الزوراء العدد ٤٥٧ الثلاثاء جمادى الأولى ١٢٩١ هـ.
- (٣١) المصدر نفسه، العدد ١٢٢١ الثلاثاء ١٩ شعبان ١٣٠٢ هـ.
- (٣٢) المصدر نفسه، العدد ٨٦٥ الثلاثاء ٢٠ شوال ١٢٩٦ هـ/١٨٧٨ م.
- (٣٣) جريدة الزوراء العدد ٨٦٥ الثلاثاء ٢٠ شوال ١٢٩٦ هـ/ الموافق ١٨٧٨ م.
- (٣٤) المصدر نفسه، العدد ١٠٠٩ السبت ٢ جمادى الأولى ١٢٩٩ هـ/ والعدد ١٢٢٣ السبت ٢٥ ذي القعدة ١٣٠٢ هـ.

كوك، بغداد مدينة السلام، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه الدكتور مصطفى جواد وفؤاد جميل (مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٧) ج ٢، ص ١٦٨.

(١٥) المصدر السابق، ص ٢٤١.

(١٦) النجار، المصدر السابق، ص ٤٤٩، ٤٥٠.

(١٧) G.E.Hubbard, From the Gulf

to Ararat :an expedition through Mesopotamia and Kurdistan (william Black wood and sous Edingurgh and London, 1916),p.

116,159.

(١٨) عيساوي، المصدر السابق، ص ٦٧٢-٤٠٠، انظر أيضا: لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ إلى سنة ١٩٥٠، ج ١، ص ٥٥.

(١٩) محمود شوقي الحمداني، لمحات عن تطور الري في العراق قديما وحديثا (مطبعة السعدون، بغداد، ١٩٨٤) ص ٦٥.

(٢٠) للتفاصيل عن هذه الأحداث انظر: حسان ناجي محمود الحديثي، تاريخ الري في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث، مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٩٤، ص ٢٨.

(٢١) جريدة الزوراء، العدد ٢١٢٢ في ٢٢ صفر ١٣٢٥ هـ.

(٢٢) العدد ٢١٢٢ في ٢٩ صفر ١٣٢٥ هـ.

(٢٣) عيساوي، المصدر السابق، ص ١٨٧.

ابن رشد

ومشكلة التقابل المقولي المنطقي بين

ابن سينا وابن الطيّب

(دراسة مقارنة)

الدكتور / علي حسين الجابري

العربي في القرن الخامس الهجري وما تلاه، مما يطول شرحه، ويتجاوز حدود هذا البحث المتواضع، لكنها مسألة جديرة بالدراسة والتأمل.

وإذا كان الدكتور بدوي قد أثار (منذ نصف قرن) مشكلة عاندية (الواحق) المقولية لأرسطو حين قال عن (الفصول: العاشر - إلى الخامس عشر: أي (المتقابلات والاضداد، وفي المتقدم وفي معاً، وفي الحركة وفي له) أنها في أغلب الظن.. ليست من عمل أرسطو، بل من عمل أحد الأولين، ويخصون بالذكر منهم ثاوفراسطس، وأونيموس، وإن كان فيها روح مذهب أرسطو سائدة^(١) قال بدوي إن هذا ليتجاوز تشكيكا أكبر وأعم وأخطر، ورد على لسان أندرونيقوس، أنكر فيه عاندية (المقولات جميعاً) (لأرسطو) بحسب رواية ابن الطيّب^(٢). الذي فتد شكوك أندرونيقوس كلياً، لكن الجديد في الأمر، مع بدوي، ذلك الحديث عن كتابين لأرسطو في (المقولات) الأول (كبير) والآخر (تلخيص المقولات)^(٣) التي وردت في شرح الحسن بن سوار للمقولات الأرسطية وهو جديد أيضاً.

وخارج هذه الاشكالية ومستجداتها، يقف الباحث، هنا مفتشاً عن الموقف (العربي) من لواحق المقولات، عند (ابن سينا) بعلة الفيلسوف الذي خاض في بحر المنطق الأرسطي! وقال الكثير فيه وعنه، بعد الفارابي، مما أثار فيلسوف قرطبة (ابن رشد) ودفعه للرد عليه،

المقدمة:

لواحق المقولات، مبحث منطقي اختلفت حوله وفيه آراء الباحثين، الذين درسوا أرسطو ومنطقه، أولاً أو الذين وقفوا عند الانجاز العربي اللاحق، بحسب الفرصة والطاقة!

ولما كانت (الذكرى الثمانمائة لوفاة ابن رشد) قد حلت مع عام ١٩٩٨، فوجئت هذه المباحث طريقها إلى قراء، بدراسات مفردة أو مقارنة لعرض حقيقة (الابداع) الرشدي الذي يخرج به من (دائرة الشرح والتلخيص الآلي) إلى العمل الفلسفي الجدير باسمه، فكان كالشاهد على الانجازين السينوي والبغدادي. ولما كان (ابن سينا) ٤٢٨هـ / ١٠٣٦م) و (ابن الطيّب البغدادي) ٤٢٥هـ / ١٠٤٢م) من أكثر المفكرين العرب تفصيلاً لمباحث المنطق بعامة والمنطق المقولي على وجه الخصوص.

بعد الفارابي جاءت دراساتنا هذه، مقارنة بين هؤلاء العمالقة الثلاثة وهم يتصدون (للمتقابلات) في لواحق المقولات المنطقية، كما عرفها الفكر العربي، باحثين عن نقاط التأثير والتأثر، ومواطن الاتفاق والاختلاف، لاسيما أن واحداً من بين هؤلاء الثلاثة هو (ابن الطيّب) قد دخل في (لوحة الفكر العربي) المنطقي عبر (الممرات الخلفية) كما يقال، مما يعد دخوله مفاجأة للكثير من الباحثين، وهذا وحده كفيل باغراء القراء على تلمس المسار المقولي في المنطق

بذات اللغة التي تداولها (ابن سينا نفسه) - لاسيما في
المواضع التي يشتم منها رائحة (الاساءة لارسطو) - من
غير وجه حق!

فابن رشد كما وجدناه - في كل مناسبة - يأخذ على
الغزالي، لانه استكثر على الفلاسفة - ومنهم ابن سينا -
حق (الاجتهاد) الفكري! فكفرهم! فكيف به يمارس
(السلح نفسه) ضد (ابن سينا)! نقول: لابد من
الانتباه جيداً للفرق بين (النقد الرشدي) لابن سينا -
حين يكون الاخير معنياً بسأمر من الامور الفكرية
العامّة بخلاف ما يكون عليه الحال، حين يأتي الحديث
السينوي عن (ارسطو) بغير لسان ارسطو وروح
نصوصه! عندها يتصدى (ابن رشد) لوضع الأمور في
نصابها، ايماناً منه أن التفلسف نشاط عقلائي مشروع!
لكن (التقول) - المتسرع - على الآخرين من خلال
نصوصهم! أمر يرفضه ابن رشد وهو ما كان له مع ابن
سينا .. حتى نسب الكثير من (الجايد) في مباحث
القياس والبرهان وغيرهما، التي عرضها في (الشفاء)
نسبها ابن رشد الى مفكرين آخرين نوه بهم مرة،
وسماهم أخرى، ومنهم بعض (الناطق من متفلسفة
النصارى^(١)) في بغداد! وبذلك يقترب بنا من الشخصية
الثانية في هذه الدراسة المقارنة ونعني بسب (ابن
الطيب) .. الطيب والعالم والمنطقي والفيلسوف الذي
كانت له أكثر من وقفة مع ابن سينا وكان لابن رشد
أكثر من توافق معه مما سوف توضحه صفحات هذه
الدراسة اللاحقة مستكملة سابقتها.^(٢)

لقد حرص الباحث هنا على جعل ارسطو (القاعدة
والدستور) . لينطلق منه الى فحص موقف (ابن رشد)
من خلال (ابن سينا) و (ابن الطيب) وفي (فرع واحد)
من اللواحق! واعني به (المتقابلات - والتضاد) . تاركين
الأخرى الى مناسبة أخرى ان شاء الله، او لغيرنا من
الباحثين.

ثمة قضية جديرة بالتنويه، هي: ان مصادر البحث
الارسطية والعربية (الاسلامية) كافة، منشورة

متداولة، ما عدا (مخطوطة ابن الطيب البغدادي)^(٣)
الموسومة - تفسير المقولات - (قاطاغورياس ارسطو
طاليس).

فهو من المصادر (النادرة)، والنسخة التي بسين
أيدينا، لصورة مايكرو فلم لنص (وحيد) لا ثاني له في
العالم، حسب الاستقصاء المعرفي، لعدد من الباحثين
على صعيد الوطن العربي والعالم. طبعت منه نسخة
(على الورق) في (جامعة صلاح الدين) وأخرى في (جامعة
هارفرد) .. لأصل (مستنسخ) محفوظ بدار
الكتب المصرية - (فقد) لاحقاً، وأكثر من ذلك، نجد أن
(حملة) الإنجاز (الشسروح) وضبط النصوص (المنطقية)
و (الفلسفية) الارسطية، قد تزايدت في زمن
(ابن الطيب) = القرن الخامس الهجري .. ثم انتقلت الى
تلامذته المشهورين، مثل (ابن بطلان) وابو الحسين
البصري! وابو الحكم المعري، وهبة الله ابن المفضل بن
هبة الله المتطبيب وغيرهم. وصلت ذروتها سنة (٥٢٤هـ /
١١٢٩م)^(٤) . على وفق النصوص التي وصلتنا وجرى
اخراجها للباحثين بعد ان استكملت هيئتها المعرفية
العربية، مضمونها واصطلاحاً و (معنى ودلالة)^(٥) حتى
غدت الحقبة حقبة (انتاج) متميزة، على الرغم من
الجو القاتم، الذي تركه موقف الغزالي من الفلسفة
داخل (المكون الاسلامي)! المتراجع منذ اعلان
(الاعتقاد القادري)^(٦) في زمن ابن الطيب البغدادي
(٤٠٧-٤٢٣هـ / ١٠١٦-١٠٤١م) فكيف نظر الثلاثة الى ما
بعد المقولات؟

أولاً: الموقف من لواحق المقولات (ابن سينا - ابن
الطيب - ابن رشد)
قبل أن نعرض (للمتقابلات المنطقية) في ما بعد
البحث المقولي! سنقف عند (خارطة) هذه اللواحق
وسماتها العامة بين (ابن سينا وابن الطيب وابن رشد)
معتمدين على (الدستور الارسطي) المتداول بترجمة
(اسحق بن حنين).

١- لم يفصل ارسطو في العرض بين (المتقابلات والاضداد)، لقناعته بوحدة الموضوع. من هنا وجدنا الاستطراد الارسطي عن (الاضداد) يأتي استكمالاً لحديثه السابق حول (السالبة والموجبة) من المتقابلات^(١)، لحقتها مباحث (في المتقدم، والحركة ومعاوله)^(٢) في سياق تكاملي واضح.

٢- اما ابن سينا، فعمد الى منح (المتقابلات)^(٣) عناية اكبر متوقفاً عند (الشكوك) المثارة حولها. كما انه فصل الحديث عن (الاضداد) فصلاً تاماً، يعدن الموضوع مستقلاً عن التقابل المنطقي في لواحق المقولات^(٤). وجمع في مبحث واحد هو (الفصل د) المتقدم والمتأخر ومعا والحركة^(٥) لكنه تغافل كلياً عن (له) او القنية بلغة ابن الطيب، عادة الالفاظ الأخيرة هذه "الفاظاً استعملت في تعليم المقولات"^(٦) من غير ان يشكك بنسبتها الى ارسطو.

٣- وعمد [ابن الطيب البغدادي] الى (التمهيد) للواحق، بدراسة لم نجد لها لدى المناطقة العرب، تحدث فيها عن (الحدود والتعريفات)^(٧). واشكالات البحث فيما بعد المقولات المنطقية، بطريقة واضحة ميسورة، فكت مغاليق البحث المقولي للواحق في الفكر العربي.

كما استعرض (المتقابلات والاضداد) في مبحث واحد- مثل ارسطو حتى كانت موضوع (التعليم الرابع والعشرين)^(٨)، مخالفاً بذلك تناول السيئوي وشكوكه، ومتابعاً المنهجية الارسطية. ثم عرض في (التعليم الخامس والعشرين) موضوعات (التقدم ومعا، والحركة وله)^(٩) معرفاً الأخيرة (بالقنية)^(١٠)، مستكملاً الموضوعات الارسطية على وفق منهجية (واضحة)، لكنها تفصيلية^(١١)، تفوقت على تناول العربي السابق، لا سيما عند ابي علي الحسين بن سينا.

٤- وحين نصل الى (ابن رشد)، نجد لواحق المقولات قد انتظمت في قسمين، الاول جمع (المتقابلات والاضداد) جمعاً متناسقاً، كما سنعرض له في هذه الدراسة لاحقاً وفي قسم واحد^(١٢)، موزعاً على أحد عشر فصلاً. تاركاً القسم الثاني للمتقدم والمتأخر^(١٣)، والقسم الثالث، للقول في معنى معا^(١٤)، والقسم الرابع (للقول في الحركة)^(١٥)، والقسم الخامس والآخر (للقول في له)^(١٦). من غير زيادة او تفصيل.

والملاحظ على العرض الرشدي للواحق المقولات، متابعته لمنهج ابن الطيب في توحيد المتقابلات، على المنهج الارسطي، فهو لم يهمل (له) التي غفل عنها ابن سينا او تغافل لسبب ما، في عرضه لمباحث اللواحق في الاقسام الاربعة، وبذات الايقاع المنطقي، الواضح الجلي، الذي يخرج عن تفصيلات الشرح والاطالة والتمثيل والمقارنات الى (الرؤية الرشدية) المتميزة في (الدرس الفلسفي).

كما لوحظ على الاثنين استعمال مصطلح (التعليم)^(١٧) والتعليم الاول. وغير ذلك مما هو من خصال منهج ابن الطيب.

ثانياً: في المتقابلات المنطقية والاضداد ليس من سبيل لمعرفة حقيقة انجاز (المثلث) المنطقي العربي- الاسلامي، في دائرة (الواحق) او بمبحث ما بعد المقولات- المنطقية- الا بالوقوف على آراء (ابن سينا) و (ابن الطيب) و (ابن رشد) قياساً على (النص الارسطي) الذي عرّبه (اسحق بن حنين) منذ القرن الثالث الهجري، وعند دستوراً بين الناقلين والمترجمين العرب. وغاية مثل هذه الدراسة، ستساعد على كشف الغطاء، عن حقيقة (الانجاز الرشدي) داخل دائرة (المنطق المقولي) بعامة! والدرس الارسطي على وجه الخصوص. ومثل هذه الغاية (الاستثنائية) تهدف للاجابة عن مجموعة من الاستنئلة، تتعلق بالمصطلح، وتطوره، والمعنى وصلته باللفظ ودلالته،

وتصل بنا الى اجابة شافية عن سؤال حضاري: مهد له آدم ميتز بحديثه عن (حقبة النضوج) في القرن الرابع الهجري، مع انه عبر الى القرن الخامس وما تلاه! هو: هل تمكن العقل العربي في تلك الحقبة، من (انتاج) جوابه المنطقي والفلسفي؟

واذا كنا قد جعلنا (ارسطو) دستوراً (للاحتكام) بين (البدعين) العرب وهم يتناولون نصوصه نقداً وتحليلاً وتقويماً وتصويباً وتعديلاً.. فما هي حقيقة (الانجاز) العربي في دائرة (التقابل المقولي) المنطقي في حقبة (النضوج) الحضاري العربي الاسلامي، في ثلاث بيئات (مشرقية) و(مخربية) و(وسطى) هي بمثابة (عصا الميزان) الذي يتأرجح صعوداً وهبوطاً بين جناحي النسر العربي؟ والمعايير المستخدمة في عملية (التوازن) والتقنين سويماً اهي: (النص والمصطلح الارسطي) الموضوع على (طاولة التشريح) داخل صالة (الوعي العربي الاسلامي). عند العمالقة الثلاثة. (ابن سينا وابن الطيب وابن رشد) والثلاثة، علماء، واطباء، (وفقهاء) ومناطقه، وفلاسفة! و.. الخ. ام هو (النص اليوناني) الغائب؟

وللوصول بهذه الأسئلة الى نهاياتها سنقف مع كل واحد من هؤلاء الفلاسفة بالمقدار الذي يتيح (البحث) وحدوده المقبولة. فعسانا نوفق في ذلك.

١- **التقابل -المقولي- المنطقي عند ارسطو بموجب الدستور**

بعد ان ينهي ارسطو مبحث (المقولات العشر) بالحديث سريعاً عن (متى واين والملك..) يدخل بعدها في مباحث (المتقابلات) و(الاضداد) يتبعها بالحديث عن (التقدم والتأخر ومعاً والحركة وله). ولما كان البحث في (المتقابلات والاضداد) واحداً متداخلاً يرى بعضهم انه (الجزء) المتمم للمقولات الارسطية، لذلك جاءت متكاملة مع بعضها بالشكل الذي احتواه (دستور) اسحق بن حنين ونقله عليه (يحيى بن عدي) وقابله به (عيسى بن زرعة)

وصححه الحسن بن سوار^(١٤). وشرحه ابن الطيبا فيماذا يخبرنا النص المعرب؟

١ المتقابلات عند ارسطو على اربعة اوجه.
١/١: المضاف (على طريق الرسم) كما هو حال الضعف مع النصف.

٢/١: المضادة: بنى المتقابلات التي لا وسط بينها من جانب، والمتضادات ذات الوسط المشترك^(١٥)، ممثلاً للأولى بالمقابلة بين الشرير والخير، والمرض والصحة، والفرد والزوج. وللثانية بالمقابلة بين (السواد والبياض) و(الحمود والمذموم) و(الحار والبارد)^(١٦).

٢/١: العدم والملكة: فالتى تتقابل عن طريق العدم والملكة لا تتقابل واحدة ((من جهتي تقابل المتضادات^(١٧))) مثل (العمى) و(البصير) ولوضوع واحد.

٤/١: الموجبة والسالبة: وتقابلهما يوجب بالضرورة أن يكون أحدهما صادقاً والآخر كاذباً" مثل جالس، وليس يجالس، وينطبق ذلك عند ارسطو على المتضادات، والمضاف والعدم والملكة^(١٨).

ومهما يكن أمر المتقابلات أعلاه، فإن ارسطو يخلص الى القول في معظمها على أساس القانون الآتي:
"ان التي تقال بغير تأليف أصلاً، فليس شيء منها لا صادقاً ولا كاذباً، وهذه التي ذكرت، كلها انما تقال بغير تأليف^(١٩)" باستثناء حالة واحدة هي (الموجبة والسالبة) حين نخبرنا عن (قضية ما)! فلا بد أن يكون أحدهما هو الصادق! والآخر كاذباً. وما عدا ذلك "يقال من غير تأليف" كما يقول ارسطو.

كما اردف العلم الاول المبحث الأنف بالحديث عن (الاضداد) كتضاد الشر للخير، والمرض للصحة والجور للعدل، والجبن للشجاعة^(٢٠). فائلاً من غير مقدمات: "والشر ضرورة مضاد للخير^(٢١)" رافضاً وجود اوساط لهذه الاضداد.

٢- ابن سينا والمتقابلات المنطقية المقولية:-
فصل ابن سينا القول في (المتقابلات) ووسع الشرح

"التقابل على أساس الوجود وفي موضوع"^(١٦) بخلاف "التقابل الذي هو التناقض، فيفارق الجميع من جهة ان المتناقضين يصلح فيهما الصدق والكذب"^(١٧).

٣/١: ويمثل لموضوعاته المختلفة، بتقابل (الحرارة والبرودة، والحركة والسكون) و(العمى والبصر) و(الابسوة والبنوة) و(الايجاب والسلب) و(العدم والملكة). لتكون بمثابة "معان مشتركة في موضوع لها ان توجد فيه، الا انها لا تجتمع فيه"^(١٨).

٤/١: وعلى مستوى ثنائية التقابل عبر مقولتي (القياس) و(الماهية) يمثل ابن سينا بالاولى بتقابل (المضاف: المشتركة في موضوع)^(١٩) كتقابل (الابوة والبنوة)، ويمثل للثنائية بتقابل (العدم والقنية) تقابل مضادة، لأن (العدم لا يقابل الوجود) في هذا المستوى من التقابل (المضاد) بل يقابل (القنية). والعدم المقصود هنا "هو العدم الذي هو فقدان القنية في وقتها، أي فقدان القوة التي بها يمكن الفعل اذا صار الموضوع عادماً للقوة"^(٢٠).

ب- وإذا كان ابن سينا قد ردد على القائل- (في موضوع الضد)- بأن المعلم الاول، قد ترك هنا- (التقابل بين الجوهر والعرض، والصورة والمادة)^(٢١)- يقصد ابن الطيب- لوقوع المبحث في دائرة الطبيعة، فإنه يوزع التقابل بين الاضداد على أساس (وجودي) و(عدمي)، الاول (الأيس) والثاني (الليس) مثل تقابل (الوجود والعدم) في ثنائيات: الحر والبرد، والصحة والمرض، والزوج والفرد، والحركة والسكون). اما ما قيل في التقابل بين الحرارة والبرودة فهو تقابل ضدي قياساً على سبيل الإضافة^(٢٢). وتقابل (الفجور والعفة) و(الجور والعدل، والجبن والشجاعة، والمرض والصحة) قياساً لكلياتها وجزئياتها، حيث تتقابل كل جزئية (منها) ضد جزئيات الآخر، تقابلاً (على سبيل الإطلاق) وعلى سبيل (الجزئي). فالشر يضاد الخير، على الإطلاق، ويضاد الشرور الاخرى، لأن

وأتى على نصف ما خصصه لعموم اللواحق المقلوبة^(٢٣). لأنه لم يكتف بعرض الفهم الارسطي، كما يراه ابن سينا، لهذه المتقابلات بل اضاف اليها وتحدث عن شكوك وحلول وخلافات مع الآخرين من المعاصرين والسابقين! وادف ذلك بمبحث ثالث عن (احكام وخواص في المتضادات)^(٢٤).

ومهما يكن أمر اللواحق، فإن ابن سينا يراها "الفاظ استعملت في تعليم المقولات"^(٢٥) جعلها موضوع (المقالة السابعة) من كتاب المقولات او كما سماه (الفن الثاني) من فنون المنطق بعد ان عذ (ايساغوجي) المدخل- لفورفوريوس الصوري) هو (الفن الاول):

أ- المتقابلات عند ابن سينا تعني بين ما تعنيه ان "المتقابلين، لا يجتمعان في موضوع واحد من جهة واحدة وزمان واحد معاً"^(٢٦) الا في حالات خاصة يؤشرها في سياق حديثه عن التقابل. ويمثل للمتقابلات، ب- (الفرس واللافرس) و(الزوج والفرد) و(الاثباتات والنفي) و(الصادق وليس بصادق) و(الطعام واللاطعام) وبعض هذه الامثلة، لا تمثل (تقابل متناقضات، ولا اضافة ولا تضاد) لكنه لا يمتنع لديه "اجتماع ما يقع عليه من المتقابلين في موضوع واحد بأن يكونا فيه" فكل ما لم يجتمع في موضوع واحد سبيل الوجود فيه فليس يجتمع في موضوع في سبيل القول عليه، ولا ينعكس"^(٢٧).

١/٢: وقبل أن نسترسل في عرض اوجه التقابل عند ابن سينا، نقف قليلاً معه عند حدود (التقابل): "المتقابلات: معان اشتركت في موضوع لها أن توجد فيه، الا انها لا تجتمع فيه"^(٢٨) والتقابل "اما أن يكون ماهيته مقولة بالقياس الى ما هو مقابل له وبما أن لا تكون"^(٢٩).

٢/١: وإذا كان التقابل يتوزع على (الوجود) و(الطبائع) و(الاضافة) و(الماهية)، فإن بعضه يكون "على أساس الحمل على موضوع" والآخر

جميع الافتراضات (عند ابن سينا) والتفريعات، هي تطرف ينطوي على (شروع) ^(١٨) اما (الواسط) فهي فضائل معبرة عن حكمة، وعن خير وعن شجاعة وعن عفة، وهذا هو (تقابل التضاد) الذي يختلف عن تقابل (العدم والملكة) ومن احكام المتضادين يعني "ان وجود أحدهما مطلقا، لا يوجب وجود الآخر بوجه من الوجود ايجاب المتضائفات" ^(١٩).

ولما كان تقابل (المضاد) غير تقابل (المضاف) بسبب كون الاول يتصل (بالماهية) و (الثاني يتصل بالقياس) فإن ابن سينا يقدم جملة حلول لشكوك عن (العلاقة بين المضاد والمضاف) وفي كون الاضافة طارئة، وليست هوية، على قاعدة ان "كل تقابل من حيث هو تقابل مضاف، وليس كل تقابل مضاف" ^(٢٠) اما القاعدة الثانية فيقول فيها "ليست الامور المتضادة، مقولة الماهية بالقياس الا ان يقال من حيث متضادة، ولا الملكة والعدم من المضاف" و "كل متضائفات فهو متقابل، وكل متضاد وكل عدم وملكة وليس كل متقابل من المضاف" ^(٢١) وينكر وجود الوسطية بين الصحة والمرض ^(٢٢). ويسكت عن تقابل السلب والايجاب.

٣- ابن الطيب والتقابل المقولي:

جعل (فيلسوف بغداد) (المتقابلات- المتضادات) موضوع التعليم الرابع والعشرين- بأكمله حين جمع فيه الحديث عن الموضوعين، في حدود الاطار الارسطي، وتفق على الآخرين في (مقدمته) عن القضايا المتعلقة بما بعد (المقولات)، او اللواحق! عموما قائلا "فقبل ان ننظر في كلام ارسطو طالع في المتقابلات ينبغي لنا ان ننظر في عدة مطالب..." ^(٢٣) مثل حدها وقسمتها وترتيبها.

أ- حد المتقابلات، ((المتقابلان هما الشئان اللذان، الموضوع لهما واحد ولا يجتمعان جميعا فيه)) او قل هما "حالتان موجودتان للشئ، لامعا تكون

((نسبة لاجتماعهما في موضوع واحد)) ^(٢٤) ويمثل لهما بتقابل ((السواد والبياض، والابوة والبنوة والعمى والبصر والايجاب والسلب)).

ب- اما قسمة المتقابلات: فيوزعها ابن الطيب ابتداء. كما هو شأن ارسطو وابن سينا- الى اربعة انواع: ب/١: التقابل عن طريق الاضافة كالابوة والبنوة فيكون ((الموضوع واحد ولا يجتمعان فيه)) وذات ((كل واحد منها تقال بالقياس الى الآخر)) ^(٢٥).

ب/٢: التقابل عن طريق التضاد، مثل (الابيض والاسود) يكون ((الموضوع واحد ولا يجتمعان فيه جميعا، وينتقل الموضوع من احدهما الى الآخر)).

ب/٣: التقابل عن طريق العدم والملكة (كالعمى والبصر) وهي ((التي يكون الموضوع لها واحد، لا يجتمعان فيه، ولا يمكن ان ينسب)) ^(٢٦).

ب/٤: التفاعل عن طريق الايجاب والسلب مثل (يمشي ليس يمشي) وهي التي يكون "الموضوع واحدا، ولا يجتمعان فيه، ويلزمها معنى الصدق والكذب" ^(٢٧).

وما عدا الأخيرة من الانواع، تكون المتقابلات عند ابن الطيب ((الصور والمعاني، لا الموضوعات)) ^(٢٨) مما يقع خارج دائرة الصدق والكذب.

ج- اما الترتيب الذي يعرضه (ارسطو في الدستور) ^(٢٩) فيقلب ابن الطيب النظر فيه على اساس التسبب الرباعي وعقله:

ج/١: التقابل في اللفاظ: سلبا وايجابا.
ج/٢: التقابل في الامور المركبة للمضاف (اسود- ابيض).

ج/٣: تقابل في الطبع بين (الهيولي والصورة) لكل من الذوات والنسب حين يعكس (التقابل بالتضاد) ^(٣٠) جملة (امور تعليمية) و (امورا عمومية) ^(٣١).

ج/٤: تقابل العدم والملكة، الذي تنتقل فيه الملكة الى العدم، والعدم لا يرجع الى الملكة الابدية ————— هية" ^(٣٢) (اعجازية).

يعرض بعدها لجملة شكوك وحلولها ينتهي منها الى القول: "ان الحديث عن المتقابلات، لا في موضوعها، مما لا صلة له بالالفاظ الدالة عليها"^(٣٠). يضعها خارج حدود الصدق والكذب ثم ينسب بعدها مباحث التقابل الارسطية الى مصادرها قائلًا ((ولما كان ارسطو طاليس قد امكن في الكلام في المضافات لانها أحد المقولات العشر، وفي العدم والملكة، عند كلامه على الكيفية، لأن الملكة أحد انواع الكيفية، وفي الايجاب والسلب، في كتابه العبارة"^(٣١) الى جانب شروح ابن الطيب في مبحث الكمية.

ويفسر معنى ان يضاد الخير الشر، (في مبحث الاضداد) من المتقابلات، بعنصر واحد على الضد، وان المتوسط يضاد الطرف مضادة التفريط للتقشير: فيكون للضد ضد واحد لا اكثر"^(٣٢).

والاضداد عنده غير المضافات، ((اذا كانت المضافات متى وجد احدهما وجد الآخر لا محالة، ولا يفهم أحدهما الا بالآخر)) فان الاضداد، ((متى وجد أحدهما فلا يجوز وجود الآخر البتة"^(٣٣).

والمسألة التي تستأثر باهتمام ابن الطيب (الطبيب) اكثر من غيرها (بخلاف ابن سينا الطبيب) هي انكار ارسطو، وابن سينا، لوجود (وسط بين الصحة والمرض)^(٣٤). وهو العالم الطبيعى، الذي لا يمكن الاحاطة بموقفه الا بالرجوع الى دروسه السابقة عن هذه الاشكالية.^(٣٥) كما يقف ابن الطيب عند الشك القائل ((ان الالفاظ الدالة على الاضداد وعلى العدم والملكة وعلى المضاف، لا تصدق ولا تكذب.. ولكن لما كانت هذه موجودة في موضوعات ومعلقة بها، وجب أن تكون الالفاظ الدالة عليها معلقة بالالفاظ الدالة على موضوعاتها! واذا تعلقت، اجتمعت، واذا اجتمعت تركبت! واذا تركبت صدقت وكذبت))^(٣٦). وهو رأي لابن سينا..

يناقش ابن الطيب هذا الاشكال قائلًا "كلامنا هو في

د- بعدها يقف ابن الطيب عند (المتقابلات) (من حيث) (جنس يعم الاقسام الاربعة) (الأنفة وبهذا تفوق على غيره، متوقفًا عند) (الحدود الارسطية) الاربعة- والشكوك المثارة عليها وطرق معالجتها"^(٣٧). فيصحح (فهم الشراح) لتعليق ارسطو طاليس حول (الرباعية) (الأنفة) (الاضافة والتضاد والعدم والملكة والايجاب والسلب) كما يغلط القول الثاني في (المتقابلة)^(٣٨) ويرى ان ارسطو قد عرض للفروق فيما بينها على اساس (رباعي) مع ان (قانون الازدواج) السداسي، يؤشر اكثر من ذلك.

لقد عد (ابو الطيب) المتقابلات فوجدها:

د/١: ثلاثة بين المضاف وما بعده.

د/٢: اثنان بين الاضداد وما بعدها.

د/٣: وواحد بين العدم والملكة.

د/٤: وواحد بين السلب والايجاب فيصبح مجموعها سبعة اختصرها ارسطو الى (اربعة) ازواج: لكنه في حقيقة الامر يفرق بين (المضاف وبين الاضداد) التي تقال المقابلة فيها (بالقياس الى الآخر)^(٣٩). وبين الاضداد والعدم والملكة (وبين المضاف والعدم والملكة) و(بين الايجاب والسلب) وبينهما ثلاثتها (منفردة) و(مجتمعة)!

ولما كانت (المقابلة) تقال (بالاضافة) قياسًا على الآخر، و(بالتضاد) (تقال على حلتها)، اما في (العدم والملكة) فتفهم على الجواز اي ((صور واعدام صور))^(٤٠).

ثم يفرق ابن الطيب، بين (العدم) و(الملكة) و(الاضداد) على سبيل التفصيل والاجمال. فإذا كانت الاضداد عند ارسطو ((يتغير كل واحد منها الى الآخر، وينقلب موضوعها من احدهما الى الآخر، بعد ان لا يكون احدهما طبيعياً، او عقلياً)) فإن العدم والملكة، فيقول عنها ابن الطيب: ((وأما الملكة فتنتقل الى العدم. وأما العدم فلا ينتقل الى الملكة على قانون الطبيعة اللهم الا ان يقهر بقوة الهية))^(٤١).

المتقابلات لا في موضوعاتها، وهذه لا يلزمها الصدق أو الكذب. وإن أخذناها مع الموضوعات، لم يلزم فيها أن تصدق أو تكذب دائماً، لكن مادام الموضوع موجوداً أولاً فإذا لم يكن موجوداً، كذباً جميعاً، فأما الإيجاب والسلب، فانهما يقتسمان الصدق والكذب دائماً، كان الموضوع موجوداً أو لم يكن موجوداً^(١٣١).
يعرض بعدها ابن الطيب، القوانين الارسطية للمتضادات.

القانون الاول: "إن الضد الواحد انما له ضد واحد"^(١٣٢).
القانون الثاني: "الضدان لا يجتمعان جميعاً في موضوع واحد، لكن متى كان احدهما موجوداً، فيه لم يكن الآخر"^(١٣٣).

القانون الثالث: "ان المتضادين هما اللذان موضوعهما واحد لا يجتمعان فيه"^(١٣٤).

٤- ابن رشد والتقابل المقولي المنطقي:
اجتمع في (القسم الثالث) من تلخيص المقولات، عند ابن رشد (التقابل والتضاد) في مبحث واحد يحمل عنوان (القسم الاول)^(١٣٥) توزع الحديث فيه عن التقابل والتضاد على أحد عشر فصلاً - كما هو شأن تناول عند ابن الطيب، وارسطو - بخلاف الاقسام الاربعة الاخرى، التي تناول فيها ابن رشد القول على المتقدم والمتأخر^(١٣٦) والقول في معنى "معاً"^(١٣٧) والقول في الحركة^(١٣٨). والقول في (له)^(١٣٩).

ان الغاية التي ارادها ابن رشد من (تلخيص المقولات) الخروج من تعقيدات البحث المنطقي الى الوضوح والايجاز لذلك عمد في القسم الاول الى تقديم (المبادئ الاساسية) للمتقابلات كما تعبر عن روح الفهم الارسطي، لما بعد المقولات. ثم راح يمثل لها بايجاز لكي تكون قريبة الى الاتهام. فيعرض لنا ابو الوليد هذه الفصول كما يأتي،

١/٤: يعرف باصناف المتقابلات ويمثل للمضادين والمتضادين والعدم والملكة والموجبة والسالبة^(١٤٠).

٢/٤: ولما كان التقابل على جهة التضاد "ولا يقال ما هية احدهما بالقياس الى الثاني، فان الخير مضاد للشر وليس الخير خير الشر"^(١٤١) اختلفت بذلك عن التقابل على جهة المضاف.

٢/٤: المتضادات عند ابن رشد نوعان:
الاول: متضادان (ليس بينهما متوسط) ومتضادات بينهما متوسط^(١٤٢).

٤/٤: اما الاشياء التي تتقابل على وجهه (العدم والملكة) فيقصد بها الاشياء التي ليست هي (العدم نفسه) او (الملكة نفسها) التي تتقابل هي بدورها أيضاً بل يمكن ان يكونا في الشيء نفسه مثل (العمى) و(البصر)^(١٤٣).

٥/٤: الاشياء (الموجبة والسالبة) عنده، فيعرف بها لا على اساس القضية (الموجبة والسالبة) بل على اساس الوضع الناشئ من جراء تقابل الموجبة والسالبة^(١٤٤).
٦/٤: ويميز (ابن رشد) بين (الملكة والعدم) وبين (المضادين) حيث يكون تقابل الاولى، ليس بالتكافؤ، بخلاف تكافؤ الثانية^(١٤٥).

٧/٤: كما يفرق بين (العدم والملكة) وبين (الضدين)، بعدم عدا الاول من (المتضادات) التي بينها وسط، او بلا وسط. اذا وجد ((في العدم والملكة ما هو دائماً في موضوع))^(١٤٦) والتغير في حقيقته هو الجاري حركته، من الملكة الى العدم، وليس العكس.

٨/٤: وفي حساب جدول التقابل الزوجي، يكاد ابن رشد يقترب من الترجيحات التي قدمها ابن الطيب، حين فرق بين (الموجبة والسالبة) و(العدم والملكة) و(المضادين) مع حل لبعض الشكوك المثارة على (المتضادات والمضافات والعدم والملكة)^(١٤٧).

٩/٤: وعن قوانين التضاد الارسطية، يرى ابن رشد "قد يضاد واحد الواحد وقد يضاد واحد لاثنتين"^(١٤٨).
١٠/٤: لم يجد ابن رشد ما يلزم "في المتضادين، متى وجد احدهما، ان يكون الآخر موجوداً، كما هو شأن المضاف"^(١٤٩).

حتى لنخال (حزمة الضوء السينوية) تمر من خلال
(النشور البغدادي) لابن الطيب الى حيث يتأمل
(فيلسوف قرطبة) .. اشكالات البحث المقولي بخاصة،
والمنطقي بعمامة ! وكيف (ضاعت) شخصية
(ارسطو) بين ذلك الكم الهائل من (الشروح) لمباحث
المنطق! هاهنا .. وجدنا .. ثمة إشراقات، تنعكس على
(ذهن) ابن رشد وهو يزد على ابن سينا. اما حجم هذا
(التردد .. والتناغم) بين فيلسوفي (بغداد وقرطبة)
فقلنا فيه بعض الراي تاركين الامر لغيرنا يمتحن
الراي ويختبر النتائج التي عرضناها في بحوث عديدة
ومؤتمرات عديدة .. جميعها تقول: إن تلخيص ابن
رشد جاء للانجاز العربي على (ارسطو) وليس
لحقيقة النص الارسطي اليوناني.
والملحق الموجود هنا يوضح ذلك.

١١/٤: المتضادان عند ابن رشد "اما ان يكونا من جنس
واحد، او من جنسين متضادين، واما ان يكونا
انفسهما جنسين متضادين لا داخلين تحت جنس
واحد" (١٣)
ومثلما اعطى ارسطو لهذا البحث اكثر مما اعطاه
لبقية اللواحق، فإن ابن رشد فعل مثل ذلك في
تلخيصه، مع ايضا حركات نافعة لا غراض تعليمية
مقصودة.

خلاصة القول:

على ما اكتنف البحث (المقولي) من مصاعب في الفكر
العربي، فإن (لواحق المقولات) كانت اشد غموضاً من
(المقولات) نفسها، وان أكثر اللواحق تعقيداً يتجلى في
الحديث عن (المتقابلات والاضداد) موضوع هذه
الدراسة .. لما تنطوي عليه من مضامين (منطقية)
قد تفارق الفهم (الطبيعي) و (الاخلاقي)
(الماورائي)، لهذا السبب، عرضنا لحقيقة الانجاز
الرشيدي في التلخيص منظوراً اليه من خلال
(منشورين) مؤثرين في مسار الفكر العربي-
الاسلامي، الاول (ابن سينا) والثاني (ابن الطيب)!

ملحق/ جدول - مابعد المقولات المنطقية
في الفكر العربي - الاسلامي - مقارنة بالدستور الارسطي

مابعد للمقولات	مقولات لارسطو (١)	مقولات الشفاء/ ابن سينا	تفسير للمقولات/ ابن الطيب	تلخيص المقولات/ ابن رشد
١- المتقابلات ٢- الاضداد	٢٨ - ٤٧ = ١١ صفحة [جمع لسطو بين البحثين (٥)] ٤٧ - ٤٨ = ٢	٢٤١ - ٢٥٩ = ١٩ فصل بين المتقابلات والاضداد ٢٦٠ - ٢٦٥ = ٥	١١٠ - ١٢٧ ورقة (٦) معهد لبحث المقولات بـ ١٩ ورقة وجمع المتقابلات في الاضداد ١٢٨ - ١٢٢ = ٦٦	١٢١ - ١٤٣ = ٢٢ جمعها مع الاضداد ١٤٣ - ١٤٥ = ٢٢
٣- في المتقدم ٤- في (معاً) ٥- في (الحركة) ٦- في (له)	٤٨ - ٥٠ = ٢ ٥٠ - ٥١ = ٢ ٥١ - ٥٢ = ٢ ٥٢ - ٥٥ = ٣	٢٦٥ - ٢٦٩ = ٤ ٢٦٥ - ٢٧١ = ٦ ٢٧١ - ٢٧٣ = ٢ لا يوجد (٧)	١٤٢ - ١٦٢ = ٢٠ ١٦٢ - ١٦٣ = ١ ١٦٣ - ١٦٧ = ٤ ١٦٧ - ١٧٢ = ٥ القبة ١٧٢ - ١٧٦ = ٤	١٤٦ - ١٤٧ = ٢ ١٤٨ - ١٤٩ = ٢ ١٥٠ - ١٥٢ = ٢ ١٥٢ - ١٥٤ = ٢
المجموع (٨)	١٨ صفحة	٣٣ صفحة	٨٦ ورقة	٢٠ صفحة

الملاحظات:

- ١- الأرقام حسب طبعة ١٩٤٧.
- ٢- حسب طبعة القاهرة ١٩٥٩.
- ٣- مخطوطة دار الكتب المصرية ٢١٢ / حكمة
- ٤- حسب طبعة القاهرة ١٩٨٠ في القاهرة (ج/١).
- ٥- لاحظ تناغم أرسطو وابن الطيب وابن رشد في موضوع العلاقة بين المتقابلات والاضرار بخلاف ابن سينا الذي فصلها.
- ٦- لاحظ اختصاص ابن الطيب بالنمهيدي لما بعد المقولات لصالح الفهم الارسطي من جانب والاهداع العربي من جانب آخر
- ٧- لاحظ اهمال ابن سينا لمبحث (له). بخلاف أرسطو - ابن الطيب - ابن رشد.
- ٨- دقق بمجموع الصفحات لتعرف هل كان ابن رشد ملخصا لأرسطو او للانجاز العربي! (ابن سينا - ابن الطيب)



الهوامش والمصادر

- ١- عبد الرحمن بدوي: مقدمة (منطق أرسطو) طبعة القلم (ط/١) بيروت ١٩٨٠ ص ٦٣-١٧٥ (الجزء الاول).
- ٢- ايضا ص ١١ (ج/١).
- ٣- ابن الطيب تفسير المقولات ورقة ٥٩١.
- ٤- جاء ذلك حسب ما نقله (الحسن بن سوار) شارح المقولات! (الاسبق) على لسان (أرسطو) في ثبت كتب أرسطو طاليس، المصدر السابق: ص ٧٩، راجع الشرح الجديدة للمقولات (ج/١ ص ٧٧-٩٦).
- ٥- راجع ما سجلناه من هذا الباحث ببحثنا الموسوم (اشكالية الجوهر في الفكر العربي الاسلامي) لمبين ابن سينا وابن رشد: مقدم في ندوة ابن رشد العربية- بيت الحكمة في بغداد للمدة من ٢٠-٢١ ايلول ١٩٩٨ ص ٢-٣١ اما اصل النص فذكره ابن سينا النص من ابن رشد: في رسائل فلسفية نشر جمال الدين العلوي ط/الدار البيضاء ١٩٨٢ ص ١٥٦ و ٢٠٠.
- ٦- للباحث العديد من الدراسات عن (ابن الطيب البغدادي) وعن (ابن رشد) قدمت وسوف تقدم في مؤتمرات عربية وعالمية منها (منطقة المقولات عند ابن رشد بين النص الارسطي والانجاز العربي. ندوة (ابن رشد العالمية في تونس ١٦-٢١ شباط ١٩٩٨ ص ٤-٨٢ والبحث المقدم في الندوة لبيت الحكمة في بغداد، (مصدر سابق) وبحث المؤتمر العالمي لابن رشد في قرطبة ١١-١٢ كانون الاول ١٩٩٨ ص ٢-١٥، وغيرها.
- ٧- يترأس الباحث فريق عمل لتتبعه ونشره لصالح (بيت الحكمة) (عام ٢٠٠٠).
- ٨- راجع مخطوطة ابن الطيب تفسير المقولات ورقة ٦٧٧ فارنها لما ورد في الجزء الاول من كتاب الطبيعة لأرسطو ١/ ١٦٤ و ص ٤٨٥. والجزء الثاني (طبعة الارث) القومي القاهرة ١٩٦٥ ٢/ ٦٠٤ و ٦٨٠ و ٩٢٧.
- ٩- ترجمها (شكوى ابن سينا) من صعوبة فهم المصطلح الفلسفي (الارسطي) لولا شروح الفارابي في الميتافيزيق ويوضح عنها (تفصيلات ابن الطيب وشروحه الواسعة) على النصوص (الارسطية).
- ١٠- تحدث عنه ابن الجوزي في المنتظم، واوجزه آدم متميز في كتابه الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ترجمة محمد عبد الهادي ابوريدة ص ٢٨١-٢٨٦ (دار الكتاب العربي) ط ٤ المجلد الاول بيروت ١٩٦٧.
- ١١- أرسطو طاليس، كتاب المقولات (من المنطق) ترجمة اسحق بن حنين وتحقيق وتعليق ونشر د. عبد الرحمن بدوي القاهرة ١٩٤٧ ج/١ ص ٢٨-٤٨.
- ١٢- المصدر السابق.
- ١٣- ابن سينا (كتاب المقولات من منطق الشفاء) - القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٤١-٢٥٩.
- ١٤- المصدر السابق ص ٢٦٠-٢٦٥.
- ١٥- المصدر السابق ص ٢٦٥-٢٧٢.
- ١٦- المصدر السابق ص ٢٧٢.
- ١٧- ابو الفرح عبد الله الطيب البغدادي: تفسير المقولات: مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (١٢١) حكمة تيمور) ورقة ٥٩١-٦٠٩. مشير الى تشكيك اندرونيقوس في عائدتها لأرسطو.
- ١٨- المصدر السابق ورقة ٦١٠-٦٤٣.
- ١٩- المصدر السابق ورقة ٦٤٣-٦٧٠.
- ٢٠- المصدر السابق ورقة ٦٧٢-٦٧٦.
- ٢١- بلغت ما بعد المقولات عند ابن الطيب ٨٦ ورقة، في جني كانت عند ابن سينا (٢٢) صفحة وعند أرسطو (١٨) صفحة.
- ٢٢- ابن رشد: كتاب تلخيص المقولات: تحقيق محمود قاسم، اكمله وعلق عليه د. ثشارلي بترورث ود. احمد عبد



المجيد هريدي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ١٩٨٠ ص ١٢٤
١٤٥.

٢٢- المصدر السابق ص ١٤٦-١٤٧.

٢٤- المصدر السابق ص ١٤٨-١٤٩.

٢٥- المصدر السابق ص ١٥٠-١٥٢.

٢٦- المصدر السابق ص ١٥٢-١٥٤.

٢٧- هو تقليد ناب ابن الطيب على استعماله لا في (تفسير المقولات) وحده الذي وزع على (٢٥) تعليماً، بل ومثل ذلك وجدناه في تفسير كتاب الطبيعة لارسطو طاليس. راجع نشرة بدوي القاهرة ١٩٦٥ (الجزء الثاني) ص ٧٢٢-٩٢٧ والجزء الاول (القاهرة ١٩٨٤) ص ١٧٧-٤٨٥.

٢٨- ارسطو: كتاب المقولات: نقل اسحق بن حنين: نشر بدوي طبعة القاهرة ١٩٤٧ (الجزء الاول ص ٥٥).

٢٩- المصدر السابق ص ٤٠.

٣٠- المصدر السابق ص ٤٢.

٣١- المصدر السابق ص ٤٤.

٣٢- ارسطو: كتاب المقولات: ص ٤٥.

٣٣- ايضاً ص ٤٥. ٣٤- ايضاً ص ٤٧.

٣٥- ايضاً ص ٤٧-٤٨.

٣٦- ابن سينا: المقولات / من منطق الشفاء / تحقيق الاب جورج قنوتاتي، واحمد فؤاد الاخواني، ومحمود محمد الخصري، وسعيد زايد، مراجعة وتقديم ابراهيم مدكور القاهرة ١٩٥٩ ص ٢٤١-٢٥٩ (استوفى ابن سينا الحديث عن اللواحق جميعاً ب ٣٢ صفحة، منها ١٩ صفحة عن المتقابلات (راجع ٢٦٠-٢٧٢).

٣٧- المصدر السابق ص ٢٥٥-٢٥٩.

٣٨- المصدر السابق ص ٢٧٢.

٣٩- المصدر السابق ص ٢٤١.

٤٠- ابن سينا: المقولات / منطق الشفاء / ص ٢٤٢.

٤١- المصدر السابق ص ٢٤٥.

٤٢- المصدر السابق ص ٢٤٤.

٤٣- المصدر السابق ص ٢٤٤.

٤٤- المصدر السابق ص ٢٥٨.

٤٥- المصدر السابق ص ٢٤٥.

٤٦- المصدر السابق ص ٢٤٤.

٤٧- ابن سينا: المقولات / منطق الشفاء / ص ٢٤٩.

٤٨- المصدر السابق ص ٢٤٧ و ٢٥٥.

٤٩- المصدر السابق ص ٢٤٨.

٥٠- المصدر السابق ص ٢٤٩.

٥١- ابن سينا: المقولات / منطق الشفاء / ص ٢٦٠.

٥٢- المصدر السابق ص ٢٦٢.

٥٣- المصدر السابق ص ٢٥١.

٥٤- المصدر السابق ص ٢٥١.

٥٢- المصدر السابق ص ٢٥٢.

٥٤- ابن الطيب: تفسيرها طيبة ورياس ورقة ٥٩١.

٥٥- المصدر السابق ورقة ٥٩٢.

٥٦- المصدر السابق ورقة ٥٩٢.

٥٧- ابن الطيب: تفسير المقولات ورقة ٥٩٤.

٥٨- المصدر السابق ورقة ٥٩٢ و ٥٩٤.

٥٩- المصدر السابق ورقة ٥٩٢.

٦٠- المصدر السابق ورقة ٥٩٤-٥٩٥.

٦١- المصدر السابق ورقة ٥٩٥-٥٩٦.

٦٢- المصدر السابق ورقة ٥٩٥.

٦٣- ابن الطيب: تفسير المقولات ورقة ٥٩٦.

٦٤- المصدر السابق ورقة ٥٩٦-٥٩٧.

٦٥- المصدر السابق ورقة ٥٩٧.

٦٦- المصدر السابق ورقة ٥٩٩.

٦٧- ابن الطيب: تفسير المقولات ورقة ٦٠٠-٦٠٢.

٦٨- المصدر السابق ورقة ٦٠٤.

٦٩- ايضاً ورقة ٦٠٥-٦٠٦.

٧٠- ابن الطيب: تفسير المقولات ورقة ٦٠٧.

٧١- المصدر السابق ورقة ٦٠٩.

٧٢- المصدر السابق ورقة ٦٠٩.

٧٣- المصدر السابق ورقة ٦١٧-٦١٨.

٧٤- المصدر السابق ورقة ٦٢٧.

٧٥- ابن الطيب: تفسير المقولات ورقة ٦٢٧.

٧٦- المصدر السابق ورقة ٦٢٧.

٧٧- المصدر السابق ورقة ٦٢٨.

٧٨- المصدر السابق ورقة ٦٤١.

٧٩- المصدر السابق ورقة ٦٤٢.

٨٠- ابن رشد: تلخيص كتاب المقولات (مصدر سابق) ص ١٢٤.

١٤٥.

٨١- المصدر السابق ورقة ١٤٦-١٤٧.

٨٢- المصدر السابق ورقة ١٤٨-١٤٩.

٨٣- المصدر السابق ورقة ١٥٠-١٥٢.

٨٤- المصدر السابق ورقة ١٥٢-١٥٤.

٨٥- المصدر السابق ص ١٢٦.

٨٦- ابن رشد: تلخيص كتاب المقولات: ص ١٣٦.

٨٧- المصدر السابق ص ١٢٧.

٨٨- المصدر السابق ص ١٢٧.

٨٩- المصدر السابق ص ١٢٨-١٢٩.

٩٠- المصدر السابق ص ١٢٩.

٩١- ابن رشد: تلخيص كتاب المقولات ص ١٤٠-١٤١.

٩٢- المصدر السابق ص ١٤٢-١٤٣.

٩٣- المصدر السابق ص ١٤٢-١٤٤.

٩٤- المصدر السابق ص ١٤٤.

٩٥- المصدر السابق ص ١٢٤ و ١٢٥ و ١٤٤-١٤٥.



خصائص مدارس حنين بن إسحق

في الترجمة

الدكتور محمود الحاج قاسم محمد

الموصل / العراق

فأخذ ينقل الكتب لكل طالب، وينقح ما ينقله
الأتباع والنقلة الذين وجدوا المتسع في (بيت الحكمة)
لإظهار مواهبهم العلمية والفكرية^(١).

والذي لا شك فيه أن حنيناً والذين عملوا معه
وتلاميذه في (بيت الحكمة) شكلوا مدرسة كان لها
طابع مميز في حركة الترجمة، واتصفت بخصائص
مهمة يمكن حصرها ضمن خمسة أمور هي:

الخاصية الأولى. الترجمة بالمعنى:

يقول الشيخ صلاح الدين خليل أيبك الصفدي
(٧٦٤هـ): ((وللترجمة في النقل طريقان أحدهما
طريق يوحنا بن البطريق وابن ناعمة الحمصي
وغيرهما وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من
الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي
بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة
على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل إلى الأخرى كذلك
حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه. وهذه
الطريقة رديئة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في
الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات
اليونانية ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من
الألفاظ اليونانية على حالها)).

((الطريق الثاني في التبويب: طريق حنين بن
إسحق والجوهري وغيرهما وهو أن يأتي إلى الجملة
فيحصل على معناها في ذهنه، ويعبر عنها من اللغة
الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم
خالفها. وهذا الطريق أجود، ولهذا لم تحتج كتب
حنين بن إسحق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه
لم يكن قيمياً بها بخلاف كتب الطب والمنطق

إن من بين العوامل التي ساعدت على قيام
الحضارة العربية الإسلامية في بداية نشأتها، كان
ازدهار حركة الترجمة في العصر العباسي خاصة في
القرنين الثالث والرابع للهجرة، وفي زمن المأمون على
الأخص بلغت الترجمة أعلى درجات نضجها، فقد فاق
المأمون جميع خلفاء بني العباس عناية ورعاية لهذه
الحركة، مما دفع النقلة للإسهام والتفنن في نقل
تراث الأمم الأخرى إلى العربية ومن مختلف اللغات
لقد كان هؤلاء النقلة من جنسيات وأديان مختلفة
جمعهم في (بيت الحكمة ببغداد) هدف مشترك، ألا
وهو القيام بخدمة العلم عن طريق نقل ما خلفته
أمم سابقة كالإيونان والفرس والهند من تراث إلى
اللغة العربية.

ويقدر المعنيون بتاريخ الترجمة بأن مجموع ما
ترجم في هذا الدور من تاريخ حركة الترجمة يعادل
جميع ما ترجم في الأدوار الأخرى مجتمعة، بل يزيد
على ذلك.

ولعل حنين بن إسحق العبّادي (١٩٤-
٢٦٠هـ/٨٧٢-٨٠٩م) وكان أشهر النقلة الذين برزوا في
هذا الدور الرائع في مجال ازدهار حركة الترجمة،
حيث عمل ((على إرساء قواعد علمية ثابتة ومكينة
أمكن بفضلها أن ينتقل العمل العلمي الجاد إلى
الآخرين، فكان أن التف حوله الأتباع الذين عملوا
معه، وأنس بهم، وأكملوا مسيرته من بعده. عمل
مترجماً في عصر المأمون لكتب الأوائل وكلف بإصلاح
ترجمات غيره من النقلة الذين عملوا في (بيت
الحكمة في بغداد) أكاديمية العلماء في ذلك الوقت،



والطبيعي والإلهي فإن الذي عربيه منها لم يحتج إلى (إصلاح) ^(١).

((إن جوهر هذه الطريقة (الترجمة بالمعنى). كما يدل عليها اسمها أيضاً. يعتمد على المعنى الشامل لكل جملة في أي كتاب يراد ترجمته، ومن ربط المعنى الكلي للجملة ببعضها ببعض، حسب هذا الأسلوب يتكون مضمون الكتاب المترجم. والفارق الرئيس بين هذه الطريقة و(الترجمة الحرفية)، هو أن الترجمة هنا تقوم على الجملة مجتمعة لا على الكلمة منفصلة عن أختها الكلمة التالية لها. والواقع أن هذا الأسلوب هو أقرب إلى المنطق والفهم من الأسلوب السابق. ويعد حنين بن إسحق العبادي كما قلنا من أشهر النقلة الذين اتبعوا هذه الطريقة في ترجماتهم. وفي حقيقة الأمر أن هذه الطريقة قد اقترنت بأسم حنين بن إسحق أكثر من أي ناقل آخر ممن سلك السبيل ذاته في الترجمة)) ^(٢).

وذلك لأنه كان دائماً يتوخى أداء المعنى بتعبير سلس ودقة علمية، متحاشياً الغموض ومتجنباً التحوير، ومما ساعده على ذلك وأضفى على ترجماته فصاحة وسلاسة امتلاكه زمام اللغات التي يترجم منها أو اللغة التي يترجم إليها.

الخاصية الثانية. فن المقالة في أدب الترجمة: من بين الخصائص التي انتصفت بها مدرسة حنين بن إسحق هو إتباع منهج علمي سليم يركز أولاً على محاولة الحصول على النسخة الأصلية التي لا يصل إليها الشك في أصالتها لأي كتاب يرومون ترجمته، أي أن حنيناً والعاملين معه كانوا يفضلون التعامل مع أصل الكتاب الخالي من التصحيف والانتحال.

وفي حالة تعذر الأصل كانوا يحاولون جمع عدة نسخ من المخطوط للأصل الواحد واستخدام طريقة المقابلة والمقارنة بين النسخ في سبيل تحقيق

النصوص الواردة في الكتاب الذي يراد ترجمته إلى اللغة العربية أو السريانية وفي سبيل تحقيق ذلك ((كان حنين يتجشم رحلات طويلة بغية الحصول على النسخ الكاملة مثال ذلك (كتاب في البرهان) لجالينوس الذي كان نادر الوجود في القرن الثالث الهجري والذي قال عنه حنين (إنني بحثت بحثاً دقيقاً وجبت في طلبه أرجاء العراق وسوريا وفلسطين ومصر إلى أن وصلت إلى الإسكندرية لكنني لم أظفر إلا بما يقرب من نصفه في دمشق)) ^(٣).

و((في هذا الصدد نلاحظ أن المستشرق الألماني برجستر اسر Bergstrasser وفرانز روزنتال Ronsenthal وكذلك ماكس ماير هوف Meyerhaf يدفعون بمجموعة من الآراء حول منهج حنين وطريقته في مقابلة المخطوطات أو النسخ بعضها ببعض. ففي فقرتين متتاليتين يذكرهما برجستر اسر عن حنين يرى أنه لم يكن ثمة طريقة خاصة به، وإنما طريقته اتباع دقيق لتقاليد وتعاليم المدرسة السريانية في الترجمة.

يقول برجستر اسر في الفقرة الأولى: ((ونحن نرى في تقاليد المدرسة اليونانية. السريانية أمثلة كافية للوقوف على طريقة مقابلة المخطوطات. فقد كان معروفاً عند هذه المدرسة، أن مقابلة المخطوطات المختلفة لكتاب ما، هي الوسيلة الوحيدة لإقامة نص موثوق به. وكان الغرض من استعارة الكتب بين علماء السريان وهو قراءتها ونسخها ومقابلتها)).

ثم نجد برجستر اسر في فقرة أخرى ليست بعيدة عن هذا الموضع يقول: ((وكانت المدرسة اليونانية السريانية تدرك تماماً فائدة مقابلة المخطوطات، ونحن نعرف أن حنيناً قد استخدم قواعد المقابلة في عمله، ولكنها لم تكن من ابتداعه شخصياً. وهو حينما سماها (عادته الشخصية) كان

يعني أنه التزم تحلييق قواعده أكثر مما التزم بها من سبقوه))^(١).

ويقف روزنتال في رأي مع برجستر اسر ويعتقد أنه اكتشف الطابع المميز لأسلوب حنين في الترجمة، ويعتقد أيضاً أن الأسلوب الذي كان يتبعه حنين في الترجمة برتابة ودقة هو أحد التقاليد الرئيسية للمدرسة السريانية-الإغريقية في الترجمة، وأن هذا الأسلوب لم يكن من ابتدع حنين، وفي هذا الصدد يقول روزنتال: ((ونحن لا نظن أن طريقة حنين في معارضة المخطوطات التي كان يعالجها كانت من ابتكاره، بل يجب أن يكون قد اقتبسها من التقليد الذي كان معروفاً في حلقات الترجمة السريانية اليونانية))^(٢).

الخاصية الثالثة. احترام النص الأصلي وتوخي الكمال في الترجمة:

من المعروف أن ((الترجمات مهما بذل فيها من حذق وعناية وعلم ودراية لا تكون كالأصل، وبخاصة الترجمات السريانية. فقد تعود أصحابها التصرف بالأصل وإضافة شروح وآراء أخرى إليها قد تخالف آراء المؤلفين، نسبت إلى أصحاب تلك المؤلفات عهداً أو سهواً. لذلك لم يكن غريباً أن تتعرض النقول الأولى لسبيل من الحملات أملتها النظرة العجلى، ولكن النقول لم تكن نهائية. وليس أدل على ذلك من إعادة ترجمة الكتاب الواحد مرات متعددة عن مصادر مختلفة ومقابلة الترجمات بعضها ببعض. لقد كانت هذه الطريقة من الأساليب المتبعة بين العلماء للوصول إلى النص الأصلي الصحيح مما يؤذن بالرغبة الأكيدة في تحري الدقة والحرص على الأمانة العلمية، كما نفعل في هذه الأيام، وهذه الطريقة العلمية السليمة بدت تباشيرها في القرن الثالث للهجرة، وكانوا يشترطون لصحة النقل إلى جانب معارضة النسخ وتصحيحها بعضها ببعض.

فهم اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها. ولا يقصر الأمر على ذلك بل كانوا يشترطون أيضاً فهم الموضوع وتصوره كتصور قائله والإحاطة به إحاطة تامة))^(٣).

((وكان حنين بن إسحق يبحث دائماً عن الأجود في عمله العلمي، وكان يراجع نقولاته السابقة التي ترجمها في صدر شبابه، وكذا ترجمات تلامذته، وفق منهج علمي دقيق ثابت، ليرسي بذلك القواعد العلمية لمدرسته، وليحاذي تلامذته من بعده أسلوبه وطريقته. ولدينا بعض النصوص الهامة التي خلفها حنين في رسالته إلى علي بن يحيى يؤكد فيها أسلوبه، ولذا سوف نعرض هذه النصوص، ثم نناقش آراء من تناولوا أسلوب حنين وفقاً لها))^(٤).

١. حين تحدث حنين عن كتاب جالينوس في الفرق ذكر: ((وقد كان ترجمه قبلي إلى السرياني رجل يقال له ابن سهدا من أهل الكرخ، وكان ضعيفاً في الترجمة، ثم إنني ترجمته وأنا حدث من أبسنة عشرين سنة أو أكثر قليلاً لتطبيب من أهل جنديسابور يقال له شير يشوع بن قطرب من نسخة يونانية كثيرة الإسقاط، ثم سألتني بعد ذلك وأنا من أبناء أربعين سنة أو نحوها جيش تلميذي إصلاحه بسعد أن كانت قد اجتمعت له عندي عدة نسخ يونانية، فقابلت تلك بعضها ببعض حتى صحت منها نسخة واحدة ثم قابلت بتلك النسخة السرياني وصححته وكذلك من عادتني أن أفعل في جميع ما أترجمه))^(٥).

٢. ومن معرض حديثه عن كتاب جالينوس في القوى الطبيعية يقول: ((وقد ترجم هذا الكتاب إلى السريانية سرجس ترجمة سوء ثم ترجمته أنا إلى السريانية وأنا غلام قد أتت، علي سبع عشرة سنة أو نحوها لجبريل بن بختيشوع ولم أكن ترجمت قبله إلا كتاباً واحداً سأذكره بعد وترجمته من نسخة

يتميز بعمق النظرة وصحة الاستدلال، وإصابة الفكرة، فضلا عن التعبير الأنيق والتغيم العنب. وكان يوفي الفكرة حقها، وفي كثير من الأحيان كان يترجم كل كلمة وردت في الأصل، ولا يتسرع في اعتبار هذه الكلمة أو تلك حشوا أو تزييدا.

وقد برهن أن على المترجم أن يقاوم ميله إلى الاختصار مضحيا بجملته هناك وكلمة هنا. ومن حيث ادوات الربط وجدناه في كثير من كتبه يميز بين الواو والفاء، وبين الفاء وثم حروف الجر ومعانيها لأنها مع الفعل والوصل أساس البلاغة. وقد كان الرجل فطنا إلى الصعوبات المتضمنة في كل هذه العملية، لأنه قد يصبح من العسير في كثير من الحالات نقل الصور الخيالية والأقوال الدارجة والكلمات الماثورة ووجوه البلاغة الأخرى من لغة إلى أخرى، ربما يكون السبب الحقيقي في هذا أن لكل لغة رصيدها واختلافاتها، وتباين نظرة الناطقين بها إلى الكون والأشياء^(١).

و((كثيرا ما كان حنين يصف بعض ترجمات الآخرين بأنها (رديئة). ويقوم بإعادة الترجمة مرة أخرى، وهذا ما فعله في كثير من الأحيان في بعض مترجماته التي نقلها في صدر شبابه، فهل هذا يعني أن تلك الترجمات كانت رديئة فعلا؟

لدينا افتراضان: الأول / إما أن تكون الترجمة الوصوفة رديئة فعلا وفي هذا الحالة كان لابد من مترجمين آخرين أن يفطنوا إلى هذا الأمر، وهذا ما لم يحدث، وظلت تلك الترجمات معمولاً بها، يدرس عليها الطلاب، كما هو الحال في الكتب التي كانت تدرس بالإسكندرية ونقلت إلى السريانية، لقد وصف حنين بعضها بأنها (رديئة).

والافتراض الثاني / أن يكون مستوى حنين في الترجمة رفيعا وعاليا إلى درجة كبيرة جداً بحيث كان

يونانية فيها إسقاط، ثم إنني تصفحته إذا أحسنت فوقعت منه إسقاط آخر فأصلحتها وأحببت إعلامك ذلك لكيما إن وجدت لهذا الكتاب من ترجمتي نسخا مختلفة عرفت السبب في ذلك^(٢).

٢. وعن كتاب تعرف علل الأعضاء البساطنة، ينول: ((وقد كان بختيشوع بن جبريل سألني تصفحه وإصلاح إسقاطه ففعلت بعد أن أعلمته أن ترجمته أجود وأسهل فلم يقف الناسخ على تخلص المواضع التي أصلحتها فيه وتخلص كل واحد من تلك المواضع بقدر قوته فبقي الكتاب غير تام الاستقامة والصحة إلى أن كانت أيامنا هذه وكنت لا أزال أهم بإعادة ترجمته^(٣).

٤. وعن كتاب حيلة البراء لجالينوس، يقول أن سلمويه أراد أن يصلح الترجمة: ((فقابلني ببعض المقالة السابعة ومعه السرياني ومعني اليوناني وهو يقرأ على السرياني وكنت كلما مر بي شيء مخالف لليوناني خبرته به فجعل يصلح حتى كبر عليه الأمر وتبين له أن الترجمة من الرأس أرخى وأبلغ وأن الأمر يكون فيها أشد انتظاما^(٤)). ثم يتابع قائلا: ((وكانت عندي للثمانية المقالات الأخيرة منه عدة نسخ باليونانية فقابلت بها وصححت منها نسخة وترجمتها بعناية ما أمكنني من الاستقصاء والبلاغة فأما الست المقالات الأولى فلم أكن وقعت لها إلا على نسخة واحدة وكانت مع ذلك نسخة كثيرة الخطأ فلم يمكنني لذلك تخلص تلك المقالات على غاية ما ينبغي. ثم إنني وقعت على نسخة أخرى فقابلت هذا الكتاب باليونانية قليلة^(٥).

ومن أجل أن يقترب حنين من الكمال في الترجمة وكما يقول الدكتور ماهر عبد القادر كان دائم الاحترام ((لنص الأصلي من حيث المضمون، وفي كثير من الأحيان كان يلتزم بالشكل أيضا. وهذا يعني أنه

ينظر إلى هذه الترجمات على أنها ليست دقيقة، أو أنها ليست جيدة، أو بتعبيره هو (ترجمات رديئة). ومن جانبنا نرجح هذا الافتراض. لكن ينبغي أن نشير إلى أن حنين بن إسحق أشار إلى هذه المسألة في مرحلة متأخرة، وليس في صدر شبابه. ومن ثم ينطبق على ترجماته من صدر شبابه المقولة التي تصدق على الافتراض الأول، والدليل على حجية هذا التصور الإشارات المتعددة التي أوردها حنين في كتابه (إلى علي بن يحيى) ^(١٣). والتي ذكرناها في فقرة سابقة.

الخاصية الرابعة. الأمانة في النقل:

ولابد لنا ونحن نتكلم على خصائص مدرسة حنين في الترجمة أن نتطرق إلى نقطة أخرى تتصل اتصالاً مباشراً بالموضوع وعلى جانب كبير من الأهمية، تلك هي مسألة الأمانة والدقة فيما تم نقله من العلم والمعارف من اللغات المختلفة إلى العربية.

وقد اختلف الباحثون المحدثون في تقويم أمانة أولئك النقلة السريان بشكل عام، فمنهم من أطرى ومدح وآخرون كانوا ناقدين قادحين.

ففي هذا المضمار يقول الأستاذ أحمد أمين:

((وكان هؤلاء السريان ينقلون العلوم اليونانية بدقة وأمانة فيما لم يمس الدين كالمنطق والطب والريضة، أما الإلهيات ونحوها فكانت تعدل بما يتفق والمسيحية حتى لقد حولوا أفلاطون في كتاباتهم إلى راهب شرقي، فقالوا أنه بنى لنفسه معبداً في بركة بعيداً عن الناس وظل يتعبد فيه سنين، وهذه هي الطريقة التي سلكها المسلمون بعد، فقد أغفلوا من الإلهاب كثيراً مما يخالف تعاليم الإسلام)) ^(١٤).

ويقارن الدكتور أمين أسعد، خير الله بين هؤلاء

النقلة والنقلة اللاتين في العصور الوسطى المسيحية فيقول: ((فبين ما ترجم العرب من اليونانية وبين ما ترجم الإفرنج من العربية إلى اللاتينية نجد البون الشاسع بين أمانة أولئك وصدق ترجمتهم وبين تقصير هؤلاء وعدم أمانتهم)) ^(١٥).

ويقول الدكتور رشيد الجميلي: ((كان حنين بن إسحق أميناً في نقله، حرصاً كل الحرص على أداء النص اليوناني أداءً صادقاً وأعاناً على ذلك تمكنه من اليونانية والسريانية وقدرته على التعبير العربي السليم، وكان حنين يحقق ويدقق ويصحح ويراجع، ولا يأنف أن يعيد ترجمة ما ساءت ترجمته. وبرغم انتسابه إلى الثقافة السريانية، لم يتردد في أن يعلن قصور مترجماته القليلة، وحاول أن يتدارك نقصها عن طريق الترجمة العربية)).

ويقول في موضع آخر: ((وكان الترجمة، حنين بن إسحق العبادي، وابنه إسحق بن حنين، وابن أخيه حبش بن الأعسم، وثابت بن قرة، وقسطا بن لوقا البعلبكي، ويعقوب بن إسحق الكندي، جميعهم مشهورين بصدق النظر وسعة المعارف والنزاهة واستقامة الأخلاق، فضلاً عن فهمهم الموضوع الذي يترجمونه ومعرفتهم باللغتين المترجم عنها والمترجم لها معرفة وافية، وكانوا يأخذون من المخطوطات اليونانية لبابها ويضعونه في قالب واضح بارز)).

((وكان أشهر المترجمين (الذين مر ذكرهم) مثال المانة فيما نقلوه، وكانوا إذا وجدوا الترجمة غير مرضية يهملونها ويبداونها من جديد. كما اتفق في ترجمة بعض تأليف جالينوس فقد أهملت ترجمة ابن البطريق وأخذ مكانها ترجمة حنين، كما أهملت عدة تراجم للمجسطي، فلم يبق سوى ترجمة حنين وإصلاح ثابت)) ^(١٦).

بينما يقول الأستاذ أمين مدني على أن هناك من يرى: ((أن النساطرة واليعاقبة لم يكونا أمناء فيما ينقلونه وإن كثيراً من أخطاء الباحثين القدماء يرجع سببها إلى عدم أمانة المعرب أو ضعفه. وأنا لا أستبعد وجود الخطأ فيما ينقل من لغة إلى لغة في الماضي والحاضر. ولكن الأخطاء مهما بلغت لا تشمل جميع ما ينقل. ولا أعتقد أن الأخطاء التي ينسبها البعض على عدم الأمانة. وقعت جميعها عمداً لغرض ما، فقد يكون هناك خطأ في الترجمة من اليونانية إلى السريانية وفي النقل من السريانية إلى العربية. وقد يكون اجتهاد في الفهم وفي التأويل وفي التفسير)).

((على أنني لا أبرئ النساطرة واليعاقبة من الأخطاء المتعمدة التي قد تدفع إليها عقائدهم وعنصريتهم، ولكن وجود هذه الأخطاء فيما عرب في الرها ونصيبين وحران. لم يبلغ درجة عدم صلاحيتها للرجوع إليها))^(١).

الخاصية الخامسة. الترجمة للسريانية أولاً ثم للعربية:

((تجدد الإشارة هنا إلى أسلوب آخر اتبعه بعض من النقلة في ترجماتهم، وينطبق هذا الأسلوب بصفة خاصة على التراجمة السريان، وأعني به أسلوب الترجمة من اليونانية إلى العربية عن طريق السريانية. فقد جعل التراجمة السريان من لغتهم الواسطة التي تنتقل منها علوم ومعارف اليونان إلى اللغة العربية، وهذا ما طبقه حنين بن إسحق ومدرسته إذ نرى أن حنيناً هذا كان يترجم من اليونانية إلى السريانية، ليتولى بعد ذلك إسحق بن حنين، وحبيش الأعسم تنمة الترجمة إلى العربية من اللغة السريانية، علماً بأن حنين بن إسحق كان يتقن اللغة العربية إتقاناً كاملاً كإتقانه للغات التي

يترجم منها كاليونانية مثلاً)).

((ونحن نرى أن الأسلوب الجديد في الترجمة، على الرغم مما كان يرافقه من قلة ما يترجم إلى العربية، وما كان سيحدثه العكس فيما لو اتبع أسلوب الترجمة المباشر من اليونانية إلى العربية، وانصراف النقلة الآخرين بجهودهم إلى ترجمات مماثلة أو مغايرة عوضاً عن حصرها في ترجمة عربية واحدة لكتاب واحد وبترجمة سريانية سابقة عليه، أقول على الرغم من المأخذ على هذه الطريقة السريانية في الترجمة، فإنني أرى أن وراءها أسباباً أدت إلى ذلك أهمها:

١. رغبة حنين وجماعته في نشر لغتهم السريانية على نطاق واسع، حيث يضطر الشخص الذي يرغب في الاطلاع على علوم ومعارف اليونان إلى أن يتعلم اللغة السريانية أولاً كي تسهل عليه قراءة هذه الترجمات، على الرغم من معرفتنا بأن الكتب السريانية كانت تترجم بدورها إلى العربية، ولكن من يدري، فلعل الكثير من الكتب اليونانية قد ترجمت إلى السريانية فقط ولم تترجم إلى العربية فيما بعد)).

٢. العمل على إغناء التراث السرياني بعلوم ومعارف التراث اليوناني، الأمر الذي يكسبه أهمية فوق أهميته الأصلية.

٣. رغبة حنين بن إسحق في إشراك ابنه إسحق بن حنين وابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم في ترجماته هنا، الأمر الذي يوسع دائرة النقلة السريان في ترجماتهم للتراث اليوناني، خاصة أنهما في الصف الأول من فريق النقلة لمدرسة حنين بن إسحق للترجمة.

٤. وأما من حيث اللغة اليونانية. وهي مصدر تلك الترجمات السريانية. فإن حنين بن إسحق، كما

هو معلوم، كان يتقن هذه اللغة إتقاناً عظيماً وإلى الدرجة التي لا ينافسه فيها أحد، وأن كل من عرف هذه اللغة من النقلة الآخرين، يأتون بعده درجة في الترجمة، لذلك فضلوا جميعاً على أن يتولى حنين تنفيذ المرحلة الأولى في الترجمة من اليونانية إلى السريانية. لغتهم الأصلية. لينفذوا هم بعد ذلك المرحلة الثانية والأخيرة في الترجمة من السريانية إلى العربية^(١٠).

وبهذا الصدد يقول أوليري: ((وكثيراً ما وضع المترجم نفسه ترجمتين من الإغريقية، إحداهما بالسريانية والأخرى بالعربية، وكان ثمة مترجمون من السريانية، ولكن هؤلاء يأتون عادة بعد المترجمين من الإغريقية))^(١١).

وبخصوص هذا الأسلوب في النقل، يذكر الدكتور محمد عبد الرحمن مرعي: ((أما الترجمة الحرفية فقد كانت شائعة بين المترجمين السريان عندما كانوا يترجمون من لغة اليونان، وببين المترجمين اليهود اللاتين في فلسطين عندما كانوا ينقلون من العربية إلى العبرية واللاتينية بعد سقوط فلسطين. إن هذا النوع من الترجمة الحرفية، كان أسلوباً ماؤفا عند العرب، ولكن منذ عهد حنين بن إسحق في القرن التاسع الميلادي أصبحت مهمة المترجم - نظرياً وعملياً - نقل المعنى الصحيح نقلاً دقيقاً مضبوطاً))^(١٢).

وبصدد هذا الأسلوب المميز في الترجمة يرى الأستاذ عبد الرحمن بدوي: ((إن المترجمين إلى العربية في القرن الثاني كانوا يميلون عادة إلى الترجمة من السريانية إلى العربية إلى المترجمين من الدرجة الثانية، وهكذا كان يفعل حنين بن إسحق في غالب الأمر، على الرغم من إتقانه للغة العربية. والسبب في هذه الظاهرة الغريبة - فيما

يلوح - الرغبة في الإسراع في إنجاز أكبر عدد من الكتب، وكان المصطلح العربي لم يتكون بعد بينما تكون في السريانية منذ قرون، فكان من الأيسر خصوصاً في الكتب الطبية - أن يقوم كبار المترجمين الذين يتقنون اليونانية - وهم قلة بسبب الترجمة من اليونانية إلى السريانية ويعرفون العربية وهم كثرة وحلهم أو كلهم لا يعرفون اليونانية - أن يقوم بالعمل الثاني، وهو الترجمة من السريانية إلى العربية، على أنه قد يقع للمترجم الواحد أحياناً أن يترجم الكتاب الواحد من اليونانية إلى السريانية، ثم من السريانية إلى العربية))^(١٣).

ويعقب على ذلك الدكتور رشيد الجميلي فيقول: ((والواقع إنني لا أتفق مع ما ذهب إليه الأستاذ بدوي حول باعث هذه الطريقة في الترجمة وذلك لأن الذي يترجم من اليونانية إلى السريانية، يمكنه أن يؤدي نفس الدور الذي يقوم به غيره من النقلة، الذي ينقل من السريانية إلى العربية، بسبب معرفته لليونانية والعربية وهما اللغتان الرئيسيتان في الترجمة المنشودة.

وعلى عكس رأي الأستاذ بدوي تماماً، فإنني أرى أن هذه الطريقة تؤدي إلى قسلة الإنتاج في الترجمة لا إنجاز أكبر عدد من الكتب. كما يقول الأستاذ بدوي. وذلك لأشراك عدد غير قليل من النقلة في ترجمة كتاب واحد، وبعكسه ماذا سيؤول إليه الأمر لو أن المترجم من اليونانية قد ترجم إلى العربية مباشرة دون واسطة اللغة السريانية؟ إن الأمر بطبيعة الحال سيترتب عليه زيادة في عدد الكتب المترجمة، وهو عكس ما قرره الأستاذ بدوي. ومهما يكن من أمر هذه الطريقة في الترجمة، فإن العرب قد تمكنوا بواسطتها من الإطلاع على تراث اليونان وهذا هو الأهم))^(١٤).

١. محمد، الدكتور ماهر عبد القادر: حنين بن إسحق العصر الذهبي للترجمة - دار النهضة العربية، بيروت ١٩٨٧، ص ١٤٧.
٢. الصفدي، الشيخ صلاح الدين خليل آيبك: الغيث المسجم في شرح لامية العجم - دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٥، المجلد الأول، ص ٧٩.
٣. الجميلي، الدكتور رشيد: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجري - دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦، ص ٤٠.
٤. حنين بن إسحق: كتاب العشر مقالات في العين تحقيق وتقديم وترجمة ماكس مايرهوف (طبعة عربية إنكليزية) المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٢٨، ص ٢٩.
٥. بر جستر اسر: أصول نقل النصوص ونشر الكتب إعداد وتقديم حمدي البكري، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، مطبعة الكتب، القاهرة ١٩٦٩، ص ٩٢، ٩٤.
٦. روزنتال، فرانز: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي - دار الثقافة، بيروت ١٩٦١، ص ٧٢.
٧. الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص ٤٧-٤٨.
٨. الدكتور ماهر: حنين بن إسحق (مصدر سابق)، ص ١٣٢-١٣٤.
٩. حنين بن إسحق: رسالة إلى علي بن يحيى في ذكر ما ترجم من كتب جالينوس بعلمه وبعض ما لم يترجم، نشرها عبد الرحمن بدوي في دراسات ونصوص في الفلسفة والعلوم عند العرب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨١، ١٥١.
١٠. المصدر نفسه: ص ١٥٤.
١١. المصدر نفسه: ص ١٥٥.
١٢. المصدر نفسه: ص ١٥٨.
١٣. المصدر نفسه: ص ١٥٨-١٥٩.
١٤. الدكتور ماهر: حنين بن إسحق (مصدر سابق)، ص ١٤٠.
١٥. المصدر نفسه: ص ١٤٢.
١٦. أمين، أحمد: فجر الإسلام - بيروت ١٩٦٩، ص ١٣.
١٧. خير الله، الدكتور أمين أسعد: الطب العربي - المطبعة الأمريكية، بيروت ١٩٤٦، ص ٤٦.
١٨. الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص ٤٦، ٤٧.
٢٠. أوجزنا هذه الفقرة عن الدكتور الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص ٤٢-٤٤.
٢١. أوليري، دي لاسي: الفكر العربي ومكانه في التاريخ - ترجمة تمام حسان، القاهرة ١٩٦١، ص ١١٢.
٢٢. مرحبا، الدكتور محمد عبد الرحمن، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص ٢٢٠.
٢٢. بدوي، الدكتور عبد الرحمن: الأصول اليونانية للنظريات السياسية في الإسلام - القاهرة ١٩٥٤، ج ١، ص ٤٠.
٢٤. الجميلي: حركة الترجمة في المشرق الإسلامي (مصدر سابق)، ص ٤٤.



ظاهرة الجنون في الشعر الصوفي

د. قيس كاظم الجنابي

توطئة:

الجن في اللغة: ولد الجان، وهم نوع من العالم سموا بذلك لاجتنابهم عن الأبصار، ولأنهم استجنوا من الناس فلا يرون. والجمع جنان ويقال: جن الرجل جنونا، وأجنه الله فهو مجنون: رأيت نضو أسفار أمية شاحبا

على نضو أسفار، فجن جنونها^(١) وتعتقد العرب بأن ثمة علاقة بين العبقرية والجن، وأن موضعاً كثير الجن يسمى (عبقر)، قال لبيد:

ومن فاد من إخوانهم وبنيتهم

كهول وشبان كجنة عبقر^(٢)

لذا قرنوا الشعر بالعبقرية والشياطين، واعتقدوا بأن لكل شاعر شيطانا يلقي إليه الشعر، أو أن للشاعر تابعا أو رثيا^(٣). حتى أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تضرع إلى زهير بن أبي سلمى وقال: (اللهم أعذني من شيطانه)^(٤). فجعلت

العرب لكل شاعر شيطانا يلهمه الشعر، فكان لأعشى قيس شيطان اسمه مسحل، ولعمرو بن قطن شيطان اسمه جهنام، ولعبيد بن الأبرص شيطان اسمه هبيد وللنابغة الذبياني شيطان اسمه هادر، ولامرئ القيس شيطان اسمه لافظ بن لافظ، ولحسن بن ثابت شيطان اسمه الشيصبان، وللمخبل شيطان اسمه عمرو، وللفرزدق شيطان

اسمه عمرو أيضا، ولبشار بن برد شيطان اسمه شنقناق^(٥).

فإذا كان ثمة علاقة وطيدة بين الشعر والجن، فقد كان للجن شعرها وتوابعها، وكذلك هو حال الشعراء الذين تمتعوا بالعبقرية، واستلهموا قصائدهم من وحي الشعر، فتفتقت قرائحهم عن رأي الشعر، وتكهنت الكهان حتى أن الشاعر كثيرا ما كان يتقمص دور الكاهن، فقد كان بعض الشعراء إذا أراد الهجاء دهن أحد شقي رأسه، وارخى إزاره، وأنتعل نعل واحد^(٦). محاكيا بذلك هيئة الساحر، أو الكاهن، ومؤديا طقسا كهنوتيا يجمع بين الشعر والكهانة واستثمار العلاقة بالجن والهواتف لشحذ القرية من أجل الإضرار بالخصم، مع اقتفاء لروح ومنزلة ووسائل الكهانة والسحر حتى يسهل عنده قول الشعر، ويصبح أكثر تأثيرا وانتشارا وإغالا في دحر المهجو.

ظاهرة الجنون في الشعر العربي:

إذا كان الشعر يرتبط بالجن والشياطين بهذه الطريقة، فإن الشعر العربي ربط ربطا واضحا بين العشق والجنون، فقد لقبوا قيس بن معاذ، الذي يقال له: قيس بن الملوح بالجنون، أو مجنون بني عامر، ولم يكن قيس مجنونا، وإنما جننه العشق لذهاب عقله من شدة عشقه^(٧)، وأنشد:



ورأوا أن العشق هو أعظم ما في المجانين، وأنه
يصرع صاحبه ما يصرع مرض الصرع صاحبه،
فقال أحدهم:

قالت جنت على رأسي فقلت لها
العشق أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يفوق الدهر صاحبه
وانما يصرع المجنون في الحين^(١٢)
وان الحب يعلن ما في الإنسان من جزء جنني،
بوصف الإنس والجن عالمين متقاربين، فإذا استعر
الحب أعلن عن الجنون كما في قول الشاعر:

كتمت جنوني وهو في القلب كامن
فلما استوى والحب أعلنه الحب
وخلاؤه والجسم الصحيح يذيه
فلما أذاب الجسم ذل له القلب

فجسمي نحيل للجنون وللهورى
فهذا له نهب وهذا له نهب^(١٣)

فيتقاسم الحب والجنون الجسد، ويلقيان به في
حلبة السقم والمرض، حتى يبدو العاشق نحيلًا،
فكان الشعر خير من عبر عن حالات الإحساس
بالحب والوله والاقتراب من الجنون، لأن إحساس
الشاعر قادر على نقل المشاعر الإنسانية
والعواطف الجياشة، وهو اجس النفس البشرية
المتاعية، هذا فضلا عن العلاقة الخفية الكامنة
بين الشعر والجن، التي هي علاقة متصلة
باستمرار الحب الذي تلبسته نوبات الجنون
والاستغراق التام بالمحبوب. فكان عمر بن أبي
ربيعة يوصل بين الحب والجنون فيقول:

ليس حب فوق ما أحببتكم
غير أن اقتل نفسي أو أجن^(١٤)

يسمونني المجنون حين يرونني
نعم بي من ليلي الغداة جنون
وقيل سمي بالمجنون لقوله:
واني مجنون بليلى مؤكّل

ولست عزوقاً عن هواها ولا جلدًا^(١٥)
ولعله سمي بذلك لتوهمه بسماع هاتف يصيح: (يا
ليلي) في ليلة ظلماء^(١٦). والهاتف له علاقة بالجن
والرئي، فكان الحب يوصل بين جانبين مختلفين،
أحدهما مرئي والآخر مستتر يتوارى خلف
الأوهام، لذا زال عقل المجنون وامتنع عن الأكل
والشرب، فعرف أنه جن وذهب الحب بعقله^(١٧). ثم
أضافوا إليه شعراء آخرين وصفوهم بالمجنون،
فقالوا: كان معاذ بن كليب مجنونًا، وكان يحب ليلي،
وشركه في حبها مزاحم بن الحارث العقيلي، فقال
مزاحم يوما للمجنون:

كسلانا يا معاذ يحب ليلي
بسفي وفيك من ليلي التراب
شركتك في هوى من كان حظي
وحظك من مودتها العذاب
لقد خبلت فؤادك ثم تئت

بقلي فهو محبول مصاب^(١٨)
وكانوا يرون بأن العشق إذا استولى على صاحبه
تركه ذا هلا شبه المغشي عليه لا يسمع ولا يبصر إلا
حبيبه، فيفر عن كل شاغل يشغله، فيكون في سائر
أحواله معرضًا عن أحوال العقلاء شبه مجنون،
ورأوا أن العشق عشق الهي، وأن العشق جنون،
والجنون فنون، وانشدوا:

ولقيت في حبك ما لم يلقه
في حب ليلي قيسها المجنون
لكنني لم اتبع وحش الفلا
كفعال قيس والجنون فنون^(١٩)



وانتهم عروة بن حزام بالجنون بسبب الحب
فقال:

ما بي من خبل ولا بي جنة
ولكن عمي يسأني كذوب
أقول لعراف اليمامة دارني
فأنك إن داريتني لظنيتني

فرا كيدا أمست رفاتا كأنما
يلذعها بالمرقة مسافات طبس
عشية لا عفراء منك بعيدة
فتسلو ولا عفراء منك قريب

من هنا ارتبط الشعر بالمجانين الذين عاصروا
والموسوسين، فذكروا عددا كبيرا منهم، يخامرني
شك في صحة وجودهم، أولا كثرة أخبارهم،
وثانيا لاحتمال انتقال هذا التراث الشعري على
السنة الرواة بعد نشوء مجالس القصص، فذكروا
منهم:

شحطون الموسوس البغدادي، وأبنا غصن
سوسنة الموسوس، المجنون الأديب، وطيطون
المجنون، وعليان المجنون البصري أو عليانة
المجنونة، ومجنون المريد، وماني الموسوس (ت
٢٤٥هـ) واسمه محمد بن القاسم شاعر لبن الشعر
رقيقه، لم يقل شيئا إلا في الغزل، وماني لقاب
غلب عليه قدم بغداد أيام المتوكل، وكان من
أطراف الناس^(٢٧). فكان يشك كل ظاهرة خاصة
لاتصاله بالفقهاء والمحدثين حتى قيل إن ابن
عمار يجيء بالمجانين فيكتب هذيانهم ويسلطهم
على المشايخ فيصفعونهم في الصوامع إذا أدنوا،
ومن شعره قوله:

فإن لم يقولوا مات أو هو ميت

فريدي إذا قلبي جنونا ووسواسا^(٢٨)

وكان الفويراع من عقلاء المجانين يرميه
المسيبان بالحجارة فيقول: أما ترى ما يصنع هؤلاء
بي ما أنا فيه من العشق والجنون، ثم انشد:

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو
فهذا له حسد وهذا له حسد^(٢٩)
كما كان سوسنة، أبو غصن الموسوس من عقلاء
المجانين يقول:

ما أرى غير عدله نفسي سكون
بطلانية وفي حسن مس^(٣٠)

أما شحطون الموسوس البغدادي، فكان يقول:
يا شيخ قل لي أمنا عدل من المهيمن دل
بنا، يكون لنا عقل وما لي عقل^(٣١)

وكان جعيفران بن علي بن اصغر الأنباري،
المعروف بجعيفران لوسوس، موسوسا فإذا ثاب إلى
رأسه قال الشعر الجيد^(٣٢)، فكان علي بن يوسف
عنه:

طاف به طيفه من السوسواس
نفسه عنسه لمدّة النعاس
فما يسرى بمأس بالأناس
ولا يلذ عشرة الجلاس

فهو غريب بين هذا الناس^(٣٣)
والشاعر يرفض هذا الاتهام، ويرى أنه بسبب
افلاس وفلة حظه من الدنيا، وهو في هذا يعبر عن
نزوع سلوكي خاص يرى في الجنون تمردا على
واقع مشحون بالماديات والكذب، لأنهم يجهلون ما
بهم من إحساس خفي، لهذا يدعو أصحابه إلى
الاستئناس بالخمرة، ومن قوله يصف حاله:

رأيت الناس يدعوني بمجنون على حال
ما بي اليوم من جن ولا وسواسي بلبل
ولكن قرفهم هذا لإفلاسي وإقلالي^(٣٤)
فكان الناس يرمونه بالوسواس، وهو يهرب

الإنسانية المتدفقة التي يولدها العشق، لأن الجنون يتكون من مخالطة الجن لعقل الإنسان، والجموح العاطفي المتوهج يدفع الشخصية الإنسانية الحساسة نحو الانفصال عن واقعها، والتزاماتها تجاه الآخرين وتقاليدهم الاجتماعية وعاداتهم وأعرافهم التي تنف من مجموعة من الضوابط والتقاليد الأخلاقية، وهذا ما يجعل شدة العشق تغترق الحواجز فتدفع الناس إلى وصف العاشق بالجنون والمسر، والوسوسة، مما ينبئ بأن العشق هو أعظم حالات التمازج الإنساني والاتحاد الروحي والذي يصبح لدى المجانين أكثر انفلاتا وتعبيرا عن حقيقة الشوق واللوعة والوجد بالحبيب، وتعامل الحب مع عواطفه تعاملًا بعيدا عن رقابة المجتمع، لأنه اتصال روحي مثله مثل الحب الإلهي عند المتصوفة، فأصبح الشعر والجنون والحب والتصوف مربعا شعوريا يتصل بالحدس الإنساني وسمو العواطف النبيلة التي تلغي المسافات وتجمع بين القلوب.

ظاهرة الجنون في الشعر الصوفي:

افرز التصوف والزهد وإيثار العبادة الخالصة والتفرغ التام لله ظاهرة خاصة وصفت بالتلبس والوسوسة والجنون حتى أصبحت شخصية المجنون رمزا للحب الإلهي وخلقًا صوفيا جديدا حتى قيل إن عبارة (أنا ليلي) هي التي انطلقت الصوفية بها قيسا، وهي تشبه عبارة العلاج (أنا الحق) لتشابه الفناء والاتحاد حتى أدخل الصوفية في أخبار المجنون ما يدل على رصف حسه ورقة شعوره وشبوب عاطفته، فامتدت شخصية قيس ونمت ودخل نسيجها في تكوين شيء من رموز الحب الصوفي^(١٠). ويشكل الجن صورة لباطن

منهم إلى الخمرة:

رأيت الناس يرموني
ومن يضبط يا صاح
قد ع ما قاله الناس
الكاس^(١١)

ويصف الناس بالكذب، لأنهم وصفوه بالجنون وفقدان العقل فيقول:

قالوا عليّ كذبا وبطلا
أني مجنون ذقة
قالوا المحال كذبا وجهلا

أقبح بهذا الفعل منهم فعلا^(١٢)
واعترى خالد الكاتب الجنون من السوداء، فكان يصحو أحيانا، ويغمر أحيانا، فترك العمل مدة، حتى وسوس آخر عمره^(١٣) فكان يقول:

يا تسارك الجسم بلا قاصب
أن كنت أراك فما ذنبي؟
يا مفردا بالحسن افر دثني

منك بـ... طاول الهجر والحب
إن تسك عيني أبرت فتنة

فهل إلى قـ... لي من عجب^(١٤)

فالحب يشكل حالة إنسانية منفردة تدفع بالحب إلى التضحية بالنفس من أجل حبيبته عبر استعداد خاص في التفاني، لأن الحب يلغي الحواجز بين الأجساد ويوصل بين الأرواح، فيفتح أفقا خفيا في الامتزاج النفسي، لهذا بدت قصائد الشعراء العشاق المجانين معبرة خير تعبیر عن حقيقة المحبة مما يجعل سلوك ونزعات النفس الإنسانية المولدة أقرب إلى سلوك ومشاعر المتصوفة وهو يخفون تجربة الحب الإلهي، وبهذا كان الحب خير وشيجة بين التصوف والجنون. من هنا ارتبط الجنون بالشعور الإنساني والعواطف

الإنسان في مقابل ظاهره^(٢١). بما يديم الصلة بين الإنسان والجن ويجعلها كعلاقة الظاهر والباطن، والعام والخاص عند المتصوفة، فالخاص الصوفي هو باطن متوغل في الأعماق مثله مثل الجن الذي يتوارى عن الأبصار، فقد كان أويس القرني أول من نسب إلى الجنون في الإسلام حين هام على وجهه فلم يوقف له على أثر^(٢٢). وكانت له أفكار في الزهد والأرواح وآراء في تحاب المؤمنين بروح الله وإن لم يلتقوا^(٢٣). ولعل ذلك حصل بسبب إحساسه بخيبة الأمل بعد نشوء الفرق والأهواء والصراعات السياسية، لأن الجنون يمنح الإنسان حرية في التعبير دون نفاق، فكان الجنون نوعاً من الرفض السلبي لواقع متقلب، وإدانة خفية لما يجري من أحداث ومناصرات سياسية أدت إلى متغيرات خطيرة في بنية المجتمع العربي-الإسلامي اجتماعياً وثقافياً حتى إن أبا بكر الشبلي (ت ٢٢٤هـ) ظهر وهو يهيج مررداً بعض شعر المجنون^(٢٤). وقيل سمع معتموها يقول: أنا مجنون الله، أنا مجنون الله^(٢٥). ولعل ذلك قاده إلى القول:

قالوا: جنت على ليلي فقلت لهم

الحب أسره ما بالجانين^(٢٦)

وقال أيضاً:

باح مجنون عامر بهواه

و كتمت الهوى ففرت بوجدي^(٢٧)

فكان يحدث في مجلسه مهيباً بشخصية المجنون الرمزية التي تنطوي على البواكير الأولى لتحول الحب العذري إلى حب صوفي، كما انطوت شخصية ليلي على ما اشرب الصوفية المرأة من رموز ودلالات^(٢٨) وإلى ذلك يشير أحد المتصوفة:

اشتاقه لا عن مسافة بيننا

ولكن يحسن إلى لقاء جناني^(٢٩)

وآثر العباد والمتصوفة التظاهر بالجنون لئلا يفصحوا عما يكونون في أنفسهم من هوى ومحبة حتى أصبح الجنون طريق جماعة من السلف، وحال طبقة من صادقي الخلف، اخفوا أنفسهم وأسقطوا منازلهم حتى سموا (عقلاء المجانين)، وهذا من الزهد في النفس وحقيقة التواضع، إلا أنه زهد مجانين الأولياء، وتواضع موقفي الضعفاء^(٣٠)، فكانوا ظاهرة لافتة للنظر تستدعي من الباحثين البحث والدراسة، فكيف كان الجنون تعبيراً عن موقف؟.

كان الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) يتظاهر بالخرس والجنون مراراً ليتفر الناس عنه، ولا يشغلوه عن ربه عز وجل، فأقام في صحراء بغداد والعراق وخرائبها نحو خمس وعشرين سنة على التجريد والسياسة حتى كان لا يعرف الخلق ولا يعرفونه^(٣١). وكان ذو النون المصري (ت ٢٤٥هـ) يجيب عن أحد الأسئلة فيقول: ((يا أخي له محبوب صغار وكبار ومجانين وعقلاء، فهذا الذي رأيته من مجانينهم والمحبة كتمان بلاء الحبيب بعد الرضا لأن ذلك من السر عنده وحسن الأدب لديه))^(٣٢). ومن هنا كثر عدد العباد والزهاد المتظاهرين بالجنون من أمثال أبي علي المعتوه، وعباس المجنون، وسعدون المجنون، وسمنون المجنون، وبهلول المجنون، ونمير المجنون، وريحان المجنون، والبغدادى المجنون، فهذا أحد العباد في بيت المقدس يقول:

وموت دهرى بالجنون عن الررى

لأكنم ما بـي من هواه فما أنكنم



فلما رأيت الشوق والحب بانحا
كشفت قناعي ثم قلت: نعم

فان قيل مجنون فقد جني الهوى
وان قيل مسقام فما بي من سقم^(١٢)

وهذا يجيب عن سبب تظاهر المتصوفة بالجنون
حتى أصبح موقفا وظاهرة، وكما اتصلت المقابر
بالمجانين فان المتصوفة الذين مالوا الى الجنون أو
تظاهروا به مالوا الى سكنى المقابر، لأن الموتى
باعترافهم أقرب من الأحياء إليهم وأكثر منهم
سكينة، فقد كان بهلول المجنون (ت ١٩٠ هـ) يقول:
(أنا عند قوم لا يؤذني، وإن غبت عنهم لا

يغتابوني))^(١٣). فكان الجنون خير معبر عن توهج
العواطف كما النار التي تتلظى فلا تخبو كما وصف
ذلك أحد محبي المتصوفة:

جنوني فيك لا يخفى وناري فيك لا تخبر
فأنت السميع والناظر —————
والقلب^(١٤)

فكان التظاهر بالجنون عند المتصوفة يتوغل
ليعقد صلة حميمة بين الحب الإلهي والعبادة
الخالصة لله وهذا ما جسده عباس المجنون بقوله:

يا حبيب القلوب من لي سواكا
أرحم اليوم مذنباً قد أناكا

أنت سؤلي ومنيتي وسروري قد
أبى القلب أن يجيب سواكا

ليس سؤلي من الجنان نعيم
غير أنني أريدها لأراكا^(١٥)

وكان البغدادى المجنون يقول: ((أنا مجنون الله))
ثم ينشد:

يقولون زرنا وأقض واجب حقنا
وقد أسقطت حالي حقوقهم عني

إذا رأوا حالي ولم يأنفوا لها
ولم يأنفوا منها أنفت لهم مني^(١٦)
وأشار يحيى بن معاذ الرازي المتصوف (ت

٢٥٨ هـ) الى اتهامه بالجنون فقال:
أمرت بداء لا يصاب دوايا

ولا فرج ————— أرى في بلايا
يقول يحيى جن من بعد صحة

فمن غيره يرجو طيبا مداويا^(١٧)
كما يشير أبو علي الروذباري (ت ٣٢٢ هـ) الى لطف
الجنان فيقول:

أغراك بالحب حب في تحية
لطف الجنان وعطف في تغييه^(١٨)

وانقطع أبو الفوارس الصوفي، الحسين بن يلمش
بن يزدمر التركي (ت ٥٢٢ هـ) الى الله عدة سنين،
فتواصلت لديه المحبة الصوفية بالجنون في قوله:

يا من أجن لها الفؤاد هوى سببا بالجنون^(١٩)
وشاعت بجانب ذلك علاقة الجنون بالعبادات
من أمثال ميمونة السوداء التي كانت عليها جبة

صوف مكتوب عليها: لا تباع ولا تشتري^(٢٠)، كما
أنشدت إحدى الجوارى المتهمات أو المتظاهرات
بالجنون السري السقطي (ت ٢٥٣ هـ) فقالت:

وجاوبني الحق من جناني
وكان وعظي على لساني

قريبي منه بعد بعد
وخصني منه اصطفاني

أجبت لما دعيت طوعا
ملياً للذي دعاني

وخفت لما جنت فيه
ما يوقع الحب بالأمانى^(٢١)

توحد المرأة العابدة بين العبادة كدعاء والمحبة
الإلهية حتى قادتها هذه المحبة الى جنون المحبين



فقالت جارية مجنونة ثانية:

زهّد الزاهدون والعابدون

إذ لمولاهم أجاجوا البســــــــــــــــطونا

اسهروا الأعين القريبة فيه

فمضى ليلهم وهم ســـــــــــــــــــــاهرون

حسرتهم محبة الله حتى

علم الناس أن فيهم جنوناً^{٥٥}

وهنا أصبحت المحبة الإلهية تخفي وصما بالجنون،

فالعابدة المتصوفة ترى في الجنون خير تعبير عن

خلاصها من حياتها الدنيوية وإحساســــــــــــــــها

بالاغتراب فتحاول أن تعلن محبتها لله بإخلاص

وتجرد، وخشية أن تمنع أو يكبح جماح رغبتها،

كانت تتظاهر بالجنون كي تحصل على مساحة ما

من الحرية كما في قول ثالثة للسري السقطي:

معشر الناس ما جنت ولكن

أنا مسكرانة وقلبي صاحبي

قد غللتهم يدي ولم آت ذنبا

غير هتكي في حبسه وأفتضا حــــــــــــــــسي

أنا مفتونة بحب حبيب

لست أبغي عن بابيه من براحي

فصلاحي الذي رأيت فسادي

وفساد الذي رأيت صلاحــــــــــــــــي^{٥٦}

تشير هذه العابدة إلى أن اتهامها بالجنون جاء

نتيجة الفهم الخاطئ لتفسير محبتها لله، هذا الحب

الذي صار صورة من صور الحب المحرم، لأن

المجتمع يقمع أي حب للمرأة فأصبح الجنون مهرباً

من ذلك القمع ومحاولة لممارسة أي نوع من الحب

تفضي به هذه المرأة الزاهدة إلى نفسها المشبعة

بالأسى والحرمان، لذا أصبح الجنون تعبيراً عن

الحب الإلهي، ثم تبسّعت رؤى المتصوفة كالفناء

والسكر الصوفي وهتك الحجب وتبادل الأفكار ولأن

للمتصوفة فهمهم الخاص بمظاهر الأشياء فلكل

صـــــــــــــــــــــود الخاص بـــــــــــــــــــــه، وربما جنونه الخاص

وصلاحه الخاص. ولأن صحبة الله هي فوق

مستوى الوعي والإدراك بوصفها صلة القلوب في

نداءاتها الترامية بالأعماق بين الذات الإنسانية

والخالق الكبير مما يجعلهم في تيه وتلبــــــــــــــــس

خاصين، فقد كان التصوف علم القلوب والبهــــــــــــــــاطن

الذي يدفع العارفين نحو الاندماج الروحي مع

الحق فينتزعه من مباهج الحياة المادية الزائفة

وملذاتها المحسوسة ويدفعه نحو عالم خاص لا

يبلغه إلا من سلك الطريق وأمن بكتمان الخواطر

واستسلم لصراعات الحب التي فسر لها الواقع

تفسيراً مختلفاً، فهذه جارية تصف الحب عند أحد

مجانين التصوف في أن تقول للمجنون: قم،

فيقوم، ورمقته فقال الجني ويحك لا عدت إليه

أبداً^{٥٧}. مما يشير إلى حقيقة تلبس الجن بالحبين

الذين هاموا وتجردوا من الاتصال الحســــــــــــــــسي

بآخرين، لأنهم أثروا الاتصال بالجانب الروحي

وغير الجسدي بالحب مما ينسجم مع حقيقة

الصلة بين المتصوف والعاشق، فقد كان المتصوف

يرى المحبة تجرداً عن الماديات وانغماساً عميقاً في

الحب الإلهي، وهذا ما أشارت إليه إحدى العابداً

بقولها:

لك علم بما يجنّ فؤادي

فارحن ذلي وذلي وانفرادي^{٥٨}

قادت الظروف العامة بكل جوانبها إلى انكماش

فئات كثيرة من أبناء المجتمع واستبعادهم عن

جمهور العامة وإيثارهم حياة العزلة والزهد في

عملية رفض سلبى للواقع فاتخذت التصوف

والعبادة، وبعضها أوغل في تحرره من هذا الواقع فاتخذ الجنون وسيلة من وسائل نقد الواقع وتعريته، والتعبير عن أفكاره بسلوكية الجانين بعيداً عن الرقابة بكل أشكالها، وبانفلات عن ضوابط السلوك الاجتماعي يمنح الإنسان مساحة من التعبير والاحتجاج أكثر مما يوفرها المجتمع أو توفره السلطة السائدة، فهذا بهلول المجنون، وهو بهلول بن المغيرة (ت، ١٩٠هـ) صاحب مساجلات عديدة مع هارون الرشيد تشير إلى وجود صراع خفي بين حياة الدعة والترف وبين حياة الزهد، بين الغنى والفقر، بين اللهو والعبادة، فكان إدعاء الجنون أو التظاهر به لدى هؤلاء المتصوفة نوعاً من الخلاص، في حين كان الجنون تهمة للتقليل من حجم وأهمية النقد اللاذع الذي يشنه عقلاء الجانين من الصوفية على السلطة السياسية والاجتماعية سلوكاً وشعراً^(٣٧). فقد كانت مواعظ بهلول وحكمه للخليفة ذماً للدنيا ولذاتها الفانية: أف للدنيا فليست لي بدار إنما الراححة في دار القرار أبت الساعات إلا سرعة

في يسلي جسمي بليلى نهار^(٣٨)

أما سعدون المجنون، سعدون بن عمر (ت ٢٥٠هـ) فإنه يقول عن جنونه: ((ترعمون أني مجنون وما بي من جنون، ولكن حب مولاي قد خالط قلبي وأحشائي وجرى بين لحمي ودمي وعظامي وأنا والله من حبه هائم مشغول))^(٣٩). فهو يشير إلى الحب الإلهي وصحبة الله عز وجل ويتذمر من صحبة الناس الذين وصفهم بالعقارب حين يقول:

خذ من الناس جانباً وأرض بالله صاحباً
قلت: الناس كيف شئت تجدتهم عقارباً^(٤٠)

فكان صاحب صحبة يهيم بها فتتورده نوبات من الوجد تدفعه إلى الانفصال عن حوله، لأنه صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنوناً لتردد قوله في المحبة^(٤١). فكان يقول عن العارفين الذين عرفوا الله حق معرفته وتراموا في حبه حد التوحد:

قلوب العارفين تحن حتى
نحـل بقربه في كل راح
صفت في وده مولاهما فما أن

لها من وده أبداً — راح^(٤٢)
وسمى سمنون المجنون، سمنون بن —
حمزة (ت، ٢٩٨هـ) نفسه بسمنون الكذاب بسبب أبيات منها قوله:
فليس لي سواك حظ

فكيف ما شئت فامتحنني^(٤٣)
وهو صاحب محبة لله، وعزلة خاصة تجرد فيها من مغريات الدنيا وآثر الزهد والتقشف والكفاف، أبتلي بعلقة عسر البول، فكان يصبر ولا يجزع، ويطوف على المكاتب، ويقول: ((أدعو لعمكم الكذاب))^(٤٤). ومن شعره في الحب الإلهي عند الصوفية قوله:

أهل المحبة ما نالوا الذي وجدوا
حتى يسيدهم في الخلوة أنفردوا
تراهم الدهر لا يمضون من بلي

إلا ويكي عليهم ذلك البلد^(٤٥)
تقترن المحبة لله بالخلوة عند الصوفية والانقطاع التام لسلوك الطريق وبالسياحات والرياضات التي توصلهم إلى حالة من التجرد التام عن كل ما يحيط بمغريات الحياة، لهذا عبروا عن حياتهم

الخاصة خير تعبـير في نفثاتهم الوجدانية المتدفقة التي كان الشعر واحداً من روافدها المهمة.
الخاتمة:

شكل الجنون في الشعر العربي ظاهرة، مثلما شكلت ظاهرة الجنون في الشعر الصوفي ملمحاً وصفياً لمجموعة من الشعراء الذين اتصل سلوكهم وشعرهم بموقف خاص جعل الجنون تعبيراً إشارياً وموقفاً اجتماعياً وسياسياً يرفض كل ما يتعارض مع مصلحة المجتمع، فكان رفضاً خفياً للواقع ولمارسات المجتمع البعيدة عن روح المصلحة الصادقة للأكثرية المستلبة، فكان موقف بهلول الجنون يتصف بالجرأة والصراحة، لأنه يرفض مباهج الحياة المادية ويدعو إلى استذكار الحياة الآخرة والعمل على التزود بالتقوى، ويتجه باتجاه التعبير عن الحب الإلهي بما يكشف عن ملامح التجربة الشعرية المرتبطة بالطريق الصوفي وذلك باتخاذ الجنون وسيلة من وسائل التحرر والانفلات من ضوابط السلطة والمجتمع، وهذا ما جعل الشعر والسلوك يتلازمان في كشف خفايا هذه التجربة الإنسانية الفريدة تجربة شعر عقلاء المجانين عبر تركيبه خاصة من الوعي واللاوعي

والظاهر والباطن، والخاص والعام، وهي تسلك سبيل النقد اللاذع للحياة المادية، الموصوف بالتخليط تجنباً لاحتدام الصدام المباشر بين السلطة والمجتمع من جهة وبين عقلاء المجانين من جهة ثانية حتى غدا هذا الشعر تعبيراً عن شاعرية مختلفة تماماً عن الشعر العربي لغة وسلوكاً وأفكاراً، وإن بقي شعر المجانين يتصل اتصالاً واضحاً بالشعر الصوفي ويلتزم بضوابطه الفنية وموضوعاته في التخاطر والسكر الصوفي والحب الإلهي واعتزال العامة وإيثار التجربة الذاتية الخاصة فكان هذا الشعر تعبيراً عن المعرفة الصوفية والمكاشفات والإشارات الخفية، وهرباً من ظروف وضوابط خانقة جعلت الصوفي يدعي الجنون، أو جعلت المجتمع يتهمه به، وهو في هذا يدين واقعاً ليؤسس تجربته الخاصة الموهونة بالمجاهدات والرياضات الروحية من هنا كانت هذه الظاهرة تكشف عن وضع اجتماعي ونفسي خاص، وعن سلوك لطريق يرفض واقعاً مفروضاً فيتمرد عليه بالصمت وإعلان الجنون والتزام الزهد ونقد الترف حدته قديم الموعظة لأولياء الأمر.

الهوامش

- (١) لسان العرب (جنن).
- (٢) نفسه (عبقص).
- (٣) ربيع الأبرار: ٢٨٢/١.
- (٤) الأغاني: ٣١٠/١٠.
- (٥) لسان العرب: (شصب)، ربيع الأبرار: ٢٨٤/١.
- جمهرة أشعار العرب: ٤٧/١، الحيوان: ٢٢٧/٦.
- (٦) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: ٢٢٦/٦.
- (٧) الشعر والشعراء: ٤٦٧/٢.
- (٨) الأغاني: ٢٣/٢.
- (٩) نفسه: ٤٥. ٤٤/٢.
- (١٠) مصارع العشاق: ١٢٥/١.
- (١١) الأغاني: ١٠/٢.
- (١٢) مشارق أنوار القلوب: ص ٩٨. ٩٩.
- (١٣) مصارع العشاق: ١٢٦/١.
- (١٤) نفسه: ٢٥/٢.
- (١٥) الأغاني: ١٤٤/١.
- (١٦) نفسه: ٣٠٦/٢٢.
- (١٧) الأغاني: ٦٠. ٥٦/٢٢، فوات الوفيات: ٢٢/٤.
- (١٨) مصارع العشاق: ٩٨/١.
- (١٩) تزيين الأسواق: ٢٢١/١.
- (٢٠) الوافي بالوفيات: ٤٤/١٦.
- (٢١) نفسه: ١٢١/١٦.
- (٢٢) الأغاني: ١٤٨/٢٠، الوافي بالوفيات: ١٦٩/١١.
- (٢٣) الأغاني: ١٥٣/٢٠.
- (٢٤) الأغاني: ١٥٠/٢٠، الوافي بالوفيات: ١٦٩/١١.
- (٢٥) الأغاني: ١٥١/٢٠، الوافي بالوفيات: ١٦٩/١١.
- (٢٦) الأغاني: ١٥٠/٢٠، الوافي بالوفيات: ١٧٠/١١.
- (٢٧) الأغاني: ١٤٩/٢٠.

- (٤٩) اللمع: ص ٢٠٧.
 (٥٠) الوافي بالوفيات: ٨٣/١٤.
 (٥١) صفة الصفوة: ٩٣/٢.
 (٥٢) روض الرياحين بهامش قصص الأنبياء للثعلبي
 (العرائس): ص ٢٠.
 (٥٣) صفة الصفوة: ٥١/٤.
 (٥٤) روض الرياحين: ص ٢٨.
 (٥٥) تزيين الأسواق: ٤٩/١.
 (٥٦) نفسه.
 (٥٧) ينظر شعره الموجه الى الرشيد: علم القلوب: ص ٦١-٦٢، الطبقات الكبرى: ٥٨/١، صفة الصفوة: ٥١٧/٢.
 (٥٨) صفة الصفوة: ٥١٧/٢، عقلاء المجانين: ص ٧٧ في ترك الحرص.
 (٥٩) روض الرياحين: ص ١٩٤.
 (٦٠) نفسه.
 (٦١) تزيين الأسواق: ٤٣/١.
 (٦٢) عقلاء المجانين: ص ٦٢.
 (٦٣) الرسالة القشيرية: ص ٣٦، مصارع العشاق: ٥٠/١.
 (٦٤) الرسالة القشيرية: ص ٣٧.
 (٦٥) عقلاء المجانين: ص ١٠٦.

- (٢٨) الأغاني، ٢٢٤/٢٠، تزيين الأسواق: ٢٢٢/١.
 (٢٩) الأغاني، ٢٢٥/٢٠، تزيين الأسواق: ٢٢٢/١.
 (٣٠) الرمز الشعري عند الصوفية: ص ١٣٤.
 (٣١) المعجم الصوفي: ص ٢٧٩.
 (٣٢) عقلاء المجانين: ص ٦٩.
 (٣٣) إحياء علوم الدين: ١٩٢/٩.
 (٣٤) مصارع العشاق: ١٧٢/١.
 (٣٥) صفة الصفوة: ٥١٩/١، الوافي بالوفيات: ٢٧/١٤.
 (٣٦) ديوانه: ص ١٧٠.
 (٣٧) نفسه: ص ١٩٩.
 (٣٨) الرمز الشعري عند الصوفية: ص ١٣٥، راجع مصارع العشاق: ٢٢٣/١-٢٤.
 (٣٩) الروض الفائق: ص ١٢٩.
 (٤٠) قوت القلوب: ١٤٢/٢.
 (٤١) الأنوار القدسية: ٨٢/١.
 (٤٢) قوت القلوب: ١٣١/٢.
 (٤٣) صفة الصفوة: ٢٤٩/٤.
 (٤٤) الروض الفائق: ص ٢٢٩.
 (٤٥) نتائج الأفكار: ٨٢/٤.
 (٤٦) صفة الصفوة: ٢٥٠/٤، حلية الأولياء: ١٤٥/١٠.
 (٤٧) المنتظم: ٢٢٥/٦.
 (٤٨) اللمع: ص ٢٢٣-٢٢٤، مصارع العشاق: ٢٧٥/١.

مصادر ومراجع البحث

- * إحياء علوم الدين، الغزالي، مطبعة لجنة نشر الثقافة الإسلامية سنة ١٢٥٦هـ.
 * الأغاني، الأصفهاني، دار الثقافة بيروت، د. ت.
 * الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، الشعراني، تحقيق: سرور والشافعي، المكتبة العلمية، بيروت، د. ت.
 * تزيين الأسواق في أخبار العشاق، الأنطاكي، دار حمد ومحيو، بيروت ١٩٧٢م.
 * جمهرة أشعار العرب، القرشي، تحقيق: البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، د. ت.
 * ديوان الشبلي، تحقيق: مصطفى الشبيبي، دار التضامن، بغداد، ١٩٦٧م.
 * ربيع الأبرار، الزمخشري، تحقيق: سليم النعيمي، القاهرة، ١٩٦٦م.
 * الرسالة القشيرية، مطبعة محمد علي صبيح، الأندلس، بيروت، ١٩٧٨م.
 * روض الرياحين في حكايات الصالحين، اليافي، بهامش قصص الأنبياء للثعلبي المعروف بـ (العرائس) مكتبة القاهرة، د. ت.
 * الروض الفائق في المواعظ والرقائق، الحريفيش، المكتبة الثقافية، بيروت ١٩٧٢م.

- وطه سرور، مطبعة السعادة، ١٩٦٠م.
- * مشارق أنوار القلوب، ابن الدباغ، تحقيق: ريتز، دار صادر - بيروت، دت.
- * مصارع العشاق، السراج القاري، دار صادر، بيروت، دت.
- * المعجم الصوفي، سعاد الحكيم، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨١م.
- * الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م.
- * المنتظم، ابن الجوزي، الشركة الوطنية، بغداد، ١٩٩٠م.
- * نتائج الأفكار القدسية، العروسي، دمشق، دت.
- * الوافي بالوفيات، الصفدي، ج ١١، تحقيق: شكري فيصل، بفسبادن، ١٩٨١، ج ١٤، تحقيق: ديدرينج، بفسبادن، ١٩٨٢.
- * الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الثقافة، ط ٤، بيروت، ١٩٨٠م.
- * صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق: فاخوري، دار الوعي، القاهرة، دت.
- * الطبقات الكبرى، الشعراني، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، دت.
- * عقلاء المجانين، النيسابوري، تعليق: وجيه الكيلاني، المطبعة العربية بمصر، ١٩٢٤م.
- * علم القلوب، المكي، تحقيق: عبد القادر عطا، شركة الطباعة الفنية المحدودة، القاهرة ١٩٦٤م.
- * فوات الوفيات، الكتبي، تح: احسان عباس، مراجعة: سعيد مكارم، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م.
- * لسان العرب، ابن منظور، دار لسان العرب، بيروت، دت.
- * اللمع، السراج الطوسي، تحقيق: عبد الحليم محمود



الاغتراب في شعر المتنبي

أ. د. فليح كريم خضير الركابي
كلية الآداب - جامعة بغداد

فكبله بقيود وغمره بالأم وشروور وأشعره بأنه
غريب بين أهله وناسه^(١).
والاغتراب:

هو انعدام السلطة والانفصام عن الذات والتذمر
والعداء والاعتزال والانفصال والنفور والانزعاج
والعجز عن التلاؤم والاختفاق وعدم التكيف مع
الاموضاع السائدة وقد يكون الاغتراب لظروف
اقتصادية في المجتمعات الرأسمالية جراء اغتصاب
حقوق الآخرين^(٢)، او لاسباب دينية تسبب العزلة
والتصوف للنفس المغتربة تلك النفس التي تكون
ناثية عن المجتمع بأفكارها ومشاعرها وذلك ما
سنلا حظله عند أبي الطيب وعلى لسانه.

اسباب الاغتراب

لا يأتي الشيء من العدم، او يكون منقطع الجذور
اذ لا بد من اسباب موجبة تكون وراء ظهوره
وبروزه على السطح فيكون مشخصاً من لدن
القارئ او المتأمل وذلك ما لاحظناه من خلال
استعراضنا لحياة المتنبي المولود عام ٢٠٢ هـ في حي
كندة بالكوفة، وفيها تلقى علومه الاولى وفي مدارس
العلويين على وجه الخصوص^(٣). فنهل البيان من
منهل عذب ثم صقله حين بدأ مع ابيه غلاماً.
شعر المتنبي بالاغتراب عن واقعته منذ ولادته او
منذ ادراك الحياة يتيم الام فانعكس ذلك بوضوح
في شعره، وسلوكه، ومن اسباب اغترابه.

١. النسب المصنوع

المتنبي الشاعر الظاهرة، الذي يتربع على عرش
مملكة الشعر منذ مئات السنين، وسيبقى دوي
ذلك الاسم ما بقيت الانسانية، والملاحظ ان اللغة
انقادت له انقياداً رائعاً، فكانت طوع بنانه، باتفاق
الاراء، وقد وهفت خلفها مضامين فكرية ثرة بينت
لنا حالة العصر الذي عاش فيه الشاعر، والملايسات
التي رافقت حياته، كما عكست الطموح والكبرياء،
والشمم، التي غمرت اناسي نفسه المغتربة،
التمردة، التي تبجست عن الامارة والملك، فكان
موضوع الباحث الاغتراب في شعر المتنبي حيث
الحقائق تبرز واضحة من خلال استنطاق شعره
مستعرضاً معنى الغربة والاغتراب أولاً، وبعض
اسباب الاغتراب ثانياً ونتائجها ثالثاً، ثم خاتمة
المطاف، وما آلت اليه نهاية هذا العملاق.

الغربة والاغتراب

الغربة لغة كلمة تشترك فيها معان عديدة كما
جاء في لسان العرب منها:
البعد، والنوى، والاعتزال، والنفي، والتنحي،
والنزوح عن الوطن والاغتراب^(٤). اما اصطلاحاً فهي
عاطفة تستولي على المرء لا سيما الفنانون
فيعيشون في قلق وكآبة لشعورهم بالبعد عما
يهوون، ويتداخل المعنى اللغوي والاصطلاحى
ليعطيا مفهوماً واحداً هو الابتعاد عن الناس
بالجسم او بالفكر.

ومعنى الاغتراب:

شعور الفنان بأن العالم كله سجن أقبح فيه مرغماً،

أكبر من ذلك، وإن هذه المهنة الوضيعة التي الصقت بابيه لا تليق به وبنسبه، فمن هنا بدأ التنحي والترفع عن المجتمع بل إن الشاعر أكد ارتقاءه وترفعه، وإن نبوءته لنفسه تحققت إذ فاق الأولين والآخرين في فن الشعر وكان قمة الهرم: ^(١)
أي محل ارتقى أي عظيماتقى
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي
إن ذكاء الشاعر وموهبته المتدفقة والفرادة التي خص بها كان لها دور رئيس في اغترابه وترفعه.

٢. شعور المتنبي بالاخفاق وخيبة الأمل
شعر المتنبي بالاخفاق حين زار بغداد في شبابه ولم يجد من يعتد به، أو بشعره، مما جعله يحس بالمرارة والالام، والاغتراب، فقرر الرحيل إلى بلاد الشام معلناً عن بدء الغربة المكانية لأنه ((لم يجد في بغداد ولا في الكوفة شيئاً مما يصبو إليه من مال وجاه وشهرة ولذلك عول على أن ينشد هذا كله وبعضه في بلد آخر فرحل إلى الشام عام ٣٢١ هـ كما يرجح أبو العلاء، فأكثر من التجوال فيها وجاب حاضرتها وباديتها وعرف كثيراً من أهلها ومدح عدداً كبيراً من عظمائها ونبلائها)) ^(٢). لكن النحس رافقه حين تضافرت عليه عوامل عديدة مثل الفقر والسجن والغربة لتزيد من الالام النفسي والشعور بالضعف والمهانة وهو يقبل المعونة من أبي دلف الذي ألب الحاكم عليه ثم توسط في الإفراج عنه فنراه يقول ^(٣):

أهون بطول الثواء والتلف
والسجن والقبيد يا أبا دلف
غير اختيار قبلت برك بي
والجوع يرضي الأسود بالجيف

كن أيها السجن كيف شئت فقد
وطنت للموت نفس مسعترف
لو كان سكتاي فيك منقصة
لم يكن الدر ساكن الصدف
ثقافة عالية في انتقاء المعاني وتبصر فريد
بعادات أهل البادية وأهل الخليج الذين اشتهروا بصيد اللؤلؤ.
الفقر والسجن زادا من مرارة الاغتراب أو قسوة الزمن فضلاً عن قسوة الإنسان التي جعلت ذلك العملاق المترفع يرح تحت طائلة السجن، ولن يتمكن من تحقيق مأربه ووضعت الأيام الشاعر تحت رحمة من لا يقيم له وزناً ولا يقدر نسبه وعلمه.

٣. الجسد
اعتداد المتنبي بنفسه وفروسيته والبحث عن السلطان أثارت الحساد عليه وذلك ما أوجع الاغتراب في نفسه، وهو في الشام يبحث عن مستقر له فشعر حساده بأن طموحه تهديد لمصالحهم وحياتهم المستقبلية عند الأمراء مثل ابن كرويس، نديم بدر بن عمار حاكم طبرية، الذي ساءه، أن يستأثر الشاعر بعطف ابن عمار، فكاد له وأبعده عن الأمير، فنأى الشاعر مغترباً بجسمه وفكره حتى استقر به المقام في بلاط الحمدانيين وأصبح من مقربي سيف الدولة وذلك ما الهب الحسد في النفوس التي تبغض هذه الموهبة المتدفقة التي بدأت تنعم بخير الأمير الذي ((كان يفيض عليه الهبات تلو الهبات ويوليه من الحفاوة ما لا يولي أحد فشق هذا على من يحضرته من العلماء والأدباء والشعراء وصاروا يحسدون الشاعر على مكانه من الأمير ويكيدون له ويثلبونه ويحطون من قدره)) ^(٤). فخاطب الشاعر الأمير قائلاً ^(٥):

إن كان سركم ما قال حاسدا
فما لجرح إذا رضى لكم الم

الجرح والالام رفيقا الشاعر ومن اسباب اغترابه
النفسي والفكري وهو يخاطب الامير والحساد معا
بكل عنفوان ورفعة وجراء ذلك الحسد، يبدو ان
المتنبي تشاء منه فسمى ولد ((محسدا)).

٤ خذلان كافور للشاعر
لم يحقق كافور الاخشيدي بعض مطامح المتنبي،
بل انه خذله بسبب الوشاية والحسد وهما اللذان
لعبا دورا رئيسا في اقضاء الشاعر عن مصر، واحس
بأنه محاصر، فاجتمع في نفسه الخوف والضياع،
والاغتراب المكاني والاخفاق في تحقيق المبتغى وعاد
متخفيا هاربا من بطش الامير الاخشيدي وذلك ما
ولد لديه اغترابا فكريا، ونفسيا وهو محبط لم
يحقق ما يصبوا اليه وقد قال في كافور ما ليس
فيه^(٥):

اذا كسب الناس المعالي بالندى
فأنك تعطي في نساك المعالي
وغير كثير ان يزورك راجل
فيرجع ملكا للعراقين واليا
فقد تهب الجيش الذي جاء غازيا
لسانك الفرد الذي جاء عافيا
ان سؤال الشاعر للامير بأن يحقق مطامحه فيكون
ملكاً او والياً لن يحصل مما اثار في نفسه ردود افعال
نفسية سيئة جعلته يعيش مغتربا عن واقعه
ويشعر بانه مرفوض من لدن السلطة الحاكمة في
مصر ونادم على ذلك المديح لكافور الاخشيدي.

٥ عدم انسجامه مع المجتمع البغدادي مرة اخرى
زار المتنبي بغداد سنة ٢٥٢ هـ واتصل بابي الحسن
محمد وزير معز الدولة المعروف بالهلبلي لكنهما
(الخليفة والوزير) عزفا عنه بسبب عزوفه عن
مدحهما بل انه خاصمهما مخاصمة شديدة في اثناء
وجوده في بلاط الحمدانيين^(٦) وذلك ما دعا الرجل
بأن يغترب مكانيا مرة اخرى ويتجه الى ارجان في
بلاد فارس عند ابن العميد الذي احسن وفادته

واحسن الشاعر مديحه ومن اروع ما قاله المتنبي
هناك قصيدته المشهورة في وصف شعب بوان^(٧) :
مغاني الشعب طليبا في الغاني
بمنزلة الربيع من الزمان

ولكن الفتى العربي فيها
غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها
سليمان لسار بترجمان
ان موقف المتنبي الفكري في هذه القصيدة واضح
وفيه شك فقد كان جمال الوادي مبعث حديثه عن
الخليفة من آدم (ع) الى معجزة سليمان ثم عن واقع
الشاعر المليء بالتناقضات وعن جمال الطبيعة
الساحر الذي اثار شجون المتنبي وشكوكه.
نتائج الاغتراب

لقد اغترب المتنبي - كما مر بنا - مكانيا فأبتعد
عن اهله ووطنه ولاقى في محال اقامته الرخاء
والعناء معا، وسببت له نفسه المترفة التي تسكن
بين جوانحه نفورا من المجتمع او نفور المجتمع منه
ولانه لم يحقق بعض آماله التي كانت تراوده ضاق
ذرا بما آل اليه ترحاله، فتعرض الى اغتراب نفسي
وفكري انعكس جليا في شعره ومن نتائج ذلك
الاغتراب:

١. الحنين الى مراتب الطفولة
حن المتنبي الى مهد صباه (الكوفة) لاسيما حين
ورده خبر وفاة راعية طفولته جدته فقال^(٨) :
لك الله من مفجوعة بحبيبها
قتيلة شوق غير ملحقها وصما
أحن الى الكأس التي شربت بها
واهوى لثواها التراب وما ضما
أناها كتابي بعد يأس وترحة
فماتت سرورا بسي فمت بها غما
رقا دمعا الجاري وجفت جفونها
وفارق حبي قلبها بعدما ادمى
اول ضحايا غربة المتنبي هذه العجوز التي فجعت



ترك مدحيك كالهجاء لنفسي
وقــــــــــــــــــــليل لك المديح الكثير
غير اني تركت مقتضب الشعر
لامر مثلي به معذور
وسجايك مادحائك لا لفظي وجود على كلامي
يغير

فسقى الله من أحب بكفيك : وأسقاك أيهذا الأمير
التداعي والاحباط كانا وراء عزوف المتنبي عن
مدح ذلك الرجل، وشعوره بالخيبة وخذلان الأمير
الحمداني له، وعدم انصافه والاخذ من خصومه
وهذه الحادثة كافية ان تثير الاغتراب النفسي،
والفكري في هكذا رجل عنيد مترفع ذكي.

٣. عدم تمكنه من تحقيق مأربه
كان هدف المتنبي منذ شبابه الحصول على امانة
او ولاية وفي اي مكان، وان طموحه لن يتوقف عند
تلك الحدود التي بلغها وكان يرى انه قرين الامراء
الذين حل ببلاطاتهم بل انه في بعض الاحيان يرى
انه اشرف نسبا منهم وان الهدف الذي جال من اجله
في البلدان لن يتحقق وان المؤامرة ابعدته عن بلاط
الحمدانيين على الرغم منه وانتهى الامر بــــــــــــه
معتدى عليه فقرر الرحيل الى بلاد مصر بعد
مخاطبات مع والي كافور في الشام الذي وعده بملك
او ولاية، فأغترب المتنبي مكانيا مرة اخرى نائباً عن
الكوفة الموطن الاصلي، وعن حلب التي تألف معها
ميمما وجهه نحو العاصمة المصرية التي لم يحقق
فيها مبتغاه وادرك فيما بعد انه سجين كافور او
رهن الاقامة الجبرية فعول على الفرار عام ٢٥٠هـ
عائداً الى وطنه (العراق) ومختتماً سني الاغتراب
التي ذاق فيها حلاوة مجالسة الامراء ومبرارة
حقيقتهم.

٤. النتيجة المخيبة للآمال:

انتهت حياة ذلك العملاق على يد عملاء السلطة

بفراق حبيبها المغرب الذي نأت به الايام منذ
شبابه فماتت دون ان ترى وحيدها الذي قابل
ذلك الخبر بالحنين واللهفة الى قبرها البعيد، ويرى
الشاعر ان سبب وفاتها الفرح المفرط بمعرفة
اخباره واتصاله بها بعد ان اوشكت تلك العجوز ان
تفقد الأمل ولا تراه ثانية لقد بنى الشاعر نصه
على التضاد والمفارقة (يأس وترحة - سرور وغم)
وان النص تحرك حركة سريعة الى الخلف ليتذكر
الشاعر دموع الفراق التي سكبتها جدته حين
ترحاله وابستعاده عنها وهو اليوم يقف عاجزاً لا
يتمكن من رؤيتها وقد خطفتها يد النون فجفت
دموعها وحف عمرها الى الابد ليرد عليه خبر
وفاتها ويزيد من لوعته واغترابه.

٢. التعرض الى الاعتداء

لقد جر الاغتراب على المتنبي كثير من النتائج
السلبية ومنها حادثة البلاط الحمداني المشهورة
حين تعرض الى الضرب من ابن خالويه في مجلس
الامير وهو يناقش في مسألة لغوية وسكوت الامير
عن ذلك، فأثر هذا الموقف في نفس الشاعر الذي
أثر الرحيل مختتماً حياته في حلب هناك
ومتوجها الى صاحبه الحسن بن عبيد الله بن طنج
صديقه القديم، يرافقه الحزن والاغتراب. وقد
استقبله ذلك الصديق واكرم وفادته وسأله ان
يمدحه لكن الشاعر اعتذر لاسباب نفسية مؤلمة
تركها تلك الحادثة، والملاحظ ان المتنبي ابلغ في
قصيدة المديح وفي اشرافها ورفع مكانة الممدوح
وقد تصرف الشاعر باللغة ببراعة حين قال
(مدحيك) وهي لفظة مولدة كشفت عن صورة
رائعة حين جمع المتضادات (مدح - هجاء - قليل -

كثير) في بيت واحد قائلاً^(١٨):



وهو امر يرجحه العقل لعزوفه عن مدح الخليفة
والوزير ومخاصمته لهما، اما مسؤولية فاتك الاسدي
عن دم المتنبي جراء هجاء المتنبي له، فانها بسيطة
ولا تحظى بالتأييد.
النتيجة الايجابية:
استفاد المتنبي في اثناء اغترابه في اثره تجربته
الشعرية جراء الترحال في امصار مختلفة وافادته من
مجالسة الامراء وادباء عصره وذيوع صوت الشاعر
بين الامصار فكانت مجموعة تجارب متنوعة.

وفي الختام لابد من القول ان المتنبي ولد مغتربا
وعاش مغتربا ومات مغتربا وان الفقر والطموح
والذكاء والموهبة المتدفقة والحسد وراء تلك
النتيجة الحزنة التي انتهت اليها حياة الشاعر
المتنبي مقتولا في دير العاقول مرميا في العراء وقد
لف الغموض حادثة القتل كما لف بعض تفاصيل
حياته ليستحيل لغزا محيرا ويكون بحق مالى
الدنيا وشاغل الناس لكن يوم مقتله كان يوم
ولادته وانتصاره على الفناء.

هوامش البحث ومصادره

١. ينظر لسان العرب (مادة غرب) ابن منظور.
- الدار المصرية للتأليف والترجمة جعفر خياط.
٢. ينظر المعجم الادبي. جبور عبد النور. دار
العلم للملايين بيروت ١٩٧٩.
٣. ينظر الاغتراب. شاخت ص ٦٦ ترجمة كامل
يوسف حسين بيروت المؤسسة العربية للدراسات/
١٩٨٠.
٤. ينظر في الادب العباسي. د. محمد مهدي البصير
مطبعة النعمان. النجف الاشرف، ص ٣٢٥.
٥. ينظر نفسه ص ٢٢٤.
٦. شرح ديوان المتنبي. البرقوقى. دار الكتاب
العربي بيروت لبنان ٤٦/٢.
٧. نفسه ٤/ ٨٨.
٨. نفسه ١٩٧.
٩. نفسه ٢/ ٤٨.
١٠. نفسه ٢/ ٨١.
١١. في الادب العباسي ص ٢٢٦.
١٢. شرح الديوان ٢/ ٢٣.
١٣. في الادب العباسي ص ٢٢٢.
١٤. الديوان ٤/ ٨٧.
١٥. نفسه ٤/ ٤٢٧.
١٦. ينظر في الادب العباسي ص ٢٤٠.
١٧. الديوان ٤/ ٢٨٣.
١٨. نفسه ٤/ ٢٢٧.
١٩. نفسه ٢/ ٢٥١.

الشخصية والطبيعة في الشعر القديم

د. عبد الفتاح نافع
جامعة اليرموك اربد - الاردن

المقدمة:

يعيد كثيرون كل شيء في حياة العربي في الجاهلية الى الصحراء. فيرجعون نظام معيشتهم وطريقة تفكيره ونوع شعوره وما اعتاده من عادات كريمة او خصال ذميمة الى أثر حياة البادية التي يحيها. ويرون في شجاعته وتفانيه وفخره وزهوه واعجابه بقومه، وسماحة نفسه بصمات او طوابع خلقتها فيه حياة الصحراء. وقد ذهب هؤلاء في حماسهم مذهبا بعيدا أغفلوا معه الى حد كبير شخصية الشاعر وما تقوم به من دور فاعل أو أثر خلاق في المرنمات، وما لها من رؤية خاصة تنفذ عن طريقها الى باطن الأشياء تمنع فيها وتسبر أغوارها وتستجليها لتصل الى حقائق ومفاهيم جديدة كامنة لا يمكن أن نصل اليها دون فهم حقيقي لهذه الشخصية التي أبدعتها.

وإذا كان النقد في أحد مظاهره ترجمة لحياة الفنان، فإن من الخطأ أن نضع حداً فاصلاً بين الفنان وبين عمله المبدع. ذلك أن تحاشي الدخول في حياة الفنان الباطنية، ودراسة العمل الأدبي مستقلاً عن مبدعه أو اعتبار العمل الأدبي بكامله انعكاساً للحياة الخارجية وأثارها على الأديب يضع الفنان في دائرة من السلبية المطلقة ويستلزم منه القدرة على العطاء ويجعله مجرد متلقٍ لا فخذ لا مبتكر خلاق.

وإذا كنا لا ننكر أثر الطبيعة على الشاعر القديم وعلى خلق كثير من التوجهات لديه، إلا أننا ينبغي أن نضع في الاعتبار أن هذا الشاعر لم يكن أبداً مجرد مررد لأصوات البيئة التي يعايشها وما يتردد فيها من أصداء. فهذا الشاعر هو أولاً وقبل كل شيء إنسان يحس ويتأثر

وينفعل فيعبر عن إحساسه وتأثره وانفعاله عن طريق الأدب. ولا يمكن لنا بأي حال من الأحوال فهم الأدب على أنه صوت من أصوات الصمت أو عزله عن صاحبه وما تتأجج به نفسه من مشاعر وانفعالات. إن الشاعر القديم كان يتأمل الطبيعة، بل يغرق في تأملها والبناء فيها، ولكن هذه المعطيات التي كان يقدمها كان يخلطها بشخصيته، بل هو يفكر من خلالها، فتتكشف لها رؤى جديدة ما كانت لتتكشف لو اكتفى الشاعر بنقلها كما هي في الواقع.

فإذا أمنا بأن العمل العظيم لا يأتي مستقلاً عن مبدعه، بل لابد لهذا المبدع أن يترك بصماته الخاصة في هذا العمل، وإذا أمنا بأن هناك دائماً خيوطاً مرئية وغير مرئية تربط العمل بالشعور الذي أبدعه أمكننا أن نصل الى العلاقة المتينة التي تربط بين شخصية الأديب وبين بيئته.

وقد حاولنا في هذا البحث أن ندرس هذه العلاقة واضعين في الاعتبار أن في قلب كل عمل أدبي مبتكر وجوداً إنسانياً يربط بين صاحبه وبين الوجود حوله، وأن الأدب والحال هذه ليس أكثر من وساطة بين الأديب وعالمه، وليس أكثر من أمانة يؤديها الفنان، لا ينقل هذا الوجود على حقيقته أو تصوير الواقع كما يراه الفاس الاعتياديون بل عن طريق شق الحجب ومحو الطلاء والتوصل الى رؤية هي إن كانت خاصة إلا أن الفنان بعمله الابداعي يعممها لتصبح شبه مطلقة تلاقي القبول والرضى وتبعث في النفس مزيداً من التأمل والإعجاب.

وقد اقتضت هذه الدراسة أن نقدم لها بلمحة حول أثر الطبيعة الصحراوية في تكيف الشخصية، على

الطبيعة الصحراوية وأثرها في تكوين الشخصية

كان طبيعياً أن تكيف البيئة الصحراوية أبناءها تكيفاً خاصاً، فهي بيئة تتعذر فيها الحياة لقسوة مناخها في الصيف والشتاء ولقلة أمطارها وما يتركه هذا من جلب وقحط. فنذر الماء وشح الطعام، واضطر العربي أن يعيش حياة متنقلة كانت في مجملها صراعا دائما مع الطبيعة.

وليس من شك في أن هذه البيئة بما فيها من شظف ومتربة أكسبت العربي خلق الصبر وقوة الاحتمال والتقشف وأحالتة إلى محب للآخرين ينظر إليهم بعين العطف والكرم. كما قوت هذه الظروف صلة العربي بالقبيلة وقوت صلة القبيلة به. فهو لا ينطق إلا باسمها وهي لا تتخلى عنه أبداً.

وعلى الرغم من خشونة الصحراء وقسوتها فإننا نجد حبها متغلغلاً في أعماقهم، يعشقونها ويتعلقون بها ويحنون إليها ويتحسرون في غربتهم على الدهناء ورمالها وسهلها وجبالها ورياحها وغبارها. بل إن هذا الفناء الشديد في البيئة أدى ببعضهم إلى عبادة موجوداتها^(١). كما أدت بهم علاقتهم الوثيقة بالصحراء أن عرفوا كثيراً مما يتصل بالطبيعة، فعرفوا أسماء الكواكب ومسالك النجوم ومواقعها وألوانها ومطالعها وأنواءها، وما يتصل بذلك من خصب أو محل أو رياح أو مطر فملأت هذه المعارف أشعارهم ثم كتبهم فيما بعد^(٢).

ولعل أهم ما تركته الصحراء في أبنائها أنها أطرت العلاقات وصنعت القيم الاجتماعية والأدبية. وشكل الارتباط الوثيق بين العربي والصحراء وحدة عضوية لإفكاك لأواصرها، فتكونت عنده نظرة مقدسة تجاه صحرائه وأخذت تعني بالنسبة له الحرية والانطلاق وعدم التقيد، وخلقته منه شخصية لها سمات وملامح رومانسية انعكست على أدبه فساهمت في جعله خالداً على مر العصور^(٣).

ولما كانت حياة الصحراء تحمل طابع التحرك، فقد تركت بصماتها في حياة البدو، فقوت في أنفسهم معنى التشبث بالوطن والتغني به. فالطبيعة الصحراوية والحياة الرعوية والنظام القبلي والتنقل المستمر جعلهم حريصين على مكان إقامتهم متشبثين به. وبعث في أنفسهم إحساساً حاداً بالغربة عندما كانوا

اعتبار أن هذا التكيف لا يعني أن هذه الطبيعة كانت تملئ وتفرض ولكن على اعتبار أن هناك تفاعلاً حياً بين الشخصية ومحيطها، وأن الشعراء لا ينسجون على منوال الطبيعة بل هم يمتزجون بها ويرونها من واقع طباعهم وأمزجتهم. ولما كان هذا التفاعل يبدو واضحاً في كل جانب من جوانب الطبيعة التي تناولها الشعراء، قدمنا موجزاً لموقف الشعر من هذه الطبيعة، جامدة أو متحركة على اعتبار أن الشعر مصداق للطبيعة والإنسان معا.

ثم عرضنا للجانب الأساسي من البحث، وهو عملية الإبداع الناجمة عن تسخير الطبيعة لخدمة الفن. ولم يكن بالإمكان أن نفرق في هذا المجال، فتناولنا شخصية امرئ القيس، وزهير، وطرفة، وعنترة، ولم نقصد بهذا الاختيار أن نحدد أو أن نقتصر بل كان عرض هؤلاء الشعراء بمثابة أمثلة مختلفة المزاج والطابع والرؤية، رأيت كل منها الطبيعة بمنظار خاص مختلف. ثم عرضنا لغير هؤلاء في أماكن أخرى حيث اقتضت طبيعة البحث.

وقد وجدنا لزاماً علينا أن نعرض في نهاية البحث ما قدمنا له في بدايته، مناقشين رؤية النقاد للنظرة الحسية عند الشعراء وأحكامهم العامة على الشعراء القدماء بأنهم مصورون حسيون لا يخرجون من دائرة الواقع، وأن خيالهم المحدود جعل صورهم مجرد نقل حرفي لمشاهداتهم، وأن شعرهم في الطبيعة لا يعدو هذه الرؤية، فعرضنا للأصالة والمحاكاة وموقف الشخصية بينهما، ثم توصلنا في نهاية البحث إلى أن شعر الطبيعة لدى الشعراء القدماء لم يكن مجرد محاكاة أو قوالب مكررة يصب فيها كل شاعر مشاهداته، بل هو علاقة روحية وثيقة بين الشخصية الأدبية ومشاهد الطبيعة، وأن هذه المشاهد لم تأت في أشعار القدماء تجميلاً وتزييناً للقصيدة أو حشواً يقصد منه الشاعر أن يظهر براعة في الوصف أو البيان، وأن نظرات الشعراء القدماء لظواهر الطبيعة كانت متباينة. رغم تشابه المشاهد. وأنها كانت تصدر عن مواقف نفسية متباينة يرسم فيها كل شاعر شخصيته بما فيها من أهواء وميول ومزاج وطبع. فجاءت هذه اللوحات تحمل جمال الوجود لا بسبب ما فيها من ألوان وزخارف وأطر فحسب، بل لما فيها من طابع إنساني شامل يعمها فيبعث فيها سر خلودها.

المقدرة وسمو نفسه عند المصائب وحلمه عند الشتائم ونضجه وألعيته عند حزم الأمور^(١) وإذا كانت مغالبة الطبيعة العاتية قد صنعت للعربي شخصية قوية ظهرت بأنانيته ونزوعه إلى الحرية والاستقلال وحب الخير لنفسه من دون غيره، وظهرت في جلده وصبره، فقد جعلته هذه الطبيعة أيضا شديد الحساسية سريع التأثر متوتر الأعصاب مذعنا للقضاء والقدر، وعلمته أن يكون مقداما جسورا يلقي الأهوال، كريما يقرى الضيوف ويمنع الجار ويغيث الملهوف^(٢). وقد انعكس هذا على أدبه فقوى عنده الحس العملي فمال إلى الانطواء على نفسه وتجميع أفكاره في جمل موجزة^(٣).

وإذا كانت البيئة قد تركت آثارها في شخصية العربي وتصرفاته، فقد تركت آثارها في تصوراته ونظراته، فبينت له رؤية خاصة تجاه موجودات الصحراء من حيوان وطيور ونبات، فعبّر وابتدع عن رحلاتهم وما وصفوه من حيوان عن رحلة الحياة نفسها في أهوائها ومسرراتها ومواجعها وكفاحها الخائب^(٤) فنقلوا وجدان الجماعة العربية في قلقها ومخاوفها وأفراحها وأحلامها، ورأوا في حقيقة الصراع الماثل بين الأحياء والطبيعة صراعا يمثل جوهر الحياة وقانونها الخالد^(٥).

وعندما تغنوا إعجابا بالمرأة كانوا في الحقيقة يعبرون عن إعجابهم بالطبيعة المثالة أمامهم المحفورة في مخيلتهم، ومن ثم خلعوا على المرأة صفات الطبيعة وسمات عناصرها، فالقوام جريدة نخل والكفل كتيب رمل والثغر نور أقحوان جلاه الندى، وهي في إقبالها ظبية رشيدة ترعى في منهبط الوادي الخصيب وتهز ثمر الأراك^(٦).

وقد تفاعل العربي مع بيئته تفاعلا حيا ظهرت آثاره في مختلف جوانب حياته وتصرفاته، وانعكس هذا الأثر على فن الشعراء كل حسب شخصيته، فلم يصبوا شعرهم في قوالب جامدة ولم تكن تصوراتهم بعيدة عن شخصياتهم^(٧) وإنما برزت واضحة جلية متميزة، فأبدع كل منهم في الاتجاه الذي ناسب شخصيته وعرض كل منهم خواطر نفسه بالطريقة التي ارتضتها هذه الشخصية.

(٢)

موقف الشعر القديم من الطبيعة

تناول العرب مواضيع كثيرة في شعرهم، كان

مضطرين إلى تركه، وقد تنامي هذا الإحساس مع الزمن حتى أصبح ملازما للفرد وظهر واضحا جليا في شخصه وانعكس على أدبه، فظهرت في شعره الحيرة والدهشة والرغبة والضياع والقلق والهيام^(٨). فالشاعر الجاهلي يبدو غريبا مهاجرا قلقا قليل الثقة بصروف الدهر. ولحظات الفرح لديه تظل وشيكة الرحيل، فهو يغتصب المتعة اغتصابا في حياة فانية يسابق فيها الموت إلى لذته:

ألا أيها اللامي أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدى؟

فإن كنت لا تستطيع دفع مني

فدعني أبادرها بما ملكت يدي^(٩)

وعلمتهم طبيعة الحياة القاسية الخشنة معاني الرجولة، وزرعت في أنفسهم خصال الحياة الكريمة، وما قيمة الحياة إذا لم يعيش الإنسان حياة حرة كريمة! ألم تر أن المرء رهن منية

صريع لعافى الطير أو سوف يرأس

فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة

وموتن بها حرا وجلدك أملس^(١٠)

وهم يفضلون البيت على الطوى على أن تخذش كرامتهم، ويدفعون كل ما يملكون حفاظا على أعراضهم وشرفهم^(١١) كما علمتهم قسوة الطبيعة أن يسارعوا إلى نجدة القوم وأن يشاركوا في بحث الأمور الخطيرة التي تحديق بالقبيلة:

إذا القوم قالوا من قتي؟ خلت أني

عنيت فلم أكسل ولم أتبلد^(١٢)

كما غرست في نفوسهم الجراة والشجاعة والنجدة والكرم والمجاملة وحسن الصانعة وعدم إيذاء الجار والعشير وجعلتهم ينفرون أشد النفور من البخل والجبن والغش والتخاذل.

وسيطرت مظاهر الجاهلية على النفسية العربية القديمة، ووصلت إلى حد التناقض أحيانا، فهم يثنون على شجاعة الفارس ولكنهم يعجبون باعتداله عند

الوصف من أبرزها. ويرى بعض النقاد أن العرب لم يخرجوا عن الصور المادية في تصوراتهم، وأن صورهم جاءت سطحية الخيال محسوسة لا تجرية فيها. وأن الشاعر الجاهلي بسبب ماديته الكثيفة لم تظهر عنده عاطفة الطبيعة واضحة جلية، ومن ثم لم يستطع أن يعبر عن اختلاجات نفسه نحو الطبيعة أو أن يبت الحياة فيها أو أن يتعدى مرئياتها فيرتفع بها عن منزلتها، فليس له قوة الخيال المبدع الذي يختزن الحسوسات ويجمع بينها ويحللها ويركبها ليقدّم صوراً جديدة مبتكرة^(١). كما أن مثلهم في القصيدة لا يعدو الحديث عن الحبيبة النائية والديار العافية والتشوق إلى الحبيبة بحنين الإبل ولع البرق والارتياح إلى النسيم الذي يهب من ناحيتها والنار التي تلوح من جهتها ثم وصف الرحيل والانتقال والسفر وتجشم المشاق^(٢). وكم ن ظلم الشعر الجاهلي عندما نقطع الصلة بينه وبين الطبيعة، وننظر إليه على أنه نقل حرفي للواقع من دون أن يمس الروح الإنسانية. فالشعر الجاهلي حقاً مرآة للحياة العربية مثل بيتتها المتحركة والصامتة، وتناول كل جانب من جوانبها فجاء صورة صادقة أمينة لكل ما في البيئة المترامية من حيوان أو نبات أو جماد، فوجدنا طعم البادية وريح الصحراء في كل مقطوعة أو قصيدة. ولكن الشاعر يسكب أنفاسه وأحاسيسه في كل هذه الجزئيات التي يتناولها. فقد تمثل الشعراء بيئتهم وامتزجوا بها، فابتدعت في أذهانهم الخواطر، فاخترعوا واشتقوا وصاغوا ونسجوا كل على منواله، فامرؤ القيس جلى في رسم صورها والشنفرى سجل بؤسها الشديد، وعنترة بشمالها الفارسة، وحاتم بمكارمها النادرة، وزهير بحكمته العفوية، وطرفة بمصيرها المحتوم، والنابعة بقبلياتها، وابن كلثوم بسفرها الجامح، والحطيئة بألومها ودناءتها^(٣).

كانت الطبيعة منزل وحي الشاعر القديم ومن جاء بعده، لجأ إليها زهير حين استعصى عليه قول الشعر فعطفت عليه وأعانتة^(٤) واستعان بها كثير، فلم تبخل عليه^(٥) وظل ذو الرمة محافظاً على الصحراء وما فيها، فعشقها وأحبها وأنطقها، فهي عنده تتكلم والصمت يغني والفضاء الواسع تتعالى منه أصوات الناس يدعون بعضهم بعضاً^(٦).

وقد عظم اهتمام العرب بالطبيعة كما وكيفا،

فوصفوا دروب الصحراء ومنسرباتها الخفية، وعيون الماء وما يكسوها أو ينبت حولها، ووصفوا الربيع ومرجه الخصيب ورياضه المعشبة وازدحام النحل والذباب يتغنى ثعلاً بنشوة الحياة، ووصفوا الصيف بخره وديدانه وأفاعيه ومنظر الحيوان والطير تلذجه الحرارة، والنبات وقد جف وأخذ يتطاير متناثراً في الهواء. والشتاء ببرده القارس وأثره على الزواحف والحيوان. ووصفوا الجبال الشامخة والوعول والعقبان والنسور والصقور والحبارى والحمام والأنهار وطيور الماء. وتحدثوا عن النجوم في إشرافها واختفائها، في برقها وسكنها وحركتها. ووصفوا الرعود والبروق والأنواء والسحب والغمام والمطر والسيول^(٧).

ولم تأت أوصاف الشعراء جامدة معدومة الحياة، وإنما ربحوا ذلك بمشاعرهم وأحاسيسهم، فالريح اليمينية تبعث في النفس البهجة والطمأنينة لأنها تبشر بالمطر والخصب، والريح الشامية تبعث التشاؤم لأنها تحمل البرد والصقيع وتندّر بانقطاع المطر والقحط والجوع، وهم يتأملون البرق وينتظرون المطر تأخذهم الكآبة خوفاً من الجذب، وتملأهم البهجة إذا غمر الأفق وسطح البرق، فيعبرون عن قلقهم وأملهم تعبيراً حياً ينقل مشاعرهم في صدق وإخلاص^(٨). وينظرون إلى الربيع نظرة ملأى بالطمأنينة والراحة ويتحدثون عنه حديث الرخاء فينعكس إحساسهم هذا لا على أنفسهم فحسب بل على الديار المهجورة والحيوان السارح في الصحراء^(٩).

وإذا كان الشعر الجاهلي قد اتصل اتصالاً وثيقاً بالطبيعة الجامدة فظهر المتخصصون في وصفها، أمثال لبيد والشماع والحطيئة والأعشى وامرؤ القيس، فقد أولى الجاهليون عنايتهم أيضاً لتصور الطبيعة الحية، فصوروا كل ما وقعت أعينهم من حيوان الصحراء وطيورها. وربطوا بين المستأنس والمستأسد من الحيوان والطير وأفاضوا في تصوراتهم فانتزعوا تشبيهات الرجال والنساء والأطفال من الطبيعة الجامدة والحية^(١٠). فصورة المرأة في الغزل الجاهلي مأخوذة في كثير من مناحيها من الطبيعة بنوعها، فعيونها في السعة وشدة السواد ونساعة البياض عيون بقرة وحشية، وهي في خطوها قطة، وفي مبشيتها غزال أو مهاة، وفي رشاقتها وانعطافها وتثنيها وليونتها غصن بسان، ساقاها في بياضهما واستدارتهما ونعومتها من البردى وثدياها

في الاستدارة والشكل من الرمان والأسنان من الأقحوان. وهي شمس وبدر ودر ولؤلؤ^(١).

كل هذا ينبئ بأن الشاعر القديم هو شاعر طبيعة من الطراز الأول، يتأمل فيها ويبثها آلامه، وينسى في تأملاته لها أحزانه، يعطف فيها على الحيوان ويتشرب نفسيته، ويقف معه على قدم المساواة حتى أضحي الحيوان في القصائد القديمة بطلا من أبطالها، نجد ذلك في مقارنة عمرو بن كلثوم لوجهه بوجه إحدى إناث الحيوان على ولدها الذي أضلته، وفي رؤية امرئ القيس للذئب ندأ له، كما نرى هذا الاهتمام الذي يبلغ حد الحكاية في قصة لبسيد عن الحيوان في معلقته. وهذا الانكباب من الشاعر القديم على وصف ظواهر الطبيعة دلالة على أن موجودات العالم الخارجي حاضرة دائما وبكامل ثقلها في وعيه وروحه لا خارج نفسه^(٢).

وقد رأى بعضهم أن قيمة الشعر الجاهلي المتصل بالطبيعة تكمن في أنه دلالة على استقامة النفس وسلامة الطبع والانفعال الصادق حيث لا يكمن خلفه تعصب أو تحيز كما هو مألوف في أشعارهم^(٣). ولعل في هذا الرأي شيئا كثيرا من الصواب فهم يستجلون الطبيعة وما فيها من جمال عام ليصوروا بالتالي أحاسيسهم وانفعالاتهم تجاه الجمال الخاص الذي تنفعل به نفوسهم. ومن ثم قد لا نبالغ إذا عددنا هذا اللون من الشعر أحد أخلص ألوان الشعر القديم جوهرأ وأصدق شعورا وتعبيرا وإيجاء.

(٢)

الشخصية الأدبية وتسخير الطبيعة لخدمة الفن ذهب بعض النقاد إلى أن البيئة العربية في الجاهلية لم تكن مختلفة الألوان اختلافا يثير من الشاعر ما يدفع إلى الابتكار المتصل بالنفس، فردد الشعراء المعاني المتشابهة من بكاء الأطلال ووصف الخيل والحديث عن المحبوب الذي ارتحل، فجاءت كل مظاهر هذا الشعر ومعانيه وصوره وأخيلته ومفرداته اللغوية وموصوفاته ونوازع الشاعر وأفكاره ومثله وخلقته وعاداته وعصبيته أصداء للبيئة وتصويراتها^(٤).

ومع اعترافنا بأثر البيئة الكبير على الشعراء في الجاهلية، إلا أن هذا التأثير لا ينفي معادلة الفرد الشخصية في تحديد طرازه الفني وأسلوبه الجمالي. فالفنان لا يقنع بما في الطبيعة من موضوعات جاهزة بل هو يتدخل بشخصيته ليفسر وليكمل وليبرز

وليخلق. بل إن ما يهمه من موضوعات الطبيعة أحيانا ما هيها من جوانب خفية مشحونة بالصبغة الوجدانية، وذلك البعد الذي لا ينكشف إلا للحساسية الوجدانية^(٥) ثم إن لكل شاعر مناخا خاصا به يتكيف وفقا لخصائص شخصيته وثقافته والفنان الكبير يعي جيدا ما يميز بين التأثر والخلق. حقا إن الطبيعة جميلة في ذاتها ولكن هذا الجمال يظل صامتا أبكم حتى ينطلقه الفنان فتدخل يده الصانعة تضيف وتحذف وتفسر وتخلق وتوحد. وكلما كانت شخصية الفنان متسربة في آثاره بحيث نسمع نبض قلبه ودبيب خواطره وهو اجس نفسه قدم وحدة حية نابضة وخلق عملا فنيا جديدا فيه من نفسه وفيه من مشاهداته^(٦) وإذا صحت الفكرة القائلة بأن أوضح أسباب وجود العمل الفني هو وجود صانعه وأن إيضاح العمل الفني من خلال شخصية مؤلفه وحياته هو من أقوى المناهج الأدبية^(٧)، أمكننا أن نؤكد اختلاف الشعراء القدماء في نظراتهم وصورهم للطبيعة على الرغم من تشابهها وتناظرها. حقا إن الطبيعة تلهم، ولكن هذا الإلهام يختلف من شاعر إلى آخر باختلاف المزاج والحالة والمركز والطبع وغيرها. ف رؤية شاعر أمير مترف من أمثال امرئ القيس للطبيعة تختلف ولا شك عن رؤية شاعر عبد من أمثال عنتره. ورؤية شاعر شاب مستهتر مثل طرفة تختلف عن مثيلتها عند شاعر وقور مترن من أمثال زهير. ولسنا هنا بصدد تناول جميع شعراء الجاهلية لنصل إلى هذا الحكم، وإنما نحن نعمد إلى بعضهم لنرى مدى التفاعل بين شخصياتهم وبين محيطهم، ولنرى كيف تحدد شخصية كل منهم مساره ونظراته للطبيعة وموجوداتها. ونحن في اختيارنا لهؤلاء لا نقصد الحصر بقدر ما نقصد المثال. وقد راعينا في هذا الاختيار اختلاف كل منهم عن الآخر في النشأة والمزاج والطبع والتوجه لعل ذلك يفيد في دعم وجهة نظرنا وتأكيدنا.

امرؤ القيس:

أمير الشعراء القدماء من دون منازع خسف لهم عين الشعر وشق لهم طرقا جديدة في ميدانه^(٨). وكان من أسباب تفقيمه وتفضيله قدرته على تناول ظواهر الطبيعة بطريقة مبتكرة لم يتعودها العرب. فهو أول من وصف النساء بالظباء والمها والبيض. وشبه الخيل بالعصا واللقوة والسباع والظباء والطير وأول من قيد

الأوابد^(١٣١)

وتتفق المصادر القديمة على أن أباه (حجراً) ملك على بني أسد فتحكم بهم كما يريد وفرض عليهم ما يريد^(١٣٢) وأن امرأ القيس ولده نشأ نشأة مرفهة منعمة. واتجه إلى الشعر ينهل منه يعبر به عن مجونه وخلاعته وشهواته واشتغل بالخمر والزنا عن الملك والرياسة فأغضب والده فطرده^(١٣٣). وقد رزقه الله من جمال الصورة والوسامة والحسن ما بعث في نفسه الخيلاء والغرور فذهب يتعهر في شعره، يقصد الغدران والرياض ومواضع الصيد مع صحبه يتصيدون ويشربون الخمر وتغنيهم القيان^(١٣٤).

ثم تخرج بنو أسد على أبيه فتقتله ويأتيه نعيه وهو "بدمون" فيقول جملته المشهورة "ضيعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحو اليوم ولا سكر غدا، اليوم خمر وغدا أمر"^(١٣٥). ويُعزى الحدث مجرى حياته ويأخذ بيده في مسالك الجهول ليصبح ملكاً ضليلاً يتنقل بين القبائل طالبا المساعدة والعون لئلا يرفض الصلح مع بني أسد على الرغم مما عرضوه عليه^(١٣٦).

ومتبع شعر امرئ القيس يجد فيه امتزاجاً واضحاً بين ذاته وبينته معا، نقرأ فيه اللهو والصيد ومعاشرة النساء، ونلاحظ فيه عناءه وتشرده وسعيه المطرد المزوج بالأمل واليأس. وهو يقف طويلاً عند الطبيعة وأشياءها، والخيل والنوق والجمال والبقر الوحشي، وإذا هو شاعر شخصي في أسلوبه وموضوعاته، يتحدث عن ذاته في صلاحها وفسادها، في مرحها وحزنها، في عتبها وجدها. في شعره شعور قوي باللذة وشعور قوي بالألم. فيه تعهر واستسلام وفيه نغمة من عزة الملوك لا يقيد سلوكه عرف أو تقاليد أو نصوص^(١٣٧). يفعل في غدير داره جليلاً ما لا يجزؤ عليه غيره من الشعراء^(١٣٨) فإذا هو لا مثيل له في القوة والشباب والإغراء والحيوية. ويصور شخصه الحزين بعد مصرع أبيه وتخلي الأقارب والرفاق عنه فإذا هو أضعف من العصافير والذباب والدود؛

أرانا موضعين لأمر غيب

ونسحر بالطعام والشرب

عصافير وذباب ودود

وأجراً من مجلحه . لة الذئاب^(١٣٩)

وأكثر ما يجذب القارئ في شعر امرئ القيس هو هذا التعامل الحي مع الطبيعة المتحركة والطبيعة الصامتة ومن خلال هذا التعامل تتم له عملية الإبداع الفني فالحيوان المستأنس نافذة أم جوادا والحيوان الوحشي نعجة أو ثوراً هو امتداد للشاعر في الحياة فوق ظهر الصحراء، فلا تراه إلا من خلالها، فهو حركته الدائمة، حركة نفسه وأعماقه ومشاعره. كما أن الطبيعة الصامتة في الأجام والأودية والبطاح والأشجار والسهول تبدو في شعره وكأنها توأم روحه، يسرح ببصره خلالها ويهيم في محاسنها ويتفياً ظلالها حتى تكاد تغدو جزءاً من ذاته^(١٤٠). وهو في تصويره للطبيعة لا ينقل ذلك نقلاً آلياً ساذجاً، بل هو يخلق ويخلق ويقدم صنوراً مبتكرة تعجب القدماء ويقلدها الشعراء. يصف خلجات نفسه إزاء روعة الطبيعة، ويسقط من شخصيته الترفة النعمة على الأشياء، فإذا كل شيء يبدو بهجاً فرحاً راقصاً، فالعصافير دلفت من أوكارها تتغنى الطبيعة وتهتف بجمالها سكرى من حلاوة ما تحس في صبح منبتل خصيب؛

كان مكاكي الجواء غدية

صبحن سلافاً من رحيق مفلل^(١٤١)

والحمار يغرد في الأسجار كشارب يغني ويضطرب الشرب المتنادمين ويهز أعطافه كرا ونشاطاً؛
يغرد بالأسجار في كل سدفة

تغرد منياح التدامسي المطرب^(١٤٢)

والأبقار الموشاة أجفلت عندما شعرت بالخطر يداهما، فإذا هي عذارى لبسن لباساً مزيلاً وأخذن بالطواف حول صنم دوار؛

فمن لنا سرب كأن نجاحه

عذارى دوار في الملاء المذبل

فأذبرن كالجزع المفضل بينه

يجيد معم في العشرة مخول^(١١)

وتترك شخصية امرئ القيس المرفهة أثرها على صورة المرأة، فهو يرسم للمرأة مشاهد عامرة بالجمال والفتنة والنعمة والروائح ولو كان ذلك في لحظات الرحيل الحزينة ويستعين في ذلك بالطبيعة فتتمده بألوانها وروائحها:

فشبههم في الآل لما تككشوا

حـ مدائق دؤم أوسـ غينا مقبرا

أو المكرعات من نخيل ابن يامن

دوين الصفا اللاتي يلين المشـ را

سوامق جبار أثبت فروعه

وعالين قنوانا من البشـ را أحمر

الى أن يقول

غرائر في كين وصون ونعمة

يحلين ياقوتا وشذرا مقفرا

وربح سنا في حقة حميرية

نخص بمفروك من المسك أذفرا

وبانا وألوا من الهند ذاكبا

ورثدا ولبنى والكباء المقترا^(١٢)

وتنعكس شخصية امرئ القيس المنعمة على أسلوبه في مخاطبة المرأة فنجد الكلمات الرقيقة الناعمة المشرقة والصور المبهجة تنساب في شعره، ويستعين بما في الطبيعة من جمال ليمزج جمال الوجود بالجمال

الأنثوي. وإذا الصور تقو ح منها مختلف الروائح والطعوم:

وتغر أغر شبت البات

لذيذ المذاقة عذب القبل

كان المدام بأنياها

وصوب الغمام بماء غائل

وطعم السفرجل والزنجب

لم عل به وبصافي العسل^(١٣)

وهو يتخير من صور الطبيعة المتحركة والجامدة ما يلائم شخصيته العابثة التي تمثل الشباب المترف ليسكب في صور الطبيعة صورة المرأة التي يتوق إليها: تصد وتبدى عن أسيل وتتقي

بناظرة من وحش وجرة منطل

وجيد كجيد الرثم ليس بفاحش

إذا هي نصه ولا بمعطل

وفرع يغشي المن أسود فاحم

أثبت كفتو النخلة المتعكل

وكشح لطيف كالجديل مخصر

وساق كانبوب السقي المذل

وتعطر برخص غير شتن كانه

أساربع ظلي أو مساويك أسحل^(١٤)

وإذا كانت المرأة تمثل هدفا رئيسا من أهداف المتعة في شعر امرئ القيس فركوب الخيل والصيد يمثلان هدفا رئيسا آخر، بل طالما قرنهما مع المرأة:

وقد أذغر الوحش الرئاع بقفرة

وقد أجتلي بفض الخدود الروائما

نواعم تجلو عن مؤن نقيه

غيرا ورطبا جاسدا وشقائقا^(١٠١)

ويقول:

كأنني لم أركب جوادا للذقة

ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال^(١٠٢)

وهو مولع بحصانه ولعا شديدا، ويكمن خلف ولعه شخصيته الفارسة الأميرة التي مضت تصور الحصان بصور أسطورية في الصيد والحرب والأسفار. ويلجأ الى الطبيعة في صورده. وإذا هو له شخصيته في كل موضع، ففي الصيد يدهم الطيور عسقا في أوكارها قبل خروجها، في ليال حوالك كثيرة الأمطار ينجرده ويعدو مسرعا فيقيد الوحوش ويحجرها.

وحصانه كأعلى الشجر إشراقا وعظم خلقة. خاصرتاه خاصرتا ظلي، وشعره قنونا نخلة مثمرة، وجريه له ريح شجر قوى^(١٠٣)

وفرسه في الحرب جرادة في خفتها وسرعتها، ناصيتها من سعف النخل، وشعر رسفها كخوافي العقاب المنقضة، وساقها ساعدا نمر، وعذرها ذوائب نساء مكفهرات في يوم بارد، وعنقها شجر لبان ملتهب، ومنخرها جحر سبع^(١٠٤).

أما في الاسفار ففرسه مرتفع ضامر يقسطع كهفا مقفرا مضلا كجوف حمار الوحش، يدافع المطايا كلما اقتربت منه وينساب بين الأيل غصنا ناعما يتثنى^(١٠٥).

ونظرة عجلي على هذه الصور جميعا تظهر شخص امرئ القيس يتخللها ويمتزج بها، وكأنه سكب شخصيته في حصانه فجاءت صورته تمثله طورا شامخا وأميرا فارسا ورجلا لا يلوى على شيء. ثم انه أفاد فائدة جمة من صور الطبيعة الحية والجامدة فطبعها بشخصه فجاءت بصماته واضحة جليلة في نقل مشاعره وما فيها من زهو وشموخ.

فاذا ما صور الشاعر ناقته أقام بينه وبينها علاقة مميزة حميمة ومشجية وآسية، فهي تعزیه عن فراق أحبابه وتشاركه رحلات العذاب، وهي رضية وطليعة

تستجيب وتسرع. ويصور امرؤ القيس هذه العلاقة المميزة مستعينا بالطبيعة ويسكب فيها من نفسه فتخدمه خدمة جلي، فناقته في سرعتها تمد عنقها كالغدق، وهي في سيرها هينة لينة كسحاب متفرق، وهي ظليم من النعام فزع نافر يطوف بعرض البلاد ويتعرض للأرياح. وكأنني بالشاعر هنا ينقل صورة من ضياعه وتشتته وسعيه المستمر في إثبات وجوده بعد مصرع أبيه:

كأنني ورجلي والثراب وتترقي

على يرقبي ذي زوائد ته . نقي

تروح من أرض لأرض نطية

لذكره قبض ح . . دل بفض معلق

يجول بأفاق البلاد مغربا

وسدحه ريح الصب . ما كل مسح^(١٠٦)

ولعل هذا الضياع هو ما نشاهد أيضا عند تصويره الثور الوحشي، فقد بدا الثور في شعره ضامرا جائعا نشطا متوجسا مذعورا وهو يكافح مظاهر الطبيعة:

تسنى قلبلا ثم أنحى ظلوفه

يثر التراب عن مبه . بيت ومكبس

بهيل ويذري رربها وبيره

إثارة به . . ات الهواجر مخس

فبات على خدي أحم ومنكب

وضجعه مثل الاس . ير المكروس

بات الى أرطاة حقف كأنها

إذا ألقه . . ما غيبة بيت مغرس^(١٠٧)

وإذا كان امرؤ القيس معجبا بالطبيعة الحية يرى فيها نفسه، فهو مولع بالطبيعة غير الحية تنساب فيها شخصيته فتبعث فيها الحياة، فتبدو في أبهى مناظرها، فجمال الطبيعة لديه يبدو في كل مظهر من مظاهرها، في رعداها وبرقها ومطرها ونباتها. وهو لا يكتفي بالوصف كما يفعل غيره، بل يدعو أصحابه أن يقبلوا إليه وأن يقعدوا معه وأن يمعنوا النظر في جمال الوجود، أن يتأملوا ضياء البرق وجماله وما ينبعث عنه من وميض، فالبرق ليس مجرد نور يلعب في السماء، إنه يبدو في تألقه وكأنه انسان يشير بيديه.

وفيه من الإيحاء ما توحى به مصابيح راهب يمدّها زيت كثير:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه

كلمع اليدين في حبي مكلل

يضيء سناه أو مصابيح راهب

أمال السليط بالذبال المقل

قعدت وأصحابي له بن ضارج

و بن العذيب بعد ما سائل^{١٥٧}

ثم هو ينتقل من هذه الصورة التي تمثل شخصية هائلة مترنة تتأمل وكأنها تتعبد، ليبعث شخصيته القوية الجبارة التي تتسامى الى الملك في السحاب الذي يتلو البرق يسحاً سخاً ليقتل بسيلوله أشجار العضاة العظيمة عاصفاً بنخل تيماء وبيوتها، ماداً انسكابه نحو اليمين ونحو الشمال على قطن والستار ويذيل منزلاً أنثقاله بصحراء الغبيط ليطوف بذرى جبل "المجمر" يدور حولها بما احتمله من غناء كما تدور فلكة المغزل وبدا "ثبير" في جثومه على ظهر الصحراء والسيل يأخذه من نواحيه شيخاً ملتفاً في كسائه المخطط:

فأضحى يسح الماء حول كيفة

يكب على الأداة بان دوح الكهبل

وتيماء لم يترك بها جذع تحلة

ولا أطماً إلا مشيداً بجندل

على قطن بالشيم أمن صوبه

وأيسره على الستار فيذبل

فألقى بصحراء الغبيط بعاغه

نزول اليماني ذي العباب المحمل

كأن ذرى رأس المجير خوله

من السبل والغماء فلكة مغزل

كان ثبيراً في عرائن وبله

ك... ير أناس في بجاد مزمّل^{١٥٨}

ثم يعطف امرؤ القيس ليكمل جوانب الصورة، وهو في الحقيقة يكمل جوانب شخصيته في الصورة، هذه الشخصية المرفهة التي تعشق الجمال ويستهوها المنظر. وإذا شخصيته تراءى لنا في هذا المنظر الجميل الذي خلقه السيل المدمر. فقد تناثرت النباتات والأزهار وبلدت في ألوانها ثياباً زاهية الألوان يعرضها تاجر يمانى. وخرجت الطيور لاسـ تجلاء صفاء الطبيعة تتصايح في الفضاء تتمايل في طيرانها، تهوى وتعود للطيران في نشوة ما بعدها نشوة وقد سكرت من خمرة الطبيعة فأخذت تشنف الأذان بأغاريدها الحلوة. وحتى السباع بدت عند الغروب في منظر رائع، غرقى أو كالغرقى، وظهرت رؤسها للناظر وقد انتفش شعرها كرؤوس النباتات البري:

كان مكاي الجواء غدية

صبحن سلافاً من رحيق مفلل

كان سباعا فيه غرقى عشية

بأرجائه القصرى أنا؛ يش عنصل^(١١)

والمقتبع لشعر امرئ القيس في وصف البرق وانهمار المطر وتدفق السيول، وما تحدثه من دمار يكاد يلمح شخصية امرئ القيس موزعة بين اتجاهين:، اتجاه يعبر فيه عن إحساسه المرحف بجمال الوجود ورغبة ملححة في نقل هذا الإحساس والآخر يمثل ظاهرة العنف والإحساس بعمق الكارثة التي كان يعانيها لفقد والده وسعيه المطرد للنار وتأكيد السيادة. هل استدعاء الأمطار والسيول والتبشير بالطوفان تبطن خلفها أملا عارما بالخلاص ورغبة في الوصول الى نهاية مرضية في نظره ونظر القبيلة؟^(١٢) ربما وإذا صحت هذه النظرة يكون امرؤ القيس قد نجح الى حد كبير في تسخير الطبيعة لخدمة أحاسيسه وتطلعاته.

والمعن في شعر امرئ القيس يلمح روحه تسري في لغته وأسلوبه وموضوعاته مما يجعل منه شاعرا شخصيا. فلغته فيها صلابة البدوي وخشونة ورقة المتحضر ونعومته. فيها إيجاز الجاهلين وبلاغتهم ورقة الحضر وسلامتهم، هو بدوي وملك، فطري ومترف، ومن ثم قصوره من الطبيعة أخذت طابعه الشخصي بازدا واجيته؟ يغرق في التشبيهات الخشنة الى حد الاستهجان ويرق رقعة تمتزج فيها التشبيهات بسال الحجارة الكريمة والطيوب المتنوعة والحرير والدمقس. وهو في هذا وذاك يراوح في موسيقاه فتاتي صورته من نفسه الملكة في كبريائها وعنفوانها، وتأتي من نفسه المحبة العاشقة لكل ما في مظاهر الكون من جمال. وهو في هذا جميعا يفرض شخصيته فيأتي متميزا متفردا يعجب النقاد.

زهير بن أبي سلمى:

وشخصية زهير من نوع مغاير لشخصية امرئ القيس. هي شخصية رجل وادع يتأله ويتعفف في شعره^(١٣) فيه من الوقار والأناة والروية شيء كثير. ابتعد عن الطيش واللهو ومال الى الجد والاتزان والمسالة. مقت التهدي وكره الظلم، وكان متواضعا كريم الخلق، حليما فيه سماحة في الطبع قل أن نجد لها مثيلا، وكان حكيما وقاضيا مصلحا وخطيبا اجتماعيا ومرشدا يبحث عن صالح القبيلة وتقويمها. وسواء أخذ زهير هذه الصفات والمثل عن خاله

بشامة بن الغدير. وكان أحكم الناس رأيا.^(١٤) أم من زوج أمه أوس بن حجر. وكان زهير راوية له. فالذي لا شك فيه أن هذه الصفات والخلال تاصلت به وأصبحت جزءا لا يتجزأ من نفسيته وشخصيته يعرف بها ويشار إليه عند الحديث عنها. وكان لهذه الخلال أثرها الكبير في شعره عامة وفي شعر الطبيعة لديه خاصة. فاجتمع لديه جمال الخلق وجمال الفن وجمال الغاية. وجاء شعره ممتزجا بطبيعة نفسه ليصور هذا جميعا، ولينتقل بشعره من النطاق الشخصي الضيق الى النطاق الانساني العام^(١٥). فهو في حكمه يصور الشخصية الجادة الوقورة البعيدة عن الطيش والعبث. ومن ثم ارتدت حكمه طابعا اجتماعيا وخلقيا. فهي تتناول التبعات الفردية والاجتماعية والتكافل الذي ينبغي أن يقوم بين أفراد المجتمع. وقد اكتسبت طابعا إنسانيا لكونها لا تدعو الى الشر ولا تحرض على العدوان^(١٦).

وفي فخره بذاته صادق الى أبعد الحدود، لا يتحدث إلا عن مزاياه الحقيقية فلا يحرص على المفاخرة بالمآثر الجاهلية عادة الشعراء الجاهليين ولا يظهر من التيه ما أظهره غيره. أما الشخصية القبلية فهي ضامرة لديه. فهو لا يفخر بمزينة ولا ينطق بلسانها. وليس له سوى شعر يسير في الفخر بقبيلة غطفان أخواله. أما مدحه فهو يتخذ منه وسيلة لتفضيل الأخلاق العربية وتصوير آمال المجتمع العربي في الفضائل الذاتية^(١٧). ومع أنه كان أشد الشعراء مبالغة في المدح إلا أنه كان حصيفا بعيدا عن السخف يجمع الكثير من المعاني في قليل من المنطق^(١٨) فليس هناك أتم من مروءة شعره ولا أقصد ولا أقل تزيذا منه لأنه وصف الملوك والسوقة والفرسان والسادة بالذي يكون فيهم^(١٩) ولعل هذه الأمور هي التي عملت على تقليصه عند القدماء^(٢٠).

وشعره في الغزل لا يرقى الى مستوى غيره بسبب ما حبس عليه من التزام الجد والتوقر. وحسنى عندما يتحدث عن الطعانن يكتفي بوصف الأنماط والكلل وفتات العهن^(٢١).

ويبدو أن طبيعته التي تؤثر الجد وتكره البطالة وأنهو حالت بينه وبين أن يكون شاعر خمرة. فشعره يكاد يكون خاليا من وصف الخمر ومجالسها. كما أن شخصيته المسالة المترنة باعدت بينه وبين الهجاء فسكت عن الرد على من هجاه^(٢٢). وجعلته هذه الطبيعة

وفي قصيدته:

هاج الفؤاد معارف الرسم

قفر: مذي الهضبات كالوشم^(٣٣)

وعندما يتحدث عن الرحيل تأبى شخصيته العاشقة للسلام إلا أن يصور رحلة الطعان أمنة مطمئنة تجتاز مواطن العداوة وتجاوز الأودية حتى تصل المياه الصافية الجميلة، تتخذ منها موطناً ومستقراً، فتنتهي إلى نهاية طافحة بالبشر والسرور:

بَصْرُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ طَلْعَانِ

تَحْمَلُنَ بِالْعِلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثَمِ؟

عَلَوْنَ بِأَمْطِ عِثَاقٍ وَكَلَةٍ

وَرَادِ حَوَاشِيهَا مُشَاكِهَةَ الدَّمِ

وفيهن ملهى، للصديق ومنظر

أنيق، لعين الناظر الموسم

جَعَلُنَ الْقَتَانُ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَهُ

وكم بالقنان من محل ومحرم!

فَلَمَّا وَرَدُنَ الْمَاءَ زُرْقاً حِمَامُهُ

وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَحِمِ^(٣٤)

ومع أنه يبدو حزيناً في تصويره للرحيل وتتبع الأحبة الطاعنين، إلا أننا نلمس أن قلبه يمتلئ حناناً وشوقاً، ويحرص أن يصور لنا هذا الفضاء الواسع الذي يقطعه الأحبة وقد امتلأ خصبا وحياة، فظهرت البهجة على النبات والحيوان. فالنبات ملأ الربى والوهود والسفوح، فزئزئ وجعل كل شيء، فالحيوان ملأته الفرحة فأسرع يستمتع بهذه الرياض

لا يعنى بوصف السلاح، كما عني شعراء زمانه، فجاءت أغراضه الشعرية على اختلافها تمتاز بالرصانة والهدوء والتعاقل. وقد كانت نزعة زهير السلمية هي الملازمة لشخصه، فانعكست على فنه، وظهرت آثار هذه النزعة واضحة في اختياره لموضوعاته، وفي تناوله لعناصر الطبيعة ومزجها برغبته السليمة. وتتجلى طبيعته المسالة في وقفة معلقته على مدح هرم بن سنان والحاتر بن عوف الذين تكفلا بدييات قتلى عبس وذبيان^(٣٥)، وفي تصويره الرائع لبشاعة الحرب وويلاتها^(٣٦)، كما تبدو هذه الطبيعة المسالة في كونه لم ينظم شعراً في قتلى بني ذبيان يحث القبيلة للأخذ بثأرهم شأن غيره من الشعراء خشية أن يورث الأحقاد بئدبه بل اتجه داعياً إلى الصلح والتعقل^(٣٧) وهذا الالتقاء بين سماته الفنية والشخصية حبيب القدماء به فقد موه وجعلوا الشعراء عيالاً عليه^(٣٨).

فاذا ما تأملنا شعر زهير في الطبيعة وجدناه صورة صادقة لشخصيته في هدونها وحبها، في وقارها واتزانها في حرصها على الحياة وفي كرهها للحقد والبغضاء والجري خلف صراعات لا نهاية لها.

وعشق زهير للطبيعة يبدو في وصفه لمشاهدها، وفي تصويره لمناظر الصحراء وما تحفل به من ضروب الحياة. وقد أخذت الصحراء من شعره نصيباً عظيماً. نظر إلى آثار الديار في هذه الصحراء المترامية، فلم يصورها هامدة ميتة بل أشاع فيها الحياة والحركة والاضطراب، فاذا هي مرتع لأنواع الحيوان من بقعر وحشي وظباء.

بها العين والآرام يمشين خلفه

وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم^(٣٩)

وكان زهيراً في إحلاله الحيوان في الديار بدلاً من الإنسان إنما يرفض فكرة الرحيل والقناء والموت والحزن ويبعث عن الحياة والبهجة والاستقرار والسرور.

وهذه النظرة المسالة الوادعة المحبة للحياة لا توجد في معلقة زهير فحسب، بل نجدها أيضاً في قصيدته:

كأن أوابد الثيران فيها

هجائن في مغابها الطلاء^(٤٠)

والجنان^(٣).

ووصف الحيوان ياخذ جانباً هاماً من شعر زهير،
فصورة الوحش وأطلالها وما تنعم به من حركة
واضطراب وبهجة تطالعنا باستمرار في شعره، وهو
حريص أن يصور الحيوان في أمنه واستقراره وأن
يصوره في خوفه وحذره، وهو مشفق عليه دائماً، محب
له، يتخذ شتى الوسائل لتصوير إشفاقه عليه من
الطبيعة القاسية والصيادين العتاة.

يُصور الثور وهو يعالج الليل والرياح والمطر فينقل
الينا صورة إنسانية مؤثرة:

فأدر كنه سماءٍ بينها خللٌ

تروى الثرى، وتسبل الصفصف القرقا

فبات معتمداً، من قرها لثماً

رُشَّ السحاب، عليه، الماء فاطرة ما

يمر بأظلافه، حتى إذا بلغت

يُس الكتيب، تداعى الترب، فأنحرفا

مولى الريح روقيه، وجهه

حتى دنا مرزوم الجوزاء، أو خفقا

لبله كلها، حتى إذا حشرت

عنه التجرم أضاء الصبح، فانظرة^(٤)

فإذا ما صور حمار الوحش وقت السحر وقد أمن عين
الصياد والناس بين الغدران الصافية البعيدة، اسمعنا
غناءه العذب، ونقل لنا اهتمام هذا الحمار بالأقان
وحرصه على حمايتها وكأنه يرمز بذلك إلى الخصب
والحياة:

يفرد بين خرم مفضيات

صواف، لم تكذرها الدلاء

يفضله، إذا اجتهدا عليه،

تمام السن، منه، والذكاء

كان سحبه في كل فجر

على أحس. ماء يؤود، دعاء

فليس بغافل، عنها، مضج

رعيه، إذا غفل الرعاء^(٥)

وتلمي عليه شخصيته المسألة أن يشفق على الحيوان
الضعيف في صراعه الدائم من أجل البقاء أمام
الحيوانات المفترسة، فيصور ضعف الحيوان وحرصه
على الحياة ويصور البطش والقوة والرغبة في السيطرة
والتملك، وكأنه بذلك إنما ينقل صوراً أليمة لعاناة
الضعفاء في هذه الحياة التي لا ترحم، وإحساسه بثقل
التبعات الفردية والاجتماعية. ولننظر في هذه الصورة
التي يقدمها للمهاة وقد أغراها طيب المرعى فانطلقت
تستمتع غافلة عن ولدها لتصرعه ضواري الوحش
فتأكل منه ما تأكل، وتحجل الطير حول ما تبقى:

طباها ضحاة، أو خلاء، فخالفت

إليه السباع، في كناس ومرقد

أضاعت، فلم تنفر لها خلواتها

فلاقت بيانا، عند آخر معهد

دماً، عند شلو، تخجل الطير حوله

ويضع لحام، في إهاب مقدد^(٦)

وإذا كان زهير يشفق على الحيوان من الحيوان فهو
يرثي له من الإنسان، ذلك الصياد القانص، الذي ركب
جواده المدرب وحمل سلاحه المشحون فرحاً بالربيع
والحياة، حيث يوفران له صيداً دسماً ومتعة ما بعدها
متعة:

وغيث من الوسمي، حور تلاءه

أجابت روابيه النجا، وهو اطله

هبطت بمسود النواشر، ساج

ممر، أسيل الحذ، تهد مراكلة

تميم، فلونا، فأكمل صنعه

قم، وعزته يداه، وكاهله

أمين شطاه، لم يحرق صفاقه

سنتيه، ولم تقطع أباحله^(٨٧)

وشعر الطرديات قليل لدى زهير - في حين هو ضرب من الرياضة والمتعة والفتوة عند الجاهليين - ويبدو أن شخصيته المسالمة هي التي كانت تملي عليه اتجاهاته في اختيار موضوعات شعره، فنراه يبتعد باستمرار عن كل ما يثير العداوة والحزن في النفس وقد انعكس هذا الاتجاه على شعره القليل في الصيد. ومع قلة شعره في الطرديات إلا أنه حريص أن يقدم قصص الصيد في صور جميلة رائعة، فيها سذاجة وقدرة على استغلال الحس، وفيها دقة في السرد ونقل للصور بطريقة تثير الإعجاب^(٨٨). وهو يشترك مع صاحبه ورفاقه في رحلة الصيد ولكن نفسيته الوادعة تأبى مخادعة القنيفة ومخاتلها كما يفعل غيره، فلا يتولى صيد حمر الوحش بنفسه وإنما يتولاه غلامه، ولعل في طبيعته التي تكره سفك الدم تعليلاً لذلك:

إذا ما غدونا ببغي الصيد مرة

متى نره فإننا لا نخاتله

فبينما تبغي الصيد جاء غلامنا

يدب، ويخفي شخصه وبضائله

فقال: شياة راتعات بقرة،

بمسأسد القرآن حومه بالله

فقال أميري: ما ترى رأي ما نرى

أهتله عن نفسه، أم نساوله؟

فيسنا عراة، عند رأس جوادنا

يزاولنا، عن نفسه، وزاوله^(٨٩)

فاذا ما صور حمار الوحش وقد تربص به الصياد لم يخف سخريته من خيبة الصياد ولم يخف فرحه بنجاة الحمار:

فرمى فأخطاه، وجال كانه

ألم، عاى برز الأم . ما عز بلحب^(٩٠)

وعندما يصور الصراع المرير بين الثور الوحشي وكلاب القانص يحرص أن ينتهي المشهد بمصرع الكلاب ونجاة الثور:

فابتزهن حتوفهن، ففانظ

عطب، وكاب للجبين، مترب^(٩١)

ومن الملاحظ أن زهير يطيّل في وصف حمار الوحش وتنقله طلباً للماء والكلأ ويوجز في وصف المطاردة والصراع. ويبدو أن رغبته في الحياة وكرهه للمشاهد الدامية هو ما دفعه إلى هذا المسلك^(٩٢)

وإذا كان زهير يتعاطف مع الحيوان، فأخذت تعلو وتهبط في حركة عجيبة حتى أفلتت من مطاردها فهوى ليرتطم رأسه بالصخر ينزف دما:

كانها من قطا الأجباب، خلأها

وردة، وأفرده عنها أخم، ما الشرك

أهرى لها أسفع الحدين مطرق

ريش القوادم، لم ينصب له الشبك

فزل عنها وأوفى رأس مرقية

كمنصب العر، دس رأسه النسك^(١٧)

ومن يتتبع شعر زهير عامة، وشعره في الطبيعة خاصة يجد أن فنه وشخصيته يلتقيان إلى حد بعيد فإذا كان عند القدماء من عبید الشعر^(١٨) فما ذلك إلا لأن شخصيته كانت تفرض عليه الروية والتعقل والرزانة في كل شيء، فاعتنى بشعره كل العناية. وأطال النظر فيه، فحذف الفضول من القول وتجنب المهمل من الفكر فجاء شعره مرتب الأفكار منسجم الصور منسق الكلام.

ولما كان منطلقيا في حياته مرتباً رصينا، جاء كلامه متسلسلاً في كل ما يعرض^(١٩) وإذا كانت صورته مادية، قريبة من الحس، بعيدة عن الخيال، واضحة في دقائقها وجزئياتها، فما ذلك إلا لأنه واضح في شخصيته ومسلكه في الحياة. يجعل عقله رقيقاً على نفسه وطبعه فتأتي معانيه فطرية بعيدة عن الفلسفة والاستقصاء، يهيم وضوح الغرض وبيانه. ومع أن لغته كانت قريبة من لغة الخطابة أحياناً إلا أنها شديدة الأسر بروحها واتجاهها وفنّها. ولعل عنايته الفائقة بتوفير الموسيقى اللفظية قد خدم أغراضه إلى حد بعيد، فوفرت هذه العناصر جميعاً لشعره ما جعله محبوباً يعجب النقاد فيحكمون له بالتفوق والامتياز^(٢٠).

طرفة بن العبد:

على النقيض من شخصية زهير الجادة الوقورة المترنة تطالعنا شخصية طرفة بن العبد اللاهية العابثة التي لا تنظر إلى الحياة إلا من جانبها الممتع. فالحياة خمرة ونساء وحرب. وهو يخشى كل الخشية أن يدركه الموت قبل أن يشبع نهمه من هذه جميعاً:

فلولا ثلاثٌ هُنَّ من حاجة القى

وجدك لم أحفل متى قام عودي

فمنهنّ سبقي العاذلاتِ شرّة

كسيت متى ما تعلّ بالماء تزد

وكري، إذا نادى المضاف مُحَبِّباً

كسبد الغضا، بتهمة المورّد^(٢١)

مات أبوه صغيراً فظلمه أهله وجاروا على أمه^(٢٢) ثم تحاموه وطرده بسبب تطرفه في العبث واللغو والاسراف:

وما زال شرابي الخمر ولذتي

وبعبي وإتفاقي طرفي ومثلي

إلى أن نحامتني العشيرة كلها

وأفردت أفراد البعير المعبد

وهو مقتنع بمذهبه في الحياة أشد الاقتناع، فالدنيا في نظره هي أول المطاف ونهايته، والموت هو آخر الحياة وغايتها، فلم لا يلائم الإنسان بين سيرته وبين هذه الحياة الفانية فيرضي نفسه ويرضي قومه، فيقدم لكل ما ينبغي؟

ألا أهبذا الزاجري أحضر الوغى

وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي؟

فإن كنت لا تستطيع دفع مني

فدعني أبادرها بما ملكت يدي

وهو إذا كان يشبع نفسه باللذة إلى حد الإسراف لا ينسى واجبه الاجتماعي وواجب قومه عليه بل هو يشغله دائماً:

إذا القوم قالوا، من فتى؟ خلت أنني

عنيت، فلم اكسل ولم أتبدل

بل هو حزين جداً لعدم فهم قومه له ونبذهم إياه وينساب شعوره الصادق الحزين هذا حتى في غزله^(٢٣) ويعتز بشرف الانتماء لهم ويشدو بحبهم. وقد رأى الدكتور طه حسين أن طرفة يصدر عن فلسفة وعن اختبار للحياة. مستفيداً من حوادثها وخطوبها ونتائجها، وأن فلسفته خالدة موجودة في كثير من

بيئات البادية التي لم ينفذ اليها الدين، ويرى أن أهله وقفوا عاجزين عن فهمه فأنكروه ففهمه الفقراء المحتاجون إلى عونه والأشراف المكبرون لسؤده^(١). ومع اعتزاز طرفه بقومه وارتباطه الوثيق بهم، فهو لا يذيب شخصيته أبدا بل هو فخور بهذه الشخصية الجريئة الشجاعة التي لا تعرف إلا الإقصاد وركوب المخاطر^(٢). وقد ساهمت الظروف التي أحاطت بطرفة في إبعاده عن المجاملة والنفاق ودفعته إلى الصراحة والجرأة والجهر بما يعتقد. فجاء شعره صورة صادقة لنأμάτων نفسه وخلجات قلبه ورسومات مشاعره^(٣) ويبدو أن غربته وارتحاله ساهما أيضا في هذا العمق الحزين الذي نحسه في شعره حيثما نقرأ، وفي منحه هذا الخيال المجنح الخصيب. فكانت حياته ذات تأثير قوي في توجيه شعره، فاجتمع له في فنه صدق الشعور وفطرة النفس وبساطة التعبير. وهذه جميعا استجابات للشخصية الصريحة الجريئة المتوثبة. وجاء شعره صورة لحياته الهائجة المضطربة ليمثل الشباب في نشاطه وحيويته وثورته ومثله.

وتتبدى فلسفة طرفة في شعر الطبيعة واضحة جليلة، فهو يستغل عناصرها عندما يقف أمام الديار وقد لعب بها البلى والفناء فتأبى نفسه المحبة للحياة إلا أن تكشف عن شعوره بجمال الطبيعة وما تبعته في النفوس من بهجة وسعادة:

أشجاك الربيع أم قديمه

أم رم.. ماد، دار من حُمته؟

كسطور الرق رقته

بالضحى، مرة ش يش حة

لعبت بعدى، السبول به

وجرى، في روق رم حة

فالكيب معشب، أنف

فتناهي.. به، فمر نكمه

جعلته حَم كلكلها

لرب.. بيع ديمة بيمه

حاسي رسم وقت به

لو أطبع النع من أم أمه

لا أرى إلا النعام به

كالإماء أش.. رقت حزمه

والفرار بطنة غرق

رنت جله.. ما به أكنه^(٤)

وعلى الرغم من رحيل الأحبة فالدار في شعر طرفة تظل عامرة بالحياة،

فلا زال غيث من ربيع وصيف

على دارها حيث استقرت له رجل

مرة الجنوب ثم هبت له الصبا

إذا مس منها مسكنا عذملا نزل^(٥)

وفي غزله يبدو طرفه شابا مفتونا بالحياة. وصوره في هذا المجال مترفة بالرفاهية وغمارة العيش، تتألق فيها الأضواء والألوان، ويستعين فيها بالطبيعة ويجعل غزله شركة بين جمال الأنثى وجمال الطبيعة:

وفي الحى أحوى ينفذ المرد شادن

مظاهر سميحي لؤلؤ و زبرجد

خذول تراعي ربنا بجميلة

كُنُباتِ المخر يئادن كما

تناول أطراف البرير وترتدي

أنت الصيف عند البج الخضِر

وتبسم عن ألمى كأن منورا

فجعوني يوم زُموا غيرهم

تُخلل حر الرمل دغص له تدي

رخيم الصوت ملثوم عطر

ووجه كأن الشمس حلت رداءها

ومن الطريف أن طرفة يلجا إلى صور الطبيعة يستعين
بها في فن الهجاء؛

عليه، بقي اللون لم يتحدد^(١٠٠)

فأنت على الأدنى شمال عرنة

وانغرق طرفة في تسخير الطبيعة لخدمة غزله. ولا
غرابية في ذلك فالغزل أكثر ما يلائم طبيعته الفتية
اللاهية وفي صور الطبيعة ما يلائم تصور الشباب
المتطلع إلى اللذة يختار منها ما يشاء ليمزجه بالجمال
الأنثوي صانعا منها صوراً تروق وتعجب. فالمرأة مهابة
لطيفة رفيقة هضيمة الكشح مرفهة:

ش. مامية تزوي الوجوه بليل

وأنت على الأقصى صبا غير قرّة

ولها كشحا معاة مطلق

نذائب منها مزرع ومسه . بيل

فأصبحت فتعا نابا بقرارة

تقرى بالرمل أفنان الزهر^(١٠١)

نصوح عنه والذليل ذليل^(١٠٢)

وريقها رضاب مسك ممزوج بالماء البارد الصافي
تداعبه الرياح فتزيده برودة:

وإذا تضحك تبدي حبا

وكانه بذلك يعبر عن وجهي الطبيعة معا، الجميل
المشرق والمتجهم العابس. فينقل طرفي شخصيته
العابثة العاشقة والفتية الثائرة. ويبدا ان هذه
الشخصية الفتية انعكست على فنه وبدت واضحة في
أسلوبه، فهو يمعن في البداوة والجفوة ويطوف بنا في آفاق
غريبة من الصحراء يحتطب الفاظه من حطب
الصحراء الجزل ويركب من الغريب مستخدما الفاظا
قوية وأساليب خشنة^(١٠٣) وكأنه يريد أن يبعث في عناصر
الطبيعة التي يراها مزيداً من القوة في مواجهة الموت
والفناء مثبتاً إرادة الحياة التي تعيش وتنفعل بها
أحاسيسه. ولعل هذا هو ما جعله يخلع على ناقته كل
صفات القوة والمتانة والجمال. ويبدو أن هذا المسلك في
الفن والأسلوب هو ما حبيب العلماء به. على الرغم من
حدائث سنه. فقد مواءمته على سائر العلاقات، وقد
وجدوا أنه وفر لها كل ما يلزم للشعر القوي المحكم
الجميل^(١٠٤).

عنتره بن شداد:

كرضاب المسك بالماء الخضِر

صادقته حرجف في ثلعة

فَسَجَا وَسَطَ بِلَاطٍ مُسَبِّطٍ^(١٠٥)

وعلى الرغم من أن الرحيل يبعث الأسى والحزن إلا أن
طرفة في حديثه عن رحيل المحبوبة يتحدث عن
النعومة والفتنة والرقّة والثني والعطر. ويأخذ
صوره تلك من السحاب ومن نبات الصيف الأخضر
اللدن الغض:

شخصية أخرى جد مخالفة، فهي ليست شخصية امرئ القيس المترف الأمير وليست شخصية طرفة ذي الحسب الرفيع، ولكنها شخصية الفارس البطل الذي يعجب الجميع بـ كرهه وفره ومع ذلك يرفض الجميع. بمن فيهم أهله. جواز انتماؤه اليهم بسبب لونه الأسود وكون والدته أمة حبشية سوداء لا تنتمي إلى العرق العربي! فاستعبده أبوه. عادة العرب في الجاهلية. وعامله معاملة الرق العبيد! فظلت عقدة العبودية تلاحق عنتره وتلح عليه حتى بعد أن منحه والده حريته بسبب عمل بطولي حمى فيه حياض القبيلة^(١٣١) وكان لهذا الإحساس أثره البعيد في نفسيته فصبغها بالحزن والمرارة والشفافية الزائدة وأثر في بناء شخصيته فارتفع بها ارتفاعا يفوق مستوى الإنسان العادي في كل تصرفاتها. فهو من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده^(١٣٢) وما قيمة النسب أو اللون إذا كان الإنسان فارسا كريما شهما:

فإن تك أُمِّي غرابية

من أبناءِ حامٍ بها عِبْنِي

فإني لطيفٌ ببيضِ الظُّبَا

وسُمرِ العوالي إذا جِئْتِي^(١٣٣)

وهو لا يقول هذا ليهرب من الانتماء إلى السودان، بل هو يفخر بهذا الانتماء ويشرفه بفروسيته وشجاعته،

إني امرؤ من خير عبسٍ منصبا

شطري وأُخمي سائري بالمتَّصِلِ

وإذا الكِيبَةُ أُخْجِئَتْ وتَلاحَظَتْ

أُفَيْتُ خيراً من مِعَمٍ مُحَوِّلِ^(١٣٤)

وعشق عنتره عبلة ابنة عمه، ورفض عمه أن يزوجه له، فأضاف إلى حزنه حزنًا من لون آخر، فاشتعل في قلبه لهيب الحرية والنفور من العبودية، ولهيب الحب، فانطلق يتغنى بفروسيته وعفته وكرمه

وحلمه وطمو حاته وآماله مستبدلاً بجمال الجسد جمال العقل وجمال النفس وجمال الحب. وسواء أكان بذلك يرضي نفسه الحزينة ويشبع آمالها أم كان يقنع محبوبته بشخصه، فمما لا شك فيه أن فنه جاء ممتازاً بمسيرة حياته ليرسم صورة نقية للفارس البطل والإنسان العف^(١٣٥).

وكان لابد للحزن أن يطبع صور عنتره وهو يتحدث عن الطبيعة، فصبغ الطبيعة بصبغة نفسه، فجاءت في كثير من صورها شاحبة تنبعث منها رائحة التشاؤم، فالأطلال صورة من نفسه القاتمة، مهجورة دائماً، تعصف بها الأنواء والرياح، وينشج الحمام، وتهيج الشوق وتبعث الأسى والحزن. وقراءة متأنية لمقدمة معلقته:

هل غادر الشعراء من متردم

أم هل عرفت الدار بعد توهم^(١٣٦)

أو لقصيدته:

طال الثواء على رسوم المنزل

بين اللكيك وبين ذات الحرمل^(١٣٧)

تطلعنا على نفوره الشديد من الماضي وتعلقه بسال حاضر. وكان ماضيه المؤلم بما يرتبط به من عبودية يملئ عليه مثل هذا الاتجاه. ومن ثم نجده لا يحيل في وصف الطلل بل يثور عليه مخالفاً الشعراء ويجري خلف البـ طولات متغنياً بحاضره الملئ بالفروسية:

ألا قاتل الله الطلول النباليا

وقاتل ذكراك السنين الخوالي

وقونك للشيء الذي لا تناله

إذا ما هو حلول الأليت ذالبا^(١٣٨)

والارتباط بالماضي لا يفهم منه أكثر مما يفهم أعجم طمطمى قدمت له صحائف من عهد كسرى: الأيادار عبلة بالطوي

كرجع الوشم في رُسْعِ الهدى

كوحى صحائف من عهد كسرى

ف... أهداها لأغ... جَم

طُنْطُنِي^(١١١)

وعندما يتحدث عن الرحيل لا نلمح إلا السواد
والغربان وتناثر ريشها، ولا نسمع إلا تردد نعيها:

ظعن الذين فراقهم أتوقّع

وجرى به بينهم الغراب الأبة... ع

حرق الجناح كأن لَحْيَيْ رَأْسِهِ

جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ مَشْهُوْنِ

فَرَجَوْتُهُ لَا يَفْرَحُ عَشِيَّةُ

أَبْدَأُ وَيَصْبِحُ وَاحِدًا يَتَجَمَّعُ

ان الذين نعت لي بفراقهم

قد أسهروا ليلي السام فأوجعوا^(١١٢)

ويسقط شخصيته على ناقته المرتحلة، فإذا هي
مثال للقوة والنشاط والاختيال. ويلجأ إلى الطبيعة
يستمد من صورها لتمثيل سرعتها، فيصورها
بالظلم، وقد أوت إليه قاص النعام عند المساء وقت
الإعياء، فأطل عليها من عليائه، وكأنه رجل من
العجم أحاط به قوم من اليمن يسمعون كلامه
ولا يفهمونه، أو عبد أسود لا يحسن الإعراب ثابت إليه
الإبل:

تأوي له قاص النعام كما أوت

حَزَقٌ بِمَانِيَةٍ لَا عَجَمَ طُمَطُمُ

يَبْعَثُ قَلَّةَ رَأْسِهِ وَكَأَنَّهُ

رَوْحٌ عَلَى حَرْجٍ لَهْنٌ مُجْتَمِ

صَغْلٌ يَعُودُ بِذِي الشَّيْثَةِ بِضُهُ

كالعبد ذي القُرْوِ الطويل الأَصْلَمِ^(١١٣)

ولا يخفى ما في هذه الصورة من تلميح لشخصه
وحاجة القبيلة إليه.

ولم يغفل عنبرة جمال الطبيعة فراى الجمال
والحسن في نباتها وأمطارها، وحيوانها وطيورها
وحشراتنا بل ان له صوراً عظمى في هذا المجال لم يسبق
إليها ولم ينافس فيها^(١١٤). فقد أفاض من جمال نفسه
ورقتها شيئاً كثيراً. فبكى لبكاء الحمام:

أَقْمِنُ بَكَاءِ حَمَامَةٍ فِي أَبْكَةٍ

ذرفت دموعك فوق ظهر المحمل^(١١٥)

وطرب لغناء الذباب في الحقائق وقد سكر من نشوة
الطبيعة:

وخلا الذباب بها فليس يبارح

مَرْجَا كِفْعَلِ الشَّ. مَارِبِ الْمُرْتَمِ

عَرْدَا يَسُنُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ

فَعَلَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّيَادِ الْأَجْدَمِ^(١١٦)

ووقف متأملاً جمال الطبيعة في نباتها ومطرها:

أَوْ رَوْضَةً أَنْفَأُ تَضْمَنُ نَبَاتَهَا

غَيْثٌ قَدْ... لَيْلُ الدِّمَنِ لَيْسَ بِمَعْلَمِ

جادت عليها كل عين ترة

فَرَكْنُ كُلِّ حَدِيدَةٍ... يَكَاذِبُ كَالدِّرْهَمِ

سَحَا وَسُكَا بَا فِكَلِ عَشِيَّةِ

يَجْرِي عَلَيْهِ مَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ^(١١٧)

ثم هو يستعين بجمال الطبيعة ليصور الجمال الانثوي ويمزج بينهما مزجاً رائعاً في معلقته، وقد اعتبر بعضهم هذا خاصة ينفرد بها لتقريب أوصافه من النفس^(١٣١). ولا نرى هذا الرأي فالظاهرة تتكرر عند أكثر من شاعر وإن كان عنبرة قد جمع في أبياته حول هذا الموضوع عناصر متعددة وخذ بينها توحيدها رائعاً.

(٤)

الشخصية والطبيعة وصال روحي

١. بين الأصالة والمحاكاة.

يرى كثير من النقاد أن النزعة الحسية تركت أثراً عميقاً في الشعر القديم، فأنعدمت شخصية الشاعر أو كادت، ذلك أن هذه النظرة حددت أفق الشعراء في إطار البيئة المتشابهة فضعف خيالهم وتصورهم، وارتبطت أذهانهم بمشخصات مادية لم تتح لهم أن ينطلقوا إلى تصوير العنويات، أو أن يتعمقوا في وصف الخواطر والأفكار فجاءت صورهم مكررة متشابهة، وسقطوا في دائرة الواقعية والوضوح فجاء أدبهم "فقيراً في الأفكار محدود الخيال أقرب إلى الصناعة اللغوية منه إلى الفن. ذاتياً تنقصه الصفة الإنسانية العامة"^(١٣٢) وإذا كان الشاعر الجاهلي في حديثه عن الطبيعة يسرف في الحديث عن نفسه بالأمها وأحزانها وخواطرها، فإنه لا يتجاوز عالمه الصغير إلى العالم الكبير بأفكاره العامة. فجاء هذا الشعر كله من النوع الوجداني الغنائي الذي يعتمد الحقائق ويمتلئ بالخواء العاطفي^(١٣٣).

وحقيقة الأمر أن الشاعر الجاهلي إذا كان قد ارتبط بالحس، وجاءت صورة ممثلة للواقع والعيان دون إغراق في الخيال أو غلو في نقل صور الطبيعة، فإن أخطر ما يقع فيه الناقد هو صفة التعميم، فنحكم على الشعر الجاهلي كافة بأنه خال من الإرادة الغنية للشاعر وأنه لا يمس جوهر الأشياء^(١٣٤) وأن هذا الشعر إذا نال إعجابنا فإنه لا يحرك مشاعرنا، وإذا أمتعنا فإننا لا نتفاعل مع المواقف تفاعلاً عاطفياً^(١٣٥). وأن عمل الشعراء الفني لا يعدو كونه فيضاً من التنظيم والتنسيق والبراعة^(١٣٦). فنحن نظلم الشعراء الجاهليين أفدح الظلم عندما نلغي شخصياتهم ونجعلهم عبيداً للبيئة والتقليد، أو عندما نفصل بين مشاعرهم وبين الطبيعة التي يعيشون فيها، فنلغي عنهم القدرة على التخيل ثم القدرة على الإبداع، فإذا كان الشاعر

الجاهلي قريباً من الواقع واضحاً جلياً في كثير من صورته فلا تعني العفوية ضعفاً في الخيال، ولا تعني البساطة انعداماً في الابتكار، اللهم إلا إذا كان التصنع والغموض أساسيين في جمال الفن وروعته. إن الحسية التي يتسم بها الشعر القديم لا تعني أن الوعي الجاهلي مجرد آلة تصور الواقع الموضوعي، فكثيراً ما يعيد الشاعر صياغة ما ينتجه في وجدانه ويصوغه بخصوصيته الداخلية الفردية فيوصل من الصياغة المادية إلى الصياغة الروحية^(١٣٧). أما أن الشاعر الجاهلي يرتبط بواقعه دون قدرة على التخيل، فنحن لانستطيع في أي حال من الأحوال أن نفصل الواقع عن الخيال، فشخصية الأديب ليست سوى علاقة داخلية بين الواقع والخيال وخصوصية هذه العلاقة تكمن في التفاعل بينهما^(١٣٨) فمهمة الفنان لا تقتصر على محاكاة الطبيعة وإنما تقوم أساساً على نظم الداخل بالاستناد إلى الخارج وهو لا يقوم بإمدادنا بصورة مكررة لما يحدث في الطبيعة، بل يعمل على التغيير من طبيعة الطبيعة فالفن محاكاة منقحة تقوم على تبديل الواقع وما يكسب الفنان صفة الإبداع هو شخصيته المستقلة وأصالته وتميزه فإذا تحقق له هذا صنع ما تعجز الطبيعة عن تحقيقه^(١٣٩). فالفنان القدير هو الذي يتمثل واقعه ويعيشه لا لينقله كما هو بل ليقدم هذا الواقع في ثوب جديد فيه نفسه وخواطره وأحاسيسه. وعند ذلك يكون عمله قائماً على الابتكار والخلق ولا يغدو الأثر الفني لدى الشاعر هنا مجرد صورة محسوسة ولكنه شيء يقوم على التخيل. أما الصورة المحسوسة فهي وسيلة نقل لا أكثر^(١٤٠).

ولا يعود الفن هنا مجرد وجدان وعاطفة وخيال وحلم بل يغدو خلقاً وصناعة أيضاً. كما أن غاية الفن لا تعود تقتصر على الألوان والصور تحشد لتنال الإعجاب وإنما تصبح تعبيراً عن النفس بصدق وإخلاص^(١٤١). فإذا تم للشاعر ذلك لا يعود هناك من انفصام بين الشكل والمضمون، مادام المضمون قد برز في صورته وجاءت الصورة ممثلة بالمضمون^(١٤٢) ويغدو العمل الفني غنياً في عمقه وتنوعه لا في غموضه ولا تحدده. وتستحيل الموضوعات المعبر عنها إلى علامات أو إمارات تكتسب عمقاً يجعلها لا تشير إلى شيء سوى "العمل"^(١٤٣) فالطبيعة

تضع بين يدي الفنان الكثير من الأشياء الفنية أو الموضوعات الجمالية ولكن الفنان في حساجة ال تأمل هذه الطبيعة وتنظيمها والكشف عن إيقاعات جديدة والاهتداء الى علاقات غير متوقعة^(١٣٢).

وإذا كان الشاعر الجاهلي قد حاكى الطبيعة بدقة، فلا يعني أنه لم يكن متفاعلاً مع ما يصف، أو أنه كان يسعى الى الزخرفة والشكل على حساب مشاعره وأحاسيسه، فقد رسم الشعراء لوحات كاملة للطبيعة ووفر فيها كل أسباب الصور الدالة الموحية من جو ولون وحركة وصوت. فأشاعوا في المعاني الحسية الحركة والحيوية. ولم يقتصروا على الحقائق المادية وتسجيلها تسجيلاً آلياً، بل صوروا انفعالاتهم تجاه الموضوعات في وعي وعمق. ولم يعد التشبيه تسجيلاً بارداً لوجوه الشبه المادية بقدر ما هو نقل للعاطفة وأضحى ما نشهده في الشعر ليس الشاعر وهو يعاني التجربة الواقعية، بل الشاعر وهو يتذكرها بذاكرته التي تعيد إحياءها متخيراً عناصرها الهامة معيداً ترتيبها بخياله الفني ناظراً إليها من خلال مزاجه الخاص مازجاً إياها بعاطفته القوية^(١٣٣).

وإذا كنا لا ننكر حسية الشعراء، فإنه ينبغي أن نضع في الاعتبار أيضاً هذه القدرة العجيبة التي تمكنهم من اختيار التشبيهات ذات الدلالة على الإحساس بالتقارب بين مظاهر الجمال في الوجود. ولا تتوفر هذه القدرة على الاختيار إلا إذا توافر الخيال الخلاق، فإذا جاءت صورهم أحياناً محددة في البيت والبيتين فينبغي أن ندرك أنها تحوى من الشمول شيئاً كثيراً إذا ما درسناها في البيئة والحياة المعاشة والشخصية المبدعة بكل ما يحيط بها من ظروف. فالصورة الشعرية صلة بسين الذات والطبيعة، وعظمتها تكمن في قدرة الشاعر على أن يجعل من الطبيعة ذاتاً ومن الذات طبيعة خارجية^(١٣٤). ولا يتسنى له هذا الخلق إلا إذا كانت شخصيته ماثلة في الأثر الأدبي بكل ما في شخصيته من معايير واتجاهات.

وإذا كانت الطبيعة مصدر الإلهام الأول للفن فالطبيعة بليدة خرساء ما لم ينطقها الفن^(١٣٥). فتأثر الشاعر بها وتعبيره عما ينطبع في نفسه من آثارها عن شعور صادق لا عن محاكاة وتقليد هو الذي يجعله أصيلاً في إنشاده. فالشخصية هي التي ترى وتتأمل وتبتكر وتخلق. ومن هنا جاء الاختلاف بين شاعر وشاعر، فالبيئة واحدة والمؤثرات الطبيعية هي نفسها ولكن الشعراء يتميزون واللوحات تتنافر تبعاً لاختلاف الأمزجة وتنافر الطباع.

٢. الشخصية والطبيعة وصال روحي.
يذهب نقاد محدثون الى أن مهمة الشعر هي مهمة عاطفية لأن ما يبوح به الفن هو دلالة وجدانية^(١٣٦) ومن ثم فإن الفن لا يستطيع أن يصل الى قلوب الناس إلا إذا أقام الفنان ضرباً من الوصال الروحي بينه وبين عالم البشر، فحقق ضرباً من التوافق والاتحاد في الشاعر بينه وبين جمهوره^(١٣٧) ولذا عليه أن ينفذ الى باطن الحياة فيسبر أغوار الواقع ويدرك أن كل منظر يشاهده إنما هو حالة نفسية، فالفن حدس غنائي يجمع بين العيان والعاطفة، أو بين المعرفة التمثيلية والنبرة الوجدانية^(١٣٨).

والطبيعة هي الملمح الأول للفنان يتمثلها ويمتزج بها، ويرى فيها نفسه وتنعكس عليها مشاعره فيتغنّى بها حزيناً أو مسروراً، ويلجأ إليها يرتمي في أحضانها عشقاً للحياة أو هرباً منها فيجد لديها الحنان والحب والعطف.

وقد التصق الشعراء القدماء بالطبيعة، وصبغوها بوجداناتهم، وطبعوها بطوائعهم الشخصية، وسخروها لخدمة مشاعرهم فأصبحت جزءاً لا يتجزأ من إحساسهم وفنهم. وقد فهم العرب منذ القدم أن الفن هو الإنسان مضافاً الى الطبيعة، وإن كانت الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس، فهي تقبل آثارها وتمثل بأمرها وتكمل بكمالها، وترسم بالقائنها. والطبيعة لوحدها لا تفعل شيئاً بل لابد أن يتدخل الفنان

بشخصه فيفرض صنعته "فالموسيقى - إدار إذا صادف طبيعة قابلة، ومادة مستجيبة، وهريجة مواتية، وآلة منقادة أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوساً مؤنثاً وتالياً معجيباً، وأعطاهها صورة معشوقة، وحلية مرموقة - وفوته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة. فمن هاهنا احتاجت الطبيعة إلى الصناعة لأنها وصلت إلى كمالها من ناحية النفس الناطقة بواسطة الصناعة الحادثة التي من شأنها استملاء ما ليس لها وإملاء ما يحصل فيها، استكمالاً بما تأخذ، وكمالاً لما تعطي"^(٣٧)

وقد نظر العرب إلى الطبيعة الجامدة فنفخوا فيها من روحهم، وتأملوا الطبيعة المتحركة فأضافوا إليها من مشاعرهم. وإذا الطبيعة بحدّتها حية تنطق لا تعبر عن جمال فحسب، بل تعبر عن مشاعر أصحابها وتفكيرهم على اختلاف أنماطهم وأمزجتهم. - بـكوا الطلل ورسوم المنازل، وكانوا في الحقيقة يبكون الوطن والذكريات. ووقفوا على الأطلال، فنقلوا خبهم وعشقهم للحياة وتحديدهم للموت والفناء. ووجدوا في هذه الديار متنفساً لأحزانهم وخوفهم وقلقهم. فالنابغة في فاتحة معلقته:

يادار مية بالعلياء فالسند

أقوت وطال عليها سالف الأبد"^(٣٨)

يسكب خوفه من النعمان ويشعرنا بالجمود والغربة بينه وبين المجتمع ويصل خوفه الشخصي بالخوف الكوني. فيصور موقف الإنسان الجاهلي عامة من الخوف، سامياً بهومته الخاصة إلى الأفق الإنساني الرحب"^(٣٩)

وفي قصيدته:

دعاك الهوى واستجھلتك المنازل

وكيف تصابي المرء والشيب شامل"^(٤٠)

يطغى الحزن على شخصيته ويملاً نفسه الجزع لفقد النعمان، فيخلع هذا جميعه على الديار، يتغنى حينئذ ضائعاً، وشوقاً لا سبيل إليه. ولبيد في مطلع معلقته:

عفت الديار محلها فمقامها

بمنى تأبّد غولها فرجامها"^(٤١)

يبث الحركة في الديار، ويجعلها مسكناً ومرتعا ومرحاً للوحوش المطفلة والنبات اليناع. فينفذ عنها صفة الفناء، ناظراً إلى أن الماضي يتحوّل إلى رموز خالدة تستقر في النفس تستعيد لها من حين لآخر. فتهدم الحضارة أو تعطلها لا يعني النهاية ما دام المطر يبعث الحياة في الموات، ويعيد الخصب والنماء لتبدأ الحياة من جديد"^(٤٢). أما امرؤ القيس فهو يمتزج بالطلل فيشجبه ويرى فيه وسيلة للنفاذ إلى أعماق نفسه. ويمزقه الألم عندما يحاوره فلا يجيبه"^(٤٣).

ولم تعد حيوانات الصحراء مجرد مخلوقات تجري وتتناحر. وإنما تعايش معها الشعراء ونظروا إليها نظرات إنسانية. فلبيد، يرى في حمار الوحش صفات إنسانية، فهو محب عطوف يعامل زوجه معاملة المحب الغيور:

ظلت تغالجه وظل يحوطها

طوراً ويربأ فوقها ويحوم"^(٤٤)

ويرى فيه صفة الإنسان المفكر المتأمل. ويمنحه من الإنسان طربه ولهوه وغوايته،

يظرب آتاء النهار كأنه

غوى سقسقاه في التجار نديم

أميلت عليه قرقف بابلية

لها نغد كأس في العظام هميم"^(٤٥)

وزهير يصفه بصفات العقلاء، فسحيله يشبه صوت

الإنسان يدعو صاحبه:

كان سحيلة في كل فجر

على أحساء يؤود دعاء

أما الأعشى فيتصور الآن تصوراً إنسانياً فيرى الحمار

فظاً خشن العشرة خبيث النفس:

ذو أذاة على الخليط خبيث الـ

نفس ينرمي من أغه بالتسال"^(٤٦)

ولم تعد الأتان الوحشية في معلقة لبيد وضراعاها من أجل الحياة، سوى رمز للقلق الذي يعاينيه الشاعر الجاهلي في داخله أمام قسوة الطبيعة ومشقة الحياة. وتحولت الغيرة والحرص والمنافسة والخوف والتردد

والريبة والطائرة في قصة الاتان، إلى صفات إنسانية تحمل كلها معنى القلق الذي يساور الإنسان في رحلة حياته^(١٢٦). ولم يعد الحديث عن الثور الوحشي سوى حديث عن حالة الشاعر النفسية، وما يساوره من حزن والمأو ما يحس به من رضا وخبور وأمل^(١٢٧). وعطفوا على الناقة - رفيقة دربهم الطويل - فأحبوها حب أبناءهم، ومزجوا مشاعرهم بمشاعرها. فعبيد يمزج حنينه وعشقه للحجاز - موطن الحبيبة - بحنين الناقة شاقها وميض البرق^(١٢٨) وطرفة يحد فيها ملاذا يلجأ إليه عند أحزانه وهمومه^(١٢٩). أما الخيل - رفيقة الحرب - فأضحت بقوتها ونشاطها وحيويتها تمثل الانتشاء بالطبيعة واشتاء الحياة^(١٣٠). كما رأوا فيها صديقا مواسيا يشكو ويبكي ويتألم^(١٣١).

ولم يكتف الشعراء بخلق أحاسيسهم على حيوان الصحراء أو الحيوانات المستأنسة، بل خلعوا مشاعرهم أيضا على الحمام والنحل والطير وغيرها^(١٣٢). ولم يقتصروا في ذلك على الطبيعة الحية بل مزجوا مشاعرهم بالطبيعة الجامدة، فوجدوا بين جمال الطبيعة وجمال المرأة في التعبير عن مواقفهم الوجدانية^(١٣٣). ولبيد يرسم صورة رائعة للنخيل فيدل على عشقه الأصيل للطبيعة^(١٣٤). وارتبط الليل لديهم بالحزن والبطء والتأمل والهموم^(١٣٥). ووجدوا في البرق والغيث والمطر وسائل للحديث عن أفراحهم وأحزانهم^(١٣٦). وإذا كان الشعراء القدماء قد نظروا إلى المطر على أنه وسيلة هدم، فقد رأوا فيه أيضا وسيلة بعث وحياة فتسلوا بذكره عن معاني الفناء، وكأنهم بذلك

يهربون من شبح الموت الذي يطاردهم باستمرار^(١٣٧). ولو تتبعنا نظرات الشعراء القدماء لظاهر الطبيعة لوجدنا أنهم يصدرون عن مواقف نفسية متباينة. وإن كلا منهم يرسم شخصه من خلال شعره، فيرون في الطبيعة معاني الرضى والأمل والفرح والغيرة والريبة وكل ما يعترى النفس البشرية من ضيق أو بهجة أو خيبة أو أية عواطف أخرى^(١٣٨). لقد أمعنوا النظر في الطبيعة ووصلوا إلى أرواحهم بها. فبنوا لها أهم وأحلامهم. وقصوا عليها حبهم وعشقتهم. وعقدوا من الحوار بينهم وبينها ما جعلها شخصا ينطق. فأحالوا وجداناتهم إلى حقائق ونقلوا إلينا مشاعرهم، فجعلونا أكثر وعيا بمشاعرنا، وبعنوا فينا الفهم والتأمل. ونقلوا إلينا أساليب حياتهم عن طريق التعبير. فمثلت شخصياتهم أمامنا واضحة جلية في الرمل والزهر والحيوان، وفي المطر والبرق والرياح. فقصدوا رؤى جديدة. عبرت تعبير أنقيا عن أنماط شخصياتهم في التفكير والشعور والإنتاج. وإذا كانت الطبيعة مصدر إلهام ووحى لكل فنان، فإن الشخصية المبدعة تظل أولا وأخيرا هي التي تصنع وهي التي تخلق. وبقدر ما تملك هذه الشخصية من الاستعداد للامتزاج والتأثير بما حولها، تستطيع أن تقدم عيانا جديدا ورؤية جديدة.

- (١) انظر: جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ط٢ دار العلم للملايين - بيروت / مكتبة النهضة - بغداد ١٩٨٠م ص ٢٢ وما بعدها.
- (٢) انظر: الثعالبي (ابو منصور اسماعيل ٤٢٩هـ - ١٠٢٨م) فقه اللغة وسر العربية - دار الحكمة دمشق ١٩٨٤م ص ٢٧٧، ٢٩٠.
- (٣) انظر: يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق - بيروت ط ٢ ١٩٨٠م ص ١٨.
- (٤) انظر: الاعشى الكبير (ميمون بن قيس) ديوانه تحقيق د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٢ ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ص ٨٧، ١٣٩ وانظر: عبيد الرزاق الخشروم، الغربة في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٢ ص ٢٢.
- (٥) ينظر: طرفة بن العبد، ديوانه شرح الاعلام الشنتمري (٤١٠هـ - ٤٧٦هـ) مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٢٩٥هـ - ١٩٧٥م ص ٤٢.
- (٦) انظر: الرزوقي (ابو علي احمد بن محمد بن الحسن ٤٠٠هـ) شرح ديوان الحماسة تحقيق احمد امين وعبد السلام هارون، القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٧هـ - ١٩٦٨م ط ٢ ج ٢ ص ٦٥٨.
- (٧) انظر: عنزة بن شداد / ديوانه، تحقيق محمد سعيد مولوي، المكتب الاسلامي. القاهرة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ص ٢٤.
- (٨) طرفة بن العبد / ديوانه ص ٢٧.
- (٩) انظر: د. ر. بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ترجمة ابراهيم الكيلاني ط ٢ دار الفكر - دمشق ١٩٨٤ ص ٤٦.
- (١٠) انظر: بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام دار مارون عبود - بيروت ١٩٧٩ ص ١٩.
- (١١) د. ر. بلاشير، تاريخ الادب العربي ص ٤٦.
- (١٢) انظر: وهب روية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٢ ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ص ١٤٩.

- (١٣) المرجع السابق: ص ٢١٩.
- (١٤) الأعشى الكبير / ديوانه ص: ٢١٢، ص: ٢٥٩.
- (١٥) المرجع السابق ص: ٤١.
- (١٦) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ص ٤٧، ٧٢.
- (١٧) انظر: طه احمد ابراهيم، تاريخ النقد الادبي عند العرب من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري دار الحكمة - دمشق ١٩٧٢م ص ٩٠.
- (١٨) انظر: علي شلق، نقاط التطور في الأدب العربي، دار القلم - بيروت ط ١٩٧٥م ص ٥٥٨.
- (١٩) انظر: ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم ٢١٢ - ٢٧٦هـ) الشعر والشعراء طبعة ليدن ١٩٠٢م ص ١٨.
- (٢٠) المرجع نفسه ص ١٨.
- (٢١) علي شلق، نقاط التطور في الأدب العربي ص ٥٦٠.
- (٢٢) انظر: محمد النويهي، الشعر الجاهلي، الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٠م ص ٢٨٦.
- (٢٣) انظر: امرؤ القيس، ديوانه تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٨٥م ص ٢٤ وانظر: عبيد بن الأبرص، ديوانه دار صادر - بيروت (بدون تاريخ) ص ٥٢.
- (٢٤) انظر: لبيد بن ربيعة العامري، ديوانه. دار صادر - بيروت ١٢٨٦هـ - ١٩٦٦م ص ٢٦٢.
- (٢٥) محمد النويهي، الشعر الجاهلي ص ٢٩٠.
- (٢٦) انظر: احمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي دار القلم - بيروت ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ط ٢ وما بعدها.
- (٢٧) يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي ص ١٨، ٤٢.
- (٢٨) انظر: نجيب محمد البهبهسي، تاريخ الشعر العربي، دار الفكر - مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٠ ص ٨٥.
- (٢٩) انظر: سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي، دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٧٨ ص ١٠، وانظر: يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، مؤسسة

الرسالة - بيروت ط ٢، ١٩٨٢ ص ١٩٨
(٢٠) زكريا ابراهيم، مشكلة الفن، مكتبة مصر

١٩٧٧ م ص ٤٢

(٢١) انظر: علي ادهم، على هامش الأدب والنقد، دار
الفكر العربي - القاهرة (بدون تاريخ) ص ٢١
(٢٢) انظر: رينيه ويليك وأوستن دارين، نظرية
الأدب ترجمة محيي الدين صبحي المؤسسة العربية.

بيروت ط ٢، ١٩٨١ م ص ٩٢

(٢٣) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٥٢
(٢٤) المرجع نفسه ص ٥٢ وانظر: القرشي (ابو زيد
محمد بن الخطاب) جمهرة أشعار العرب، تحقيق علي
محمد البجاولي دار نهضة مصر ١٩٧٧ ص ١٦٥ انظر
القيرواني (ابو الحسن بن رشيق ٤٥٩٢٩٠ هـ) العمدة في
محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين
عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٢ م ص ٩٤

(٢٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٢٧
(٢٦) المرجع السابق ص ٢٨ وانظر ابن رشيق
القيرواني، العمدة ص ٤٢

(٢٧) انظر: الاصفهاني (ابو الفرج علي بن الحسين
٢٥٦ هـ - ١٩٧٦ م) الأغاني نسخة مصورة عن طبعة دار

الكتب مؤسسة جمال - بيروت ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م ج ٩ ص ٨٧

(٢٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٢٨.

(٢٩) الاصفهاني الأغاني، ج ٩، ص ١٠٢

(٤٠) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية

وصدر الاسلام ص ١٠٢

(٤١) امرؤ القيس، ديوانه ص ١٠

(٤٢) المرجع نفسه ص ٩٧، مجلة: مصممة على

الشيء لا ترجع عما تريد

(٤٣) انظر: قصي الحسين، العمارة الفنية في شعر

امرؤ القيس، المكتبة الحديثة - طرابلس لبنان (بدون

تاريخ) ص ١٢١

(٤٤) امرؤ القيس، ديوانه ص ٢٥

(٤٥) المرجع نفسه ص ٤٥ المباح: الذي يميح في

جانبه، أي يميل شدة ونشاطاً، أو من أجل السكر

(٤٦) المرجع نفسه ص ٢٢ عن لنا سرب: عرض لنا

قطيع بقر، وشبه إنائه بجوار أبقار يطفن بدوار، وهو

صنم لأهل الجاهلية يدورون حوله. الملاء: الملاحف.

المذيل: الطويل المهدب. الجزع: الخرز والمفصل الذي
فصل بينة باللؤلؤ.

(٤٧) المرجع نفسه ص ٥٧، تكمشوا: أسرعوا في السير.

وشبه مسيرهم في السراب كسير السفين في الماء. المكرعات:

النخيل المغروسات في الماء، الصفا والمشقر: قصران

بناحية اليمامة، سوامق: مرتفعات طولال.

(٤٨) المرجع نفسه ص ٢٩٨

(٤٩) المرجع نفسه ص ١٦، نصته: مدته وأبرزته

المتعطل: المتداخل لكثرتة، الشثن: الجافي الغليظ، ظبي:

اسم رملة وأساريعه دواب بيض تكون فيه. والاسحل

شجر يستاك به.

(٥٠) المرجع نفسه ص ١٩٦، أذعر: أفزع، الرتاع: اللاتي

يرتعن

(٥١) المرجع نفسه ص ٢٥

(٥٢) المرجع نفسه ص ٤٦

(٥٣) المرجع نفسه ص ١٦٢

(٥٤) المرجع نفسه ص ٩٢

(٥٥) المرجع نفسه ص ١٧٠ يرفني: ظليم وهو الذكر

من النعام. نقنق من النقنقة وهي صوته. النطية:

البعيدة

(٥٦) المرجع نفسه ص ١٠٢ تعشى: دخل في العشاء،

المكنس: الوضع الذي يكتن فيه من الحر والبرد الأحم:

الأسود، المكردس: المطروح على جنبه التقبض، الأرطاة:

شجرة، الحقف: ما اعوج من الرمل

(٥٧) المرجع نفسه ص ٢٤

(٥٨) الكنهيل: ما عظم من شجرة العضاة والدوحة

الكثيرة الورق والأغصان. الأطم: البيت المسطح، قطن:

اسم جبل في بلاد بني أسد. الستار ويذبل جبلان مما يلي

البحرين. الغبيط: موضع، بعاع: ثقل، بجاد: كساء

مخطط

(٥٩) أنابيش: جمع نبش وأنباش ويريد أصول

مأنبش منه، العنصل: نبت بري يشبه البصل

(٦٠) قصي الحسين، العمارة الفنية في شعر امرؤ

القيس ص ٢٢

(٦١) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٥٨

(٦٢) الاصفهاني، الأغاني ج ١٠ ص ٢١٢

(٦٣) انظر: الاعلام الشنتمري، شعر زهير بن أبي

سلمى، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الافاق الجديدة بيروت ١٤٠٠هـ. ١٩٨٠ (قصيدة زهير في مدح حصن بن حذيفة) ص ٤٥

(٦٤) انظر: احسان النص، زهير بن ابي سلمى حياته وشعره، دار الفكر - دمشق ط ١٩٨٥ م ص ١٤٧

(٦٥) انظر: عبد الحميد سند الجندي، زهير بن ابي سلمى شاعر السلم في الجاهلية. وزارة الثقافة والارشاد القومي - المؤسسة المصرية العامة (بدون تاريخ) ص ٨٩

(٦٦) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٥٧

(٦٧) انظر الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر ١٥٠هـ - ٢٥٥هـ) البرصان والعرجان والعميان والحوالان. تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الرشيد - بغداد ١٤٠٢هـ

١٩٨٢ م ص ١١٣

(٦٨) انظر: الجمحي (محمد بن سلام ١٣٩هـ - ٢٢١هـ) طبقات الشعراء، شرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني

القاهرة ١٣٩٤هـ. ١٩٧٤ م ص ٥٢ وانظر: الاصفهاني، الأغاني ج ١٠ ص ٢٨٨، ٢١٥ والقيرواني / العمدة ص ٩٨

(٦٩) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن ابي سلمى، ص ١١

(٧٠) انظر: الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر) البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون ط ٤ مكتبة الجاحظ. بيروت ١٣٦٧هـ. ١٩٤٨ م ج ٤ ص ٨٢.

(٧١) الاصفهاني، الأغاني ج ١٠ ص ٢٩٣

(٧٢) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن ابي سلمى ص ١٨

(٧٣) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ص ١٣٠

(٧٤) انظر: ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد ٦٠٨ - ٦٨١هـ) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان. إعداد: وداد القاضي وعز الدين أحمد موسى وإشراف احسان عباس. دار صادر - بيروت ١٣٩٧هـ. ١٩٧٧ م ج ٥ ص ٢٥٥

(٧٥) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن ابي سلمى ص ١٠

(٧٦) المرجع نفسه ص ١٢٢

(٧٧) المرجع نفسه ص ٢٧٢

(٧٨) المرجع نفسه ص ١١، العتاق، الكرام، العليا: بلد، جرت: ماء لبني أسد، الكلة: السرة، مشاكهة: مشابهة، وراد: جمع وزد وهو الأحمر، القنان: جبل لبني أسد

(٧٩) انظر: طه حسين، حديث الأربعاء، دار المعارف بمصر ط ١٢١٢ م ج ١ ص ١٠٦

(٨٠) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن ابي سلمى،

ص ٧٠، الصفصف: المستوى من الارض. القرق: الأملس الذي لا شيء فيه. المعتصم: المستر اللانذ. اللثق: المبتل، يمرى: يحضر، الروق: القرن، المرزم: نجم.

(٨١) المرجع نفسه ص ١٢٢ الخرم: غدران قد انخرم بعضها الى بعض فسال هذا في هذا. السحيل: صوت الحمار، الأحساء: جمع حسي وهو موضع يكون فيه الماء، دعاء: شبه صوت الحمار بصوت إنسان يدعو صاحبه ويناديه وهنا يدعو الأتن ويجاوب الحمر.

(٨٢) المرجع نفسه ص ١٨٢، طباهها ضحاء: دعاها الرعي، خلأ: خلوا المكان، الكناس: حيث تكنس أي تستر من حر أو برد.

(٨٣) المرجع نفسه ص ٤٧ وغيث من الوسمي: أراد نباتا من غيث الوسمي. الحو: شديدة الخضرة، النجا: جمع نجوة وهي المرتفع من الارض. ممسود النواشر: شديد، منفر: شديد الفتل، الصفاق: الجلد السفلى من بطنه، المنقبة: حديدة البيطار

(٨٤) طه حسين، حديث الأربعاء ج ١ ص ١٠٦

(٨٥) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن ابي سلمى ص ٤٩

(٨٦) المرجع نفسه ص ٢١١ جال: دار دورة واحدة، ثم استمر، الألبم: ذو الوجع، البرز: البارز المرتفع الأماعر: جمع أمعر وهو ما صلب من الارض، يلحب: يقطع الارض بالعدو قطعاً.

(٨٧) المرجع نفسه ص ٢١٢ وينظر: ص ٧٠

(٨٨) احسان النص، زهير بن ابي سلمى، حياته وشعره ص ١٦٤

(٨٩) الأعلام الشنتمري، شعر زهير بن ابي سلمى ص ٨٦، حلاها: طردها عن الماء، ورد: قوم يردون الماء، مرقبة: المكان المرتفع، متصب العتر: الحجر الذي يعتر عليه، والعتر: ذبح

(٩٠) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٦١ وينظر ابن رشيقي القيرواني، العمدة ص ١٢٢

(٩١) انظر: جميل سلطان، زهير شاعر أهل الجاهلية، دار الأنوار - بيروت ط ١٣٩٢هـ. ١٩٧٢ م ص ٧٤

(٩٢) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ٦١

(٩٢) طرفة بن العبد، ديوانه ص ٢٢
 (٩٤) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ٩٠
 (٩٥) طرفة بن العبد، ديوانه ص ٩٦
 (٩٦) طه حسين، حديث الأربعاء ص ٦٢
 (٩٧) طرفة بن العبد، ديوانه ص ١٢٤
 (٩٨) انظر: محمد علي الهاشمي، طرفة بن العبد، حياته وشعره ط ١٩٨٠ م ص ٢٠٠
 (٩٩) طرفة بن العبد، ديوانه ص ٧٤، حممه: فحمة، رقصه: زينه وحسنه بالنقط، الرونق: حسن النبات وأوله، الرهم: جمع رهمة وهي: مطر ضعيف كالديمة، أنف: لم يرع، مرتكمة: مجتمعة ومتراكمة، حم كلكها: أي قصدها ومعتمداها، تنمه: تدقه وتكسره لشدة مطرها.
 (١٠٠) المرجع نفسه ص ٩٠ له زجل: له رعد وصوت وأغزر ما يكون المطر مع الرعد، العدمل: القديم
 (١٠١) المرجع نفسه ص ٨ وينظر ص ٥٢
 (١٠٢) المرجع نفسه ص ٥٢
 (١٠٣) المرجع نفسه ص ٥٧ تبدى حبيبا: طرائق من ريقها، حرجف: الشمال إذا عصفت سجا: سكن واستقر، البلاط: أرض مستوية، المسطر: السهل الممتد
 (١٠٤) المرجع نفسه ص ٨٢
 (١٠٥) انظر: محمد عبد النعم خفاجي: الشعر الجاهلي، دار الكتاب اللبناني - بيروت ط ١٩٧٢ م ص ٢٧٧
 (١٠٦) القرشي، جمهرة أشعار العرب ص ٨٩ وانظر: ابن رشيقي القيرواني، العمدة ص ١٠٢
 (١٠٧) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ١٢٢
 (١٠٨) المرجع نفسه ص ١٢٢
 (١٠٩) عنتر بن شداد، ديوانه ص ٢٣٩
 (١١٠) المرجع نفسه ص ٢٤٨
 (١١١) المرجع نفسه ص ٦٥
 (١١٢) المرجع نفسه ص ٨٢
 (١١٣) المرجع نفسه ص ٢٤٦
 (١١٤) المرجع نفسه ص ٢٢٤
 (١١٥) المرجع نفسه ص ٢٦٨
 (١١٦) المرجع نفسه ص ٢٦٢ جرى بسينهم: أي نعب، الأبقع: الذي فيه سواد وبياض، حرق الجناح: يتناثر ريشه ويتساقط ووصفه بهذا تطيرابه، كان لخي رأسه جلما: شبه منقاره إذا فتحه ليصوت بالجلمين وخص الجلمين لأنه أراد تفريقه بين الأحباء كما يقطع

بالجلمين (المقص)
 (١١٧) المرجع نفسه ص ٢٠٠، حرق: جماعات، قلة رأسه: أعلاه، صعل: طويل العنق صغير الرأس.
 (١١٨) ابن قتيبة، الشعر والشعراء ص ١٢٢ وانظر ابن رشيقي القيرواني، العمدة ص ٢٩٧
 (١١٩) عنتر بن شداد، الديوان ص ٢٤٧
 (١٢٠) المرجع نفسه ص ١٩٧
 (١٢١) المرجع نفسه ص ١٩٧
 (١٢٢) المرجع نفسه ص ٩٦
 (١٢٣) انظر: أنيس فريجة، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة - بيروت ١٩٥٥ م ص ٢٠٢، وانظر في هذا الصدد: شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر ط ١٩٦٠ م ص ٢١٩ وعز الدين اسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي ط ١٩٥٥ م ص ٢٦٦ ومصطفى ناصف، الصورة الأدبية، مكتبة مصر ١٩٥٨ م ص ٢٤٠
 (١٢٤) سيد نوفل، شعر الطبيعة في الأدب العربي ص ٧٢ وانظر: يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي ص ٦٢ وانظر عبد الحميد سند الجندي، زهير بن أبي سلمى شاعر السلم في الجاهلية ص ١٠٥
 (١٢٥) شوقي ضيف، العصر الجاهلي ص ٢١٩
 (١٢٦) يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي ص ٦٤
 (١٢٧) علي شلق، نقاط التطور في الأدب العربي ص ٢٨
 (١٢٨) يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي ص ٦٧
 (١٢٩) انظر: ديمين كرانة، الواقعية، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، دار الرشيد - بغداد ١٩٧٧ م ص ٢٠
 (١٣٠) زكريا ابراهيم، مشكلة الفن ص ١٢٤، ١٢٦
 (١٣١) انظر عبد الحميد يونس، الأسس الفنية للنقد الأدبي ط ٢، دار المعرفة - القاهرة ١٩٧٩ م ص ١١٤، وانظر: حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الأدبي، الطبعة النموذجية - القاهرة ١٩٤٩ م ص ١٨٧
 (١٣٢) انظر: ايليا حاوي، النابغة سياسته وفنه ونفسيته، دار الثقافة - بيروت ١٩٧٠ م ص ١٣١
 (١٣٣) انظر: بندتو كروتشة، المجل في فلسفة الفن، ترجمة سامي الدروبي، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٤٧ م ص ٥٦
 (١٣٤) زكريا ابراهيم، مشكلة الفن ص ٤٤
 (١٣٥) انظر: زكريا ابراهيم، فلسفة الفن في الفكر

- المعاصر، دار مصر للطباعة ١٩٦٦م ص ١٢٩
- (١٣٦) محمد النويهي، الشعر الجاهلي ص ٢٩١
- (١٣٧) مصطفى ناصف، الصورة الادبية ص ٧
- (١٣٨) زكريا ابراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر ص ٥٢
- (١٣٩) انظر: ف. أمانيس-ن، ت، س، البيوت ترجمة نسان عباس، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٥ ص ٢٢٠
- (١٤٠) انظر رضوان الشهاب، عن الشعر ومسائل الفن، منشورات وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨٦م ص ١٠٨
- (١٤١) انظر: جان ماري جويتو، مسائل فلسفة الفن المعاصرة ترجمة سامي الدروبي ط ٢ دمشق ١٩٦٥ ص ٧٩
- (١٤٢) انظر: ابو حسيان التوحيد (علي بن محمد... ٤٠٠هـ) المقابسات ط ١، تحقيق حسن السندوبي ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م المطبعة الرحمانية بمصر ص ١٦٤
- (١٤٣) النابغة، ديوانه ص ١٤
- (١٤٤) وهب وروحية، الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ٢٢٥
- (١٤٥) النابغة، ديوانه ص ١١٥
- (١٤٦) لبيد، ديوانه ص ١٦٢
- (١٤٧) انظر وهب وروحية، الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ٢٩٢ ويوسف اليوسف / مقالات في الشعر الجاهلي ص ١٦٤ وطه حسين، حديث الاربعاء ج ١ ص ١٩
- (١٤٨) امرؤ القيس، ديوانه ص ١٠٥، ٢٣٩

- (١٤٩) لبيد، ديوانه ص ١٥٤
- (١٥٠) المرجع نفسه ص ١٨٢
- (١٥١) الاعلم الشنتمري، شرح ديوان زهير ص ١٢٢
- (١٥٢) الاعشى، ديوانه ص ٥٧
- (١٥٣) انظر: طه حسين، حديث الاربعاء ج ١ ص ٢٤
- وانظر الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ١٢١، ٢٨٢
- (١٥٤) النابغة، ديوانه ص ٦٥ وانظر لبيد، ديوانه ص ١٠٥
- (١٥٥) عبيد بن الابرص، ديوانه ص ٨٨
- (١٥٦) طرفة بن العبد، ديوانه ص ١٢
- (١٥٧) امرؤ القيس، ديوانه ص ١٤٤
- (١٥٨) عنتر بن شداد، ديوانه ص ٢١٧
- (١٥٩) انظر: الاصفهاني، الاغانى ج ٢ ص ١٣
- (١٦٠) انظر: الاعشى، ديوانه ص ١٠٧ والنابغة، ديوانه ص ٩١ وانظر: قيس بن الخطيم ديوانه، تحقيق ناصر الدين الاسد ط ١ مطبعة المدني - القاهرة ١٩٦٢ ص ٢٥
- (١٦١) لبيد، ديوانه ص ٥٥
- (١٦٢) امرؤ القيس، ديوانه ص ٨ وانظر: النابغة، ديوانه ص ٤٠
- (١٦٣) امرؤ القيس، ديوانه ص ٧٢، ١٤٤
- (١٦٤) انظر عبيد بن الابرص، ديوانه ص ٥٢ والاعشى، ديوانه ص ٥٤ والنابغة، ديوانه ص ١٤٩
- (١٦٥) وهب وروحية، الرحلة في القصيدة الجاهلية ص ٢٤٢

الراجع

- ١٢٨٨هـ ١٩٦٨م
- الاعلم الشنتمري، شعر زهير بن ابي سلمى، تحقيق فخر الدين قباوة، دار الافاق الجديدة - بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م
- امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف بمصر ط ٢ ١٩٨٥م.
- أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة - بيروت ١٩٥٥م.
- ايليا حاوي، النابغة، سياسته وفنه ونفسيته، دار الثقافة - بيروت ١٩٧٠م.

- احسان النص، زهير بن ابي سلمى، حياته وشعره، دار الفكر - دمشق ط ٢ ١٩٨٥م
- احمد محمد الحوفي، الغزل في العصر الجاهلي، دار القلم - بيروت ١٣٨١هـ ١٩٦١م
- الاصفهاني (ابو الفرج علي بن الحسين) نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، مؤسسة جمال - بيروت ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م
- الاعشى الكبير (ميمون بن قيس) ديوانه، تحقيق د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٢

ب. بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر

الاسلام، دار مارون عبودت بيروت ١٩٧٩م.

ب. بلاشير (د.ر) تاريخ الادب العربي ترجمة ابراهيم

الكيلائي ط ٢، دار الفكر - دمشق ١٩٨٤م

ب. التوحيد (ابو حيان علي بن محمد) المقابسات ط ١،

تحقيق حسن السندوبي، المطبعة الرحمانية بمصر

١٢٤٧هـ - ١٩٢٩م.

ب. الثعالبي (ابو منصور اسماعيل) فقه اللغة وسر

العربية، دار الحكمة - دمشق ١٩٨٤م

ب. الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر) البرصان

والعرجان والعميان والحوالان، تحقيق عبد السلام محمد

هارون دار الرشيد - بغداد ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

ب. البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون،

مكتبة الجاحظ - بيروت ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

ب. الجمحي (محمد بن سلام) طبقات الشعراء، شرح

محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة ١٣٩٤هـ

١٩٧٤م.

ب. جميل سلطان، زهير شاعر اهل الجاهلية، دار الانوار

بيروت ط ١ ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

ب. جواد علي، الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ط ٢،

دار العلم للملايين - بيروت ومكتبة النهضة - بغداد ١٩٨٠م

ب. جويتو (جان ماري) مسائل فلسفة الفن المعاصرة،

ترجمة سامي الدروبي ط ٢ دمشق ١٩٦٥م

ب. حامد عبد القادر، دراسات في علم النفس الادبي،

المطبعة النموذجية، القاهرة ١٩٤٩م.

ب. ابن خلكان (ابو العباس شمس الدين احمد بن

محمد) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان

عباس دار صادر - بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

ب. رضوان الشهاب، عن الشعر ومسائل الفن، منشورات

وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨٦م.

ب. ريتيه ويليك واوستن دارين، نظرية الادب ترجمة

محيي الدين صبحي ط ٢ المؤسسة العربية - بيروت ١٩٨١م

ب. زكريا ابراهيم، مشكلة الفن، مكتبة مصر ١٩٧٧م

ب. فلسفة الفن في الفكر المعاصر، دار مصر للطباعة

١٩٦٦م.

ب. سيد نوفل، شعر الطبيعة في الادب العربي، دار

العارف بمصر ط ٢ ١٩٧٨م

ب. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر ط ٨،

١٩٦٠م.

ب. طرفة بن العبد، ديوانه شرح الاعلم الشنتمري،

مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

ب. طه احمد ابراهيم، تاريخ النقد الادبي عند العرب

من العصر الجاهلي الى القرن الرابع الهجري، دار الحكمة -

دمشق ١٩٧٢م.

ب. طه حسين، حديث الاربعة، دار المعارف بمصر ط ١٢

١٩٧٦م.

ب. عبد الحميد سند الجندي، زهير بن أبي سلمى، شاعر

السلم في الجاهلية، وزارة الثقافة والارشاد القومي -

المؤسسة المصرية العامة (بدون تاريخ).

ب. عبد الحميد يونس، الأسس الفنية للنقد الادبي،

المطبعة النموذجية - القاهرة ١٩٤٩م.

ب. عبد الرزاق الخشروم، الغربية في الشعر الجاهلي، اتحاد

الكتاب العرب - دمشق ١٩٨٢م.

ب. عبيد بن الابصر، ديوانه، دار صادر - بيروت (بدون

تاريخ).

ب. عز الدين اسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي

ط ١ دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٥٥م.

ب. علي أدهم، علي هامش الادب والنقد، دار الفكر

العربي - القاهرة (بدون تاريخ).

ب. علي شلق، نقاط التطور في الادب العربي، دار القلم -

بيروت ط ١ ١٩٧٥م.

ب. عنتر بن شداد، ديوانه تحقيق محمد سعيد مولوى،

المكتب الاسلامي - القاهرة ١٢٩٠هـ - ١٩٧٠م.

ب. ابن قتيبة (ابو محمد عبد الله بن مسلم) الشعر

والشعراء، طبعة ليدن ١٩٠٢م.

ب. القرشي (ابو زيد محمد بن الخطاب) جمهرة أشعار

العرب، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر

١٩٧٧م.

ب. قصي الحسين، العمارة الفنية في شعر امرئ القيس،

المكتبة الحديثة - طرابلس لبنان (بدون تاريخ).

ب. القيرواني (ابو الحسن بن رشيق) العمدة في محاسن

الشعر وأدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد

الحميد مطبعة السعادة بمصر ١٩٦٢م.

ب. قيس بن الخطيم ديوانه، تحقيق ناصر الدين الاسد

المرزوقي (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن) شرح
ديوان الحماسة ط ٢ تحقيق أحمد أمين وعبد السلام
محمد هارون مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر -
القاهرة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م.
مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، مكتبة مصر
١٩٥٨ م.
نجيب محمد البهيتي، تاريخ الشعر العربي، دار
الفكر - القاهرة ١٩٧٠ م.
وهب روية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة
الرسالة - بيروت ط ٢٢٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه،
مؤسسة الرسالة - بيروت ط ٢٢٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دار
الحقانيق - بيروت ط ٢٠٢ هـ - ١٩٨٠ م.

طا مطبعة المدني - القاهرة ١٩٦٢ م.
كرانت (ديمين) الواقعية، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة،
دار الرشيد - بغداد ١٩٧٧ م.
كروتشه (بنوتو) المجل في فلسفة الفن، ترجمة
سامي الدروبي، دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٤٧ م.
لبيد بن ربيعة العامري، ديوانه، دار صادر - بيروت
١٣٨٦ هـ - ١٩٨٦ م.
ماثيسون (أ. ف. ت. س) البيوت ترجمة احسان
عباس، مؤسسة فرانكلين - بيروت ١٩٦٥ م.
محمد عبد المنعم خفاجي، الشعر الجاهلي، دار
الكتاب اللبناني - بيروت ط ٢٢٠٢ هـ - ١٩٧٢ م.
محمد علي الهاشمي، طرفة بن العبد، حياته وشعره
طا عالم الكتب - بيروت ١٩٨٠ م.
محمد النويهي، الشعر الجاهلي، الدار القسومية
للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٠ م.



مفهوم الشعر عند ابن خفاجة

يحيىوي رشيد
باحث وناقد - المغرب

- ٢- وقال لأول شبيبة طلعت في عذاره فافصحت
بوعظه واندازه.
- ٣- وقال نظما ونثرا يداعب غلاما قد بقل عذاره.
- ٤- وقال في الحماسة.
- ٥- ومما يشتمل على أوصاف.
- ٦- وقال في صفة نار وما تعلق بها.
- ٧- وقال في التشويق إلى الأندلس وهو بالعدوة.
- ٨- وقال يمدح.
- ٩- وقال في لزوم ما لا يلزم.

والإشكال الذي يطرحه هذا السؤال هو عما إذا كان يجب أن نأخذ هذه التمهيدات والتعليقات على أنها من وضع المؤلف، ومن شأن ذلك أن يثري تصور النقد عند تحليلنا، أم نعتبرها من زيادة الناسخين؟

فلا شك أن لهذه التمهيدات والتعليقات أهمية خاصة إذ بإمكانها أن تجلي جوانب نظرية لا التزامها بالأمثلة التطبيقية. فإذا عاودنا تأمل الأمثلة المذكورة. فسنلاحظ كشفها عن مبادئ شكلية كالحكاية في المثال الأول والايقاع في المثال التاسع والوصف في المثالين الخامس والسادس. وعن مبادئ موضوعية كالمثالين الثاني والسابع وعن مبادئ غرضية كالمثالين الرابع والخامس وعن مبادئ راجعة للشكل النوعي للشعر كالمثال الثالث.

وطالما بقينا غير متأكدين من نسبة تلك التعليقات للمؤلف، فإنها تبقى مستبعدة. وقد حاول الدكتور السيد مصطفى غازي في تحقيقه لديوان ابن خفاجة تحليل هذه الظاهرة منتهيا إلى

لم يكن ابن خفاجة (ت ٥٢٢هـ) شاعرا فقط بل كان ناقدا أيضا وإن لم يخلف كتباً في النقد. ولكن مقدمته لديوانه رغم قصرها وإيجازها تفصح عن كونه شاعرا على دراية ووعي بالآليات العملية الإبداعية في الشعر، وعن أنه كان أيضاً على اطلاع على الحركات والاتجاهات النقدية التي عرفها الفكر العربي قديما.

إن فكرة التقديم للديوان تحمل في حد ذاتها طرافة وأهمية. ولا نراها مختلفة في كثير من مقدمات الدواوين الحديثة إن لم تكن متقدمة على كثير منها.

فإذا كانت فائدة المقدمات إضاءة أفضل سبل القراءة للمتلقي، فإن مقدمة ابن خفاجة تمكنت من ذلك. لأن ابن خفاجة لا يكتفي فيها بتوضيح مفهومه للشعر والنقد، بل يقرب القارئ من تجربته الشعرية بإيقافه على أهم المحطات الكبرى فيها.

في تحقيق التعليقات

لكن ديوان ابن خفاجة في شكله الذي انتهى إلينا، يثير سؤالاً تطرحه علاقته بالمقدمة. والسؤال هو عن رواية أشعار الديوان. فهذه الأشعار مسبوقة دائماً بجمل نثرية توضيحية. ولكنها مروية بضمير الغائب. أي أنها ليست على لسان المتكلم الذي من المفروض أن يكون هو صاحب الديوان. فنحن نطالع أمثلة كالتالية:

١. وقال يتغزل في طريقة عبد المحسن الصوري وقد تقدم بعضها.

ان من الخصائص التوضيحية لهذه المقدمات، ربطها بين بعض النصوص وبعض الاحداث الشخصية للشاعر. على أن هذا ليس مسوغاً. فقد

لعل هذه المقدمات اذن من وضع غير ابن خفاجة. فلم يكن هناك شيء يدفعه لروايتها بضمير الغائب تخففا من ضمير المتكلم اذان مقدمة ديوانه ومجمل شعره ورسائله مسودة من طرف ضمير المتكلم اذن ان مقدمة ديوانه ويحمل اشعاره ورسائله مسودة من طرف ضمير المتكلم فلم لم يفكر ابن خفاجة في التخفيف فيها من هذا الضمير؟ ولا نرى أن الرواة غيروا من ذلك. والا كانوا غيروا صيغة المقدمة التي وضعها المؤلف. ثم ان عندنا هنا دليلا على عدم نسبة تلك التعليقات لابن خفاجة. فهنا مقدمة نصها: "قال الوزير الفقيه أبو اسحق ابراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة. أعزه الله. يصدر بهذه الخطبة جملة من شعره وبعض ما اقترن من

نثره".

فهذه المقدمة تسبق مقدمة ابن خفاجة. والذي نميل اليه من اثباتها أنها تابعة لباقي المقدمات والتعليقات المبثوثة في الديوان. وأن واضعها جميعا واحدا. قام بذلك توضيحا وتفسيرا وجمعا لشملة الديوان. وقد يكون احد تلامذة ابن خفاجة أو نساخه.

فعمل ابن خفاجة اذن على جمع نصوصه القديمة وتنقيحها والتقديم لها. اما التعليقات والاضافات التوضيحية فهي من طرف غيره. بواعث الشعر

تحدد بواعث الشعر كما يفصح عن ذلك ابن خفاجة في خمسة: اولها باعث الاستعداد التلقائي. وهو الذي يستشعر فيه الانسان ميلا الى فن أو شكل من اشكال الفنون.

وقد برز هذا الاستعداد عند ابن خفاجة منذ فترة مبكرة من حياته. حيث وجد في نفسه ميلا طاغيا لقراءة الادب. حتى اصبح بالنسبة له "مرتعا" يرتاده و"مشرعا" ومنبعاً يرتوي منه باستمرار.

وكان ان تولد عن هذا الاستعداد باعث ثان هو محاكاة الآخرين. وهو باعث طبيعي التولد عن الاستعداد. حيث ان الانسان يبدا في الغالب بتقليد الآخرين واستيحاءهم في اعماله حتى ان ارسطو جعل المحاكاة غريزة في الانسان موضحا أنه ليس كل محاك ناجح. فلا ينجح في الابداع الا من توفر فيه الاستعداد أو جبل عليه. وهؤلاء هم الشعراء المتفوقون في نظره. يقول ابن خفاجة: "أما بعد، فاني كنت والشباب يرف غضارة، ويخف بي غزارة، فاقوم طورا واقعد تارة. فقد جنحت الى الادب ارتاده مرتعا، وارده

مشرعا. فما تصفحت مثل شعر الرضي ومهيار الديلمي وعبد المحسن الصوري. وما حذا حذوه واخذ مأخذه. حتى تملكني من تلك المحاسن الرائعة الرائقة، والالفاظ الشفافة الشائقة، ما يناسب برد الشباب رقة وبرد الشراب ريقة. فما كان الا أن ملت اليه، واقبلت عليه، أروقة وارويه، وأحاول التشبه بواحد واحد فيه".

ولكن المحاكاة في حد ذاتها لا تخلق من الشاعر شاعرا ابداعيا. ولذلك كان لابد لابن خفاجة أن يتجه نحو بناء أسلوب بيته الخاصة به. حيث أكد ذلك بتوسعه في مذهب الشعر وتطوير أدواته وامكانياته الفنية. ولم تعد المحاكاة هي الباعث للقول، بل أصبح هناك باعث ثالث تعبيري. يكون الشعر فيه استجابة لرغبة في الكتابة متولدة عن مواقف معينة قد يعيشها الشاعر أو يخلقها للتعبير. ومن تلك المواقف ما يكون ذاتيا حيث يعكس الشعر بعض المواقف العاطفية على حد ما نفهم من قول ابن خفاجة: "استخدمته شئونني، وجشمته في بعض الامكنة شجونني".

فابن خفاجة يؤكد لنا اذن هذه الاهمية التعبيرية التي قد تكون للشعر حين لا يوظف لخدمة الآخرين ولا ينفصل عن الشاعر المبدع نفسه. اي أن الشاعر في هذه المواقف لا يكون "غيريا" على حد تعبيري من وصفوا شعرنا القديم بالغيرية. ونحن نعد هذا المبدأ بالغ الاهمية. ولكنه لم يطور ويستثمر في نقدنا القديم بالشكل الذي حدث فيما بعد في أوروبا. وقد كان لسيادة النظرة الكلاسيكية على النقد العربي نتيجة بقاء البعد التعبيري مهمشا وان لم يعدم.

ولم يتفتق هذا الفهم ويبشور الا بمجيء الرومنسية، حيث كسرت المبادئ الكلاسيكية

القائمة على المحاكاة الخارجية وعوضت بمبدأ المحاكاة التعبيرية التي ينكفئ فيها المبدع على استبطان الاحاسيس والعواطف ساعيا لايجاد معادلات فنية لها في الابداع.

ولكن ابن خفاجة يخبرنا بأن هذا الباعث التعبيري انتهى بانقضاء فترة الشباب، وأنه انقطع عن الشعر لفترة ليست قصيرة حتى كاد ينساه الا في مواقف قليلة مثل "خطرة ببال أو زورة لمام أو كره حال، أو بعثة سلام".

ففي فترة كهولته تولد باعث خارجي مصدره تولية أحد أبناء يوسف بن تاشفين الامير ابي اسحاق ابراهيم، على احدى امارات الاندلس. وكان على الشاعر أن يستجيب لهذا الدافع الخارجي بتحرير كتابات شعرية في تهنئته وتعظيمه واظهار الطاعة له.

على أن هذه العلاقة فيما نفهم من ابن خفاجة أصبحت بمثابة دافع يزدوج فيه الداخلي والخارجي. إذ أن الامير الجديد ما لبث أن شمله ببالح احسانه ورعاه ورفعته بالتكريم والتشريف، حيث أصبح الشاعر أمام باعث الكتابة لرد الشكر والجميل، وأمام دافع الذات للتعبير عن السرور والابتهاج بحفاوة الامير دون استمناع واستعطاء وطمع في المكافأة لقناعته بها رزقه الله. يقول ابن خفاجة: "فعطفت هناك على نظم القوافي عناني، وسننتها عند ذلك على معاطف سلطاني، مصطنعا، لا منتجعا ومستميلا لا مستنيلا. اكتفاء بما في يدي من عطايا منان، وعوارف جواد وهاب. خلق فأبدع ورزق فتبرع"^(١).

ان هذه البواعث لا يمكن لها وان دفعت الى القول، أن تدفع لرواجه وشهرته ما لم يتحقق باعث خارجي متمثل في الاستقبال والتداول المخصص

لذلك القول. وهو الباعث الخامس الذي يذكره شاعرنا الناقد.

يعود هذا الباعث. بدءا. الى قناعة ابن خفاجة في أهمية الشعر وكونه "من خلال الجلة. وحالية النبلاء الجلة". فالقناعة بأهمية الشعر تنعكس دون شك حتى على طريقة القول نفسها. إذ الذي يقتنع أن الشعر مهم وله وظيفة غير الذي يراه تسلية وتفكها، أو الذي يرى أن لا جدوى من ورائه. وأهمية الشعر عند ابن خفاجة راجعة لعاملين، الاول تعبيره عن دواخل النفس، والثاني الاحتفاء به عند المستقبلين: "فالفيتة خفيفا، على الفضلاء لطيفا، عند النبلاء رفيعا"^(٢).

فابن خفاجة كان اذن من أنصار الشعر الذين ظلوا يواجهون هجوما مزدوجا: هجوم النقاد عليهم من جهة لدرجة جعلت ابن خفاجة يصف طائفة من منتقديه بأن دوافعها شخصية غير علمية، وهجوم أنصار الانواع والانماط النثرية الذين احتفظوا للشعر بقيمة أدنى من التي خصوا بها الرسالة الأدبية بحكم خدمتها الادارية للسلطان.

فإيمان ابن خفاجة بهذه الأهمية التي للشعر عند الوسط الذي كان يعيش فيه مثلت بالنسبة له دافعا تشجيعيا للكتابة والمواجهة النظرية التي وضع من خلالها مفهومه للشعر.

مفهوم الشعر

لا يخرج تعريف ابن خفاجة للشعر عما تقرر منذ بدايات النقد العربي المنظم عند ابن طباطبا وقدامة بن جعفر. فهو يعرف الشعر كالآتي: "والشعر يأتلف من معنى ولفظ وعروض وحرف روي"^(٣). فهذا التعريف يحيل مباشرة على تعريف قدامة للشعر بكونه قولاً موزوناً مقفى يدل على

معنى. وهو نفس التعريف الذي نجده عند ابن سنان وابن منقذ وغيرهما من النقاد.

قد تطرح الاحالة على القدماء قضيتين، اولاهما النقص الذي يوصف به تعريف قدامة من حيث اغفاله بعض الجوانب الاخرى في العملية الشعرية وثانيتهما الاستعادة والتكرار اللتان توصف بهما الاقوال التي وردت بعد قدامة متبينة نفس التعريف. وتعريف ابن خفاجة من هذه الجهة غير خارج عن تعريف قدامة. فهو وان ذكر العروض والروي بـ بدل الوزن والقافية، فلا اختلاف الاصطلاح فقط، حيث ان الاصطلاحات الاربعة تحيل على نفس الخاصيتين الاسلوبيتين للنمط الشعري في النوع المقصد منه.

ولا بد ان نذكر ان القضيتين المذكورتين. وقد طال ترديدهما عند النقاد المحدثين. مختلفتان أصلا وواهيتان. والسبب في اثارتهما عدم فهم قصد قدامة بالوزن والقافية والمعنى. فقد أخذ عليه أن الشعر لا يكون شعرا بالوزن والقافية والمعنى فقط. وان من القصائد ما تضمن ذلك من دون ان يدخل دائرة الشعر. وان الشعر حسب المفهوم "الجعفري" يغفل جوانب الصورة والعاطفة.

ولكي نرد على هذه المأخذ نقول بأن قدامة انما كان ينطلق من نوع شعري محدد هو القصيد. ولما كان القصيد متميزا بهيمنة الوزن والقافية فيه، كان اغفال ذكرهما بمثابة اسقاط لعنصرين مهمين رئيسين. ولو تعلق الامر بنوع شعري آخر تنزل فيه قيمة الوزن والقافية، كان المأخذ مقبولا. فلما تعلق بنوع القصيد كان ذكره واردا بل ضروريا لتحديد سمة بانية وأساسية في ذلك النوع من الشعر.

أما اصطلاح معنى. فهو أوسع من أن يحصر في

قصائد تعليمية أو منظومات لتدوين بعض العلوم حيث تهبط القيمة الشعرية متحولة الى مجرد رص للكلمات قصد تأدية وتوصيل افكار جد محقة.

فالمعنى عند قدامة يتسع ليشمل كل الاغراض الشعرية بما فيها التشبيه الذي يعتبر من مكونات الصورة الادبية. وكذلك النسب الذي يعتبر من الاغراض التعبيرية المفصحة عن مواقف عاطفية. أي أن المعنى ليس ضيقا بالشكل الذي يتصور معه تحول الشعر الى مجرد نظم. وقد أدخل قدامة كما هو معروف ستة أغراض شعرية ضمن المعنى واعتبر ان الستة المذكورة عنده بعضها مما اشتهر وعرف وليست ممثلة لكل ما يمكن أن يكون مجالا للشعر.

ولكي نؤكد هذا الفهم الجعفري للمعنى نستعين بنص لاسامة بن منقذ وهو ممن أخذوا تعريف قدامة بالحرف. يقول ابن منقذ في تحديد ما يقصد اليه الشعر ضمن دلالة اصطلاح معنى: "والعاني التي يقصدها الشعراء وهي المدح والنسيب والمراثي والوصاف"^(١).

فيتأكد بهذا دخول الوصاف في المعنى كما يتأكد أيضا أن ترديد التعريف الجعفري عند النقاد اللاحقين ليس من باب التكرار والاجترار وانما هو من باب تأكيد تعريف أقرب الى وفي الخصائص المهيمنة في نوع القصيد.

ان احتفاظ ابن خفاجة بالتعريف المذكور يمكن أن يفهم اذن على أنه اقرار بكون الخصائص المذكورة في التعريف هي الاساس في القصيد. وهذا الفهم انعكس على الممارسة الابداعية لابن خفاجة التي جاءت تطبيقا نسبيا له.

يضيف ابن خفاجة في ثنايا مقدمته بعض

الخصائص النوعية المكملة والمفسرة للتعريف الجعفري. وفي مقدمتها قوله ان "الشعر مأخذ وطريقة". فالأخذ والطريقة هما عنده أيضا الأسلوب والمسلك. ففي عباراته وصف لبعض الشعراء بتفرد شخصي في الكتابة. فهناك: "طريقة عبد المحسن الصوري" و"مسلك الموسوي الرضى" و"طريقة مهيار" و"أساليب أبي الطيب التي منها" لف الغزل بالحماسة".

كل هذه اذن اصطلاحات لمفهوم واحد هو فرادة الشاعر وتميزه الأسلوبى عن غيره من الشعراء المبدعين في نفس النوع.

هذه الفرادة بارزة أسلوبيا عند ابن خفاجة لكونها تصب في هدف واحد، هو تأثيرها البالغ في المتلقي. لدرجة جعلت ابن خفاجة يعجب بها منذ شبابه ويحاكيها. يقول عن تأثير ذلك الشعر في المتلقي رغم اختلاف "المأخذ والطريقة": "ولكل واحد مأخذ طريف، يأخذ بمجامع النفوس ويطرز حواشي الطروس، ويبسط بين الندامى والكؤوس. ويلعب بالأحلام ويرقص بالروؤس"^(١).

يفهمنا ابن خفاجة اذن أن الشعر لا يكفي فيه أن يكون موزونا مقفى دالا على معنى، بل يجب أن ينفذ تأثيره الى المتلقي، فبذلك يكتسب شرعية الشعر. ثم أنه أيضا لا يكفي فيه أن يحدث هذه النتيجة ليكون حسنا. فلا بد من أن يكون متميزا أسلوبيا حتى لا يصبح نمطا واحدا. أي أن الشاعر يجب أن تكون له فرادته ومنحناه الخاص في التعامل مع اللغة المحددة جوانبها في التعريف المذكور.

ان عناصر التعريف لا تعدو أن تكون المادة الخام التي يجب التصرف فيها تصرفا جادا متميزا ليكتسب الشاعر الفرادة ولفت الأنظار والاسماع.

وابن خفاجة يؤكد ذلك حين يصف اللفظ والقافية بأنهما "مادة" للشعر، في قوله ان ذهن الشاعر في آخر أيام عمره يتعب، و"المواد من الفاظ وقوافٍ ثقل" وكونه يخص اصطلاحا لفظ وقافية دون غيرهما. لا يدل على ان باقي العناصر غير ذات أهمية. فقد اقرها لها بادراجها في تعريف الشعر. فاللفظ والقافية في قولته الأخيرة يتسع مدلولهما على حد ما اتسع عند النقاد القدماء، ليشمل العملية الابداعية بكاملها. لان القافية قد تعني القصيدة. أما اللفظ فله ايقاعه ومعناه.

ثم نود أن نضيف الى مفهومه لهذه الأسلوبية في النوع المقصد، أن الأسلوب عنده لا توصف به الطريقة التي يسلكها شاعر ما فقط، بل حتى كل مسلك يتبع في القصيدة الواحدة دون غيرها.

يطبق ابن خفاجة هذا الفهم على مسلكه الابداعي الشخصي. فهو يقول عن شعره بعد أن عاود النظر فيه ونقحه، بأنه "لا يوجد واحدا لا من طريق صيغته ولا من جهة عدده". فالشعر لا يمكن أن يكون "واحدا" لان مسلكه الصيغى يختلف من قصيدة لاخرى. واذ عرفنا أن هذا الاختلاف يكون واضحا بين نفس القصيدة قبل تنقيحها وبعده، أدركنا الى أي حد يصل الاختلاف الأسلوبى المبني على تمايز "الصيغة".

ويرتبط مفهوم الشعر عند ابن خفاجة بقضايا أخرى منها نسبية الابداع في الشعر. فليس هناك ما يجعل الابداع كاملا وفي أقصى درجاته. اذ أن كل شعر - في نظره - ليس يخلو من عيوب تجر لنقده.

وحدد ابن خفاجة بواعث النقد في بواعث مبنية على تفحص علمي وأخرى تحركها دوافع شخصية قصدتها التحامل والتجريح. والشعر ان لم

يتعرض لأحدهما دون الآخر تعرض لهما معا مهما كانت قيمته سابقة في الزمن أو حداثته، مبنية على البديهة أو المراجعة والتنقيح؛ "وان جميع الكلام، من مرتجل بديهي، ومنقح حولي، متقدما كان سابقا، أو تاليا لاحقا، مستهدف لطعن طاعن"^(١٠).

ويندرج ضمن قوله هذا ايمانه بتوزيع الشعر الى بديهي مرتجل ومنقح. لكننا نلاحظ أنه لم يستعمل اصطلاح "مصنوع" في مقابل "بديهي" و "مطبوع" كما ورد عند نقاد آخرين. ونظن ان هذا الامر يعود للممارسة الشعرية من جهة، حيث قام في ختامها باعادة كتابة اغلب اشعاره، ومن جهة اخرى لكون اصطلاح "مصنوع" يشير الى الشعر الذي قد يظهر فيه التكلف وربما عدم الصدق الفني. في حين أن الشعر المنقح قد أصله بديهيا مرتجلا.

ان موقف المراجعة والتنقيح طرح عند ابن خفاجة قضية أخلاقية الشعر. حيث نجده يتشبهت. رغم تقدمه في السن. بأشعاره الاولى التي قالها أيام شبابه رغم ما يمكن أن توصف به من تهتك وخلاعة، من غير أن يحفل بما سماه "نقص اقوام في مساليلخ أنعام، يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا".

هذا الموقف دفعه لطرح قضية الاخلاقية فنيا ضمن خصوصية النمط الشعري من جهة، وقضية الصدق والكذب في الادب من جهة اخرى. فهو ينبه الذين "لا يعلمون" أن النمط الشعري متميز عن غيره من أنماط الخطاب بكونه المعبر المباشر عن تجارب الشاعر حتى الاكثر خصوصية منها. فهو النمط الوحيد الذي يستجاز "أن يقول القائل فيه" "أني فعلت" و "أني

صنعت" من غير أن يكون وراء ذلك حقيقة"^(١١). يجوز في الشعر اذن أن يتكلم الشاعر عن نفسه ذاكر اكل ما يريد قوله من الافعال التي يمارسها. ولا يطلب منه أن يكون وراء ما يقول حقيقة. وبتعبير ابن خفاجة: "ليس القصد فيه الصدق، ولا يعاب فيه الكذب".

وهذه القضية أثرت قبل ابن خفاجة. حيث ذهب قدامة الى أن الشاعر لا يجب أن يوصف بأنه صادق أو كاذب. وانما يطلب منه أن يكون مجيدا فيما يقوله من المعاني. في حين ذهب ابو هلال العسكري الى ان الشعر "أكثره بني على الكذب". واذا كان قدامة جعل الاجادة هي البديل عن قضية الصدق والكذب، فابن خفاجة جعل "التخييل" هو البديل عنها. لان الشعر عنده "القصد فيه التخييل" لا الصدق أو الكذب، مادام الكذب فيه غير معيب والصدق فيه غير مقصود.

وقد ذهب الدكتور احسان عباس الى ان التخييل عند ابن خفاجة "يساوي الكذب". لكن الدكتور احسان عباس فيما نرى وقع تحت تأثير تعريف عبد القاهر الجرجاني للتخييل الوارد عنده في "اسرار البلاغة" وفيه يقول: "الذي أريده بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشاعر امرأ هو غير ثابت أصلا، ويدعي دعوى لا طريق الى تحصيلها. ويقول قولا يخدع فيه نفسه ويربها ما لا ترى"^(١٢).

فاذا رجعنا لابن خفاجة، فسنجد أنه يتكلم على ثلاثة مفاهيم: التخييل والصدق والكذب مخرجا مفهومي الصدق والكذب من المقصدية الابداعية جاعلا التخييل محركا وهدفا لها. فالتخييل اذن غير الصدق والكذب. وقد ورد عند النقاد بمفاهيم مختلفة. فهو اذا دل عند عبد القاهر على الكذب،

وينتقل مطالعة عن قسم من الكلام الى قسم، ولعل ذلك ابسط للنفس وانشط، واذهب مع الانس واهذب^(١٣).

فابن خفاجة بهذا المذهب يخرج عما تقرر في النوع المقصد في الجاهلية والعصور الاسلامية الاولى الى هذا النوع من الكتابة الذي يتناوب فيه الشعر والنثر. وهو نوع نشأ ونما في الادب العربي عند عدد من الكتاب والشعراء على السواء.

وكان ابن خفاجة يرفق بعض رسائله بقصائد ويضمن رسائله مقطعات شعرية.

ومبدأ التداخل النوعي يكسر في فهم ابن خفاجة، مبدأ وحدة الشكل. كما يكسر عند المتلقي رقابة الاستقبال. حيث يولد التناوب بين الشعري والنثري لذة التنقل بين صيغ مختلفة الانماط. وهكذا يكتسب مفهوم الشعري في التصور النقدي لابن خفاجة، جوانب جد مركبة ومعقدة. منها ما يعود لتجربة الشعر عند المبدع في علاقته بالقول الابداعي، ومنها ما يعود لنمط القول الابداعي في مبناه وصيغته، ومنها ما يعود للمتلقي وتفاعله مع تلك التجربة.

دل عند ابن الزمكاني على الصدق حين يجعله "تصوير حقيقة الشيء" حتى كأنها ظاهرة للعيان. أي أنه مرادف للمحاكاة التطبيقية. وهو عند نقاد آخرين كـ يحيى بن حمزة العلوي وفخر الدين الرازي وشهاب الدين الحلبي والنويري مقترن بالتورية التي هي قصد المعنى غير الظاهر من اللفظ حين يكون له معنيان.

لا نستطيع أن ننسب لاصطلاح "تخييل" عند ابن خفاجة مفهوما محددًا لأنه لم يفصح عن ذلك. ولكننا قد نقر به من مفهوم الفلاسفة المسلمين للتخييل باعتباره واسطة بين الصورة (المحاكاة) والمتلقي.

هناك قضية أخيرة نضيفها لحديثنا عن مفهوم ابن خفاجة للشعر. ترجع الى كسره مبدأ النقاء في النوع الادبي. يقول ابن خفاجة عن تجربته في هذا الموضوع: "ان من قولنا ما كنا قد افتتحناه بمنثور، ورشحناه بفقر مزدوجة وشذور، وها نحن قد أوردناه كما كنا سردناه، ونقلناه بحسب ما قلناه، تعلقا بحر من النثر يساق خلال النظم،

الهوامش

١. احمد احمد بدوي ود. حامد عبد المجيد. شركة لديوان ابن خفاجة. منشأة المعارف. الاسكندرية ١٩٦٠.
٢. مقدمة ابن خفاجة لديوانه ص: (٦، ٨، ٦).
٣. مقدمة ابن خفاجة لديوانه ص: (١١، ١١، ١٨).
٤. اسرار البلاغة. عبد القاهر الجرجاني. تحقيق ريتار المسيرة بيروت ط ٢/ ١٩٨٢.
٥. مقدمة ابن خفاجة لديوانه ص ١٠.

١. من مقدمة المحقق الدكتور السيد مصطفى غازي لديوان ابن خفاجة. منشأة المعارف. الاسكندرية ١٩٦٠.
٢. مقدمة ابن خفاجة لديوانه ص: (٥، ٤، ٢، ٢).
٣. مقدمة ابن خفاجة لديوانه ص: (٦، ٨، ٦).
٤. البديع في نقد الشعر: اسامة بن منقذ تحقيق د.

مصطفى جواد خورياً

١٩٠٤م - ١٩٦٩م

أ. د. محمد البكاء

مصطفى جواد علمٌ من أعلام لغتنا الكريمة، أحاط بمسلكاتها الواسعة المترامية الأطراف، لأنها عنده: لغة جسيمة، عظيمة، قوية لأمة كريهة^(١). لغة قديمة النسب، جليئة الحسب ثرية الكلم، وافرة القواعد، دائمة الزيادة، مطردة الاشتقاق، موسيقية اللفظ، شعرية الحروف، غزيرة الأدب، كثيرة المادة^(٢). فغني بها طالباً ينشد عرفانها، بعد أن ملكت عليه حسه، حتى ذاع اسمه وانتشر في الجامعات العلمية واللغوية العربية، والمحافل الأدبية والفكرية لا لغوياً فحسب بل مؤرخاً ثباتاً، ومحققاً لا يرقى الشك إليه، فمنذ عشرينيات القرن الماضي بدأ رحلته العلمية باحثاً، ومعقلاً، محققاً ومنقباً ثم أخذ ينتج معنياً بموضوعات عديدة، أخصها اللغة، وأعمها التاريخ، تأليفاً في حين، وتحقيقاً ونشرأ في حين آخر، وزائراً يسامر العراقيين في بيوتهم من خلال وسائل الإعلام، بصوت جهوري حاد الشبرة، مناسب مع كل ما في اللفظة من رقة وفخامة، يقوم ما اعزج، ويصوب ما زلّ به اللسان لتظلي العربية: ((رائقة المشارب، نقية من الشوائب، سليمة من عبث المتهاونين، بريئة من غلط المترجمين، ناجية من عبث المستهزئين))^(٣).

والمعربة).^(٤)

فكانت حـصيلة هذه الدراسة (معجمه المستدرك) الذي أودعه التعابير الفصيحة، والمولدة التي لم تذكرها كتب اللغة، كذلك الكلمات التي فانت المعجمات المعروفة، وكثرة كاشرة من شواهد اللغة النثرية، والشعرية للإبانة عن أطوار استعمال الكلمة على اختلاف العصور. فهو الفذ في أمته، والنادرة في محيط لغتها.

* حياته: تربيته ونشأته:

ولد مصطفى جواد ببغداد، وكما قال: ومسقط رأسي في محلة ((عقد القشل)) بالجانب الشرقي من بغداد، وهي المحلة المأمونية أيام بسني العباس،

عرف مصطفى جواد على صعيد الخاصة والعامة موسوعة معارف، تسعفه ذاكرته الحادة الممتدة في كل ضرب من ضروب المعرفة، واشتهر بعنايته الفائقة بدقائق الأمور التاريخية. والنسيات من الأحداث يصحح ما تعارف عليه الناس من خطأ، بمنهج علمي موضوعي، الدقة والرصانة ميزته، والسمو فوق العواطف والأهواء غاية، كما عاش مع المعجمات زمناً غير قصير، درس قديمها وحديثها، وعلق عليهما، وعرفهما معرفة حققة، وشخص مواطن الضعف فيهما في: ((قلة التبويب، والتنسيق، والتقصير في تناول الألفاظ المولدة

١٩١٨م، وليتركها فيما بعد الى مدرسة باب الشيخ الابتدائية الرسمية، ثم يرحل من بغداد الى دلتاوة مرة أخرى، ويكمل دراسته الابتدائية في مدرستها ١٩٢٠م^(١٣).

لم يستفد من المدرسة الابتدائية فائدة كبيرة لأن أعلى صف فيها هو الصف (الرابع) الابتدائي، فعول على الاجتهاد الذاتي، واستفاد من رعاية اخيه الذي برع في العلوم العربية^(١٤).

وحين تسرب الملل الى نفسه من كثرة العمل في البساتين، وقلّة الفائدة، شجوه أحد أساتذته من الذين أعجبوا به في المدرسة الجعفرية، وحسن له دخول (دار المعلمين الابتدائية)، ولكنه تهيّب الأمر في بدايته، وأبدى تخوفاً وتلكؤاً، وما زال به استاذته حتى أقنعه، فجرى قبوله بامتحان ظهر تفوقه فيه، وصار في عداد طلاب الصف الأول سنة ١٩٢١م^(١٥).

وفي دار المعلمين الابتدائية التي أمضى فيها ثلاث سنوات (١٩٢١-١٩٢٤) تألفت لديه ذخيرة حببت اليه آداب اللغة العربية، وقوت عنده الرغبة في دراستها، وحببت اليه تتبع التاريخ الاسلامي، والتعمق في التاريخ العربي، وتاريخ العراق في العصور الاسلامية بصورة خاصة^(١٦). وبعد تخرجه في دار المعلمين الابتدائية (١٩٢٤) عين معلماً ابتدائياً في الناصرية، ثم البصرة، ومنها نقل الى الكاظمين في بغداد (١٩٢٨)، ثم نقل الى دلتاوة، ليعود بعدها الى بغداد (كاتب تحريرات) في وزارة المعارف، وتعرف خلال هذه المدة الأب أنستاس ماري الكرمل، فلازمه وكتب في مجلته (لغة العرب)^(١٧) واستفاد من مكتبته

وشارعها هو الشارع الأعظم لبغداد الشرقية يومئذ. بجوار الجامع المعروف حــتى اليوم بـ (جامع المصلوب)^(١٨).

أما تاريخ مولده، فلم يكن متاكداً منه على وجه القطع، فقد ذكر أنه في الربع الأول من القرن الرابع عشر للهجرة^(١٩). وفي حديث لتلفاز بغداد ذكر أن ميلاده هو من (سنة ١٩٠٧-١٩٠٨) ولكنه مسجل في الرسميات سنة ١٩١٠م^(٢٠).

وذكر ابن اخته حسين السمالك: أن خاله ولد في (٥) محرم سنة ١٩٠٥ م أي: (١٢) آذار من سنة ١٩٠٥^(٢١).

وذكر أحد أصدقائه: أن تاريخ ولادته حسب تحقيقاته هو سنة ١٩٠١^(٢٢). وهذا ما أوقع الكثير ممن كتب عن مصطفى جواد في الاختلاف والتباين في تحديد سنة ولادته، فضلاً عن يومها. ولكن الراجح عندي: أنه من مواليد سنة ١٩٠٤^(٢٣). وهذا ما ذهب اليه الأب الكرمل^(٢٤).

ومن بغداد (مسقط رأسه) انتقل مع أبيه الى دلتاوة (الخالص) ودخل كتاب (الملة صفية) ليتعلم الأبجدية العربية، وحفظ القرآن^(٢٥). ثم دخل المدرسة الابتدائية في (دلتاوة) واستمر بها حتى دخول الانجليز العراق شتاء عام ١٩١٧م متعقباً الجيش العثماني المنهزم نحو الشمال^(٢٦)، ثم لم يلبث أن توفي والده، فبقي في رعاية أخيه الكبير كاظم، ونشأ في بستان لأسرته، وأغرم بحياة الريف في (دلتاوة) حتى كاد يبقى فلاحاً ملازماً للأرض لولا الظروف التي هيأت له العودة الى بغداد والانصراف الى العلم^(٢٧). تلميذاً في المدرسة الجعفرية الأهلية عام

العامرة بساكتنب المخطوطة والمطبوعة النادرة، فضلاً عن أمهات الكتب والمراجع المعروفة، وظهر نتاجه في مجلة (العرفان) اللبنانية، وجريدة العراق، والعالم العربي، والنهضة البغدادية، وعالج النقد، ونظم شعراً سياسياً واجتماعياً^(١).

ظل مصطفى جواد طوال وجوده في بغداد، وقبل التحاقه بالبعثة العلمية (١٩٢٤م) من أشد الملازمين لمجلس الأب الكرمللي، واكثرهم انكباباً على مكتبته، وإفادة من خبرته، وعلمه وفضله، وملازمة مجلسه^(٢). فاشتهر أمره، وذاع اسمه، فرشحته وزارة المعارف في بعثة علمية (١٩٢٤) للتخصص بالآثار في أميركا، إلا أنه وجد الطريق طويلاً، والمعهد قصياً، فغير وجهة بعثته إلى فرنسا، وهناك تفتحت في وجهة آفاق جديدة من حيث الدراسة الواسعة العميقة، وتعرفه الميرزا محمد القزويني^(٣) الذي عرفه واتخذ من بيته، ومكتبته الكبيرة مجلساً يؤمه في جميع أوقات فراغه، فتركت آثارها واضحة في تكامل شخصيته، وعن طريقها اهتدى إلى جميع المظان للشهاد من النصوص، والمخطوطات اليتيمة النادرة^(٤).

في عام (١٩٢٩) أكمل رسالة الدكتوراه بالفرنسية وكان موضوعها: (سياسة الدولة العباسية في القرن السادس) بعدما أولع بالخليفة الناصر لدين الله مجدد شباب الدولة العباسية قبل انقراضها^(٥). وأعلنت الحرب العالمية الثانية فلم تنهياً له فرصة مناقشتها، ولا طبعتها، وعاد إلى بغداد قبل إعلان إيطاليا الحرب بأيام، فدعي إلى خدمة الاحتياط،

ثم عين استاذاً في دار المعلمين العالية (كلية التربية) ثم دعي لتعليم الملك الصغير (فيصل الثاني) اللغة العربية من القراءة الخلدونية، ولصعوبة الجمع بين التدريس في دار المعلمين العالية، وتعليم الملك الصغير، نقل إلى مديرية الآثار العامة. ثم أعيد للتدريس في دار المعلمين العالية، ثم ندب لتأسيس معهد الدراسات الإسلامية، وأنيطت به عمادته حتى عام (١٩٦٢) إذ أعيد إلى كلية التربية، ومرض بعد ذلك، فأعفى من التدريس، وأصبح استاذاً متفرغاً عام (١٩٦٧)^(٦).

حفلت حياة مصطفى جواد بعد عودته من فرنسا بالبحث والتحقيق العلمي، وبدأت تحقيقاته العلمية تحل من نفوس الباحثين والعلماء في الاقطار العربية والإسلامية محل الإعجاب، وما لبث أن عرفته هذه الاقطار علماً من أعلام القرن العشرين في اللغة والتاريخ الإسلامي.. لذا فإن الشهرة التي اكتسبها جاءت عن طريق البحث المتواصل، والتحقيق الذي بدأه بصورة بارزة قبل سفره إلى باريس ثم واصله بقوة ونشاط وسعة معرفة بعد عودته، ومعه خمسة آلاف مصورة من النصوص النادرة التي استنسخها من مخطوطات المكتبة الوطنية، ومكتبة القزويني بباريس، وعدد من الصور الشمسية للمخطوطات النادرة، فعمل على تحقيقها ونشرها، وكان أن نشر من قبل، تحقيقه لكتاب (الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة) المنسوب لكمال الدين بن الفوطي، وتحقيقه للجزء التاسع من: (الجامع المختصر في

وسرعة خاطره، وقبوة حافظته، وتسامحه إلا في غلط لغوي أو تاريخي، كما عرف بصراحته التي لم ترض نفراً ممن حوله، واليها أشار بقوله: ((لا أحب مصادقة صديق لا يحتمل النقد ولو في كتب خاصة بييني وبينه))^(١). وعلى الرغم من هذا فإن سورة الغضب لا تأخذ به في أخرج المواقف، وهو بعد هذا وقف حياته على الدرس والبحث، يولع بهما، ويجد فيهما لذة ومتاعاً لا يعد لهما متاع آخر، وقد عني بمواضيع عديدة، أخصها اللغة وأعمها التاريخ، تأليفاً في حين، وتحقيقاً ونشراً في حين آخر، ثم امتد نشاطه إلى الترجمة فعانها شعراً ونثراً، وأصيب بـ(القساب) في سنواته الأخيرة، وطال مرضه، فقال:

رشحتني الأقدار للموت لكن
أخرتني لكي يطول عذابــــي
ومحت لي الآلام كل ذنوبي
ثم أضحت مدينة لحسابــــي

وأدركته الوفاة ببغداد عشية الثامن من شوال سنة ١٣٨٩ هـ الموافق للسابع عشر من كانون الأول ١٩٦٩ م^(٢).

كان لوت الجواد أثر كبير، فحزن عليه أصدقاؤه وتلاميذه، ومن انتفع بعلمه خلال مسيرته العلمية الحافلة، ونعتته الجامعات العلمية واللغوية علامة جليلاً، ولغويًا كبيراً، ومؤرخاً ثباتاً، وأديباً فذاً، فخسارته كبيرة لا تعوض، والخطب جلل، ويم يعوض الفقد في أمته، والنادرة في محيط لغتها^(٣)، بعد أن ترك ثروة عظيمة من التأليف الثمينة، منها ما وضعه بنفسه، ومنها ما شارك فيها غيره، فضلاً عن

مئونات التاريخ وعيونه الساهرة في الساعات البغدادية^(٤).

كما نشر عدداً كبيراً من البحوث والدراسات في مجلة (المعلم الجديد) و(غرفة تجارة بغداد) و(المجمع العلمي العراقي) و(المجمع العلمي العربي) و(المستشرق) و(البيان) و(المعرفة) المصرية و(كلية الجامعة الأمريكية) ببيروت، و(مجلة الاقلام) و(العربي) الكويتية، و(الناهل) البغدادية، و(المجلة) الشيعية (السيدي) و(المستقبل) وغيرها كثير من الصحف والمجلات العراقية والعربية^(٥).

لم تتوقف حياة مصطفى جواد عند هذا، فقد أسهم في نشاط المجمع العلمي العراقي منذ تأسيسه وانتخابه عضواً فيه (كانون الثاني ١٩٤٩) وجدد انتخابه سنة ١٩٦٢ في دورته السابعة (حزيران ١٩٦٢) وأعيد اختياره عضواً جديداً بالمجمع الجديد (آب ١٩٦٢)، وأسهم في تحرير مجلة (المجمع العلمي العراقي) منذ تاريخ إنشائها (١٩٥٠ م) وشارك في أغلب لجانه، كما أسهم في تحرير مجلة (المجمع العلمي العربي) منذ سنة ١٩٤٢، واختير عضواً بالمجمع العلمي العربي بدمشق (تشرين الثاني ١٩٤٧)، وانتخب عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بآلة مباشرة، هذا فضلاً عن كثير من المحاضرات العلمية المهمة التي كان يسهم بها في المجمع العلمي العراقي، والأحاديث والمباحث في اللغة والتاريخ والندوات التي قدمتها إذاعة وتلفاز العراق^(٦).

عرف مصطفى جواد بتواضعه الذي هو من أبين صفات العلماء، وبخلق نادر بين الرجال، وبشخصية قوية جذابة، لحنو حديثه وظرفه،

مجموعة من الكتب المخطوطة، ومئات المقالات، والدراسات المنشورة في عشرات المجلات والجرائد العراقية، والعربية، والتي ما زالت تنتظر هممة الباحثين لنشرها، والعناية بها وفاء لصاحبها، وتحقيقاً لفائدتها العلمية واللغوية والأدبية^(١٢). وإذا كان لبعض ذوي العلم من متابعة لتراث مصطفى جواد في حياته، وبعد مماته، فإن هذه المتابعة على الرغم من قلتها اهتمت بترائه اللغوي والتأريخي، وإن لم تستطع الوقوف على كل ما خلفه مبعوثاً في الصحف والمجلات بدءاً بسنة ١٩٢٤م، حتى مماته ١٩٦٩م. ناهيك عن ترائه النحوي، فقد ضم كتابه: (المباحث اللغوية في العراق) إشارات يسيرة إلى بعض آرائه النحوية، فكيف بجمع هذا التراث العلمي على طول حقبة زمنية أمدها خمس وأربعون سنة استنفدها مصطفى جواد بدقائنها، وساعاتها، ولياليها ديدباً قواماً على حرم العربية، حارساً لا يكحل عينيه الكرى إلا لماماً. لذا عقلت العزم في هذا البحث على دراسة جهود مصطفى جواد النحوية، بعد أن تسنى لنا جمع المادة النحوية التي انتشرت في ثنايا كتبه القليلة، ومقالاته، ومحاضراته العديدة، ودراساتها مقارنة إياها بمدرستي الكوفة والبصرة، بعد أن رأيت تقضيته لآراء الكوفيين على البصريين في جانب منها، موضحاً آراءه الاجتهادية التي أشار إليها، بقوله: ((فأنا حسب علمي لي آراء وجولات فكرية في النحو واللغة، واجتهادات لا يصح التفاضل عنها))^(١٣). غير ملتفت إلى من يعارضه من الأقدمين، وخاصة من أرسى أسس الدراسة النحوية

لأنه ليس ((جامداً ولا مقلداً)) كما يرى، قال: ((ونحن إذا رأينا الكلام واهيناً لا يمنعنا من رده أن هائله سيبويه أو ابن جني فالميدان ميدان احتجاج واستدلال وبرهنة))^(١٤).

مشكلة النحو العربي:

يرى مصطفى جواد أن النحو العربي من المشكلات التي تعيشها العربية، بل إنه أكبر مشكلاتها، فمشكلة عويص جداً، وهي مبعث الشكوى، وسبب البلوى، فالجمود، وعدم التطور، وانقطاع الابداع، والغموض والابهام من صفات النحو العربي إلا ما شذ ونذر^(١٥). وسبب ذلك يعود كما يرى، إلى: ((أن النحو متعدد المذاهب، مختلف الوجوه، كثير الاصطلاحات، متنوع الأبواب، ومع تقادم الزمان على استقراره وبعد العهد بوضع قوانينه، ندر تناوله بالاصلاح والتهديب، وقل عرضه على الفهوم الثاقبة، والعقول الناقدة، واشتمل عليه حب القديم، وتقديس العتيق، فرهنت مشكلته، ودام جموده، وخمدت حياته، وركدت روحه، ولولا وجود الخلاف فيه بين البصريين والكوفيين، ونبوغ فلان وفلان، واخذهما بهذا وذاك من مذاهب النحو، وتأليف عدة كتب في هذا الباب لأصبح النحو معضل الداء، لا يرجى صلاحه، ولا يسع الفكر أن يبسدي فيه، ولا أن يعيد))^(١٦).

إن الجمود، وانقطاع الابداع في نحو اللغة العربية كان سبباً في تعقيده، وتفرع مشكلاته، وقد عني بالجمود: اتباع قدماء النحويين في سرد

الجاهلي الصحيح صحة نسبية الخالي من الضرائر كائنًا ما كان نوعها، ومقاس الضرائر الأظهر هو مباينتها للنثر العربي على اختلاف ألوانه، ثم انتقاء الشواهد من شعر ما بعد الجاهلية^(١). لأن العبارات المولدة التي تدل على المعنى دلالة عقلية وتحتوي على صبغة عربية هي معقولة دائماً وأبداً، فمن حفظ القواعد العامة لتركيب الجمل، وتدارس الكتب الأدبية العربية أمكنه أن يكون فصيحاً^(٢).

٢. أما اللغة العربية ففذلك القول في وسائل النهوض بها، وتيسير قواعدها، وكتابتها، كما يرى، هو: توسيع الاشتقاق فيها، والاتساع في النقل على سبيل المجاز، والأخذ بالتعريب عند الضرورة، وذلك لتفي بحاجتنا في المصطلحات العلمية والفنية وغيرها^(٣).

٣. تقويم الجهود التي يبذلها بعض المؤلفين في النحو، وخاصة المعاصرين، فرأى أنهم لم يأتوا بشيء جديد حق الجدة في تسهيل هذا العلم الذي هو ميزان الكلام، والذين ادعوا الإيضاح والتسهيل لم يقيموا الحجة لما ادعوا^(٤).

منهجه النحوي:

لم يكتب مصطفى جواد كتاباً في النحو، ولم يصدر معجماً لغوياً^(٥)، كما أصدر اللغويون أو على خلاف ما أصدروا، ومع ذلك عد نحوي العراق، واستاذاً مبرزاً في اللغة من أغناهم نتائجاً وتحقيقاً، وأكثرهم صبراً وأناة في متابعة الحقائق^(٦).

انتشرت مناقشاته وبحوثه النحوية في مجلات علمية عراقية وعربية^(٧). وشارك بقسم منها في

القواعد النحوية من غير عرضها على كلام العرب، وشعرهم الخالي من الضرورة، والتزام أقوالهم كأنها مما يحرم الاجتهاد فيه ولا يجوز التعليق عليه، أو إضافة قاعدة إليه^(٨). أما انقطاع الابداع فيعود إلى عدم نسخ قاعدة أو الاستبدال بها، أو عدم إدماجها في قاعدة أخرى^(٩).

وكما عاب على النحويين جمودهم، عاب عليهم عدم استفادتهم من نحو الكوفيين أيضاً، لأن فيه آراء كثيرة تفضل آراء البصريين وينبغي للغة العصر الانتفاع بها^(١٠).

ولم يكتب مصطفى جواد بتشخيص الداء والمشكلات التي عانتها اللغة العربية، وخاصة كبرى مشكلاتها (النحو) بل أسهم إلى حد ما بالعمل على تقديم مقترحات للنهوض باللغة العربية، ورفع مستواها، وأخرى لتيسير القواعد على طالبها، فضلاً عن دراسات أخرى لبعض المسائل والمباحث النحوية التي عالجها، والتي أسفرت بمجملها عن منهج عام يؤدي إلى إصلاح النحو، يتمثل في ما يأتي:

١. تقليل القواعد النحوية، إذ يجب اختصارها، أو إدماج موادها الواحدة في الأخرى^(١١). كما أن كثيراً منها يجب إصلاحه، أو الاستبدال به، لأنها غير كاملة وتحتاج إلى استقرارات جديدة، واستنباطات عديدة، واستنتاجات مفيدة لنتاجها، من علماء العربية^(١٢).

٢. انتقاء الشواهد من القرآن الكريم أولاً، ثم من الحديث المروي لفظاً ثانياً، ثم من نثر العرب الوارد في الأمثال والأيام، والمقامات، ثم من الشعر

دورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وبغداد^(١٠).
وتضمنت بعضها كتبه المطبوعة والمخطوطة^(١١).
وحال كهذا يتعب الباحث في تبين منهج مصطفى جواد، ومذهبه النحوي، على الرغم من علو كعبه بين النحاة المعاصرين، وموقفه من القدامي منهم والمتأخرين، ورأيه في مناهجهم، وما ذهبت إليه كتبهم.

إن جمع ما كتبه مصطفى جواد من مقالات نحوية، ودراساتها فضلاً عن آرائه النحوية التي بثها في كتبه، يبين لنا موقفه من أسس (المنهج النحوي) في السماع والقياس، والتأويل، والاحتجاج بالشواهد الشعرية، والنثرية، ويدلنا على أن المسائل التي عالجها يمكن أن تندرج تحت قسمين:

* أولهما: مسائل عامة كانت مشار خلافاً بين نحاة البصرة والكوفة، أو إجماع عند أغلب النحاة، فمن المسائل العامة، قوله: ((فليس المصدر أصلاً للفعل))^(١٢). وقوله الآخر: ((لا نشك في أن القول بمذهب البصريين في كون المصدر أصل المشتقات ضرب من العبث، والجدل في أشباهه نوع من المراء المضرب بالعربية في حالها ومستقبلها كما كان مضراً بماضيها))^(١٣). إذ كيف يكون المصدر أصل المشتقات وهو من التجريد؟ وهو اسم للفعل، فكيف يكون الاسم سابقاً في الوجود لسماه؟ ويعمل في الأعراب عمل فعله، ولو كان بالعكس لعمل الفعل كعمله وصار تابعاً له. ثم إن البصريين يعترفون باشتقاقه من الفعل غير الثلاثي فلم يبق لهم إلا الثلاثي. وذلك مستحيل أن يكون الثلاثي أصلاً للاشتقاق^(١٤). ومن المسائل العامة أيضاً (التعدي وال لزوم) قال:

(إن التعدي في الأفعال أي وقوعها من فاعلها على غيره هو الأصل. وال لزوم حال عارضة لها)^(١٥).

و(هذا تعدي الأفعال ولزومها لم يقل أحد منهم أن الأصل في الأفعال التعدي، لأن الحياة على اختلاف أنواعها، وتباين طرائقها تعتمد على التعدي، لأن الحياة على اختلاف أنواعها، وتباين طرائقها تعتمد على التعدي، وأن اللزوم عارض طارئ)^(١٦). وعلى هذا تكون الأفعال التي يكثف فيها اللزوم (كفرح يفرح) والتي يغلب عليها اللزوم (سهل يسهل) حديثة الوجود بالنسبة إلى غيرها من ضروب الفعل الثلاثي المجرد^(١٧). وكذلك (فعل يفعل) المضعف، مثل: (خف يخفض، وحل يحل، وشف يشف، وعشرات غيرها)^(١٨). أما المضرب الذي خالف هذين الوزنين من الأفعال اللارمة مثل (دخل، خرج، نام) فهو من باب العلاج الذاتي بحيث يكون محدوداً^(١٩). فاللزوم صناعي كحركات الإنسان الذاتية، مثل: (جلس، نام، فهد)^(٢٠).

ولذلك ابتدعت العربية (فعل يفعل) للزوم لأن أفعال الغرائز وأشباهها تحتاج إلى اللزوم، فهذا الوزن يحدث بالنسبة إلى الأوزان الأخرى، ما عدا (فعل يفعل) فإنه أحدث من الثلاثة الأخرى لأنه جعل للصفات الطارئة الظاهرة، والألوان والعيوب، وورود أفعال متعدي على وزنه، مثل: (خطف، حفظ، سمع) لا ينفي حدادته لأنها قليلة، ولها تأويل، ألا ترى (سفه) (يسفه) (سفاهة) فهو لازم في الأصل ثم نقل إلى التعدي بالتساهل والاستعمال الذي يطور الأفعال، ومثله قولهم: (ضقت به ذرعاً) و(طبت به

نفساً) والمعنى: ضاق ذرعي به، وطابت نفسي به. وأياً كان تقدير التطور في هذه الجمل وأمثالها فإنها تمثل لنا كيفية واحدة من كيفية تحول الفعل اللازم إلى فعل متعدٍ تعدياً لفظياً لا حقيقياً، ويهمننا منه الإعراب لأن صحة الكلام قائمة عليه، وهـ ستندد عليه، فالفرق عظيم في الإعراب بين قولهم: (سفهت نفس زيد)، وقولهم: (سفه زيد نفسه) فالنفس في الأولى مرفوعة، وفي الثانية منصوبة^(١٠).

ومن المسائل العامة أيضاً (أسماء الأفعال). قال: (وهذه أسماء الأفعال المرتجلة ما هي إلا أفعال قديمة جامدة، ومنها ما هو في دور التطور من الجمود إلى التصرف الابتدائي، مثل: ((هلم يا رجل)) أي: تعال، يستوي فيه الواحد، والجمع، والمؤنث في لغة أهل الحجاز، كقوله تعالى: ((والقائلين لإخوانهم هلم إلينا))^(١١). وأهل نجد كانوا يصرفونه، فيقولون للثنتين: (هلم) وللجمع (هلموا) وللواحدة (هلي) وللنساء (هلمن) فلماذا لا تضاف أسماء الأفعال المرتجلة إلى الأفعال الجامدة؟ وهذه أسماء الأفعال المنقولة ما هي في الحقيقة إلا جمل ذوات أفعال محذوفة لكثرة الاستعمال^(١٢). وهذه الجمل المنطوق بها إنما هي بقاياها، فالأصل في (عليك حقك) (أمسك عليك حقك) كقوله تعالى: ((واذ تقول للذي أنعم الله عليه، وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله))^(١٣). فحذفت العرب الفعل في مثل هذه الآية تخفيفاً، فقالت: (عليك نفسك) أي: احفظها، والمحذوفات في اللغة العربية كثيرة جداً، والحذف مع

تمام الدلالة من عناصر البلاغة^(١٤). ومن المعلوم أن العرب حذفت الأفعال في الإغراء والتحذير، والخصوص المعروف بالاختصاص، ومن الحذف قولهم: (خير مقدم) أي: قدمت خير مقدم، و(هنيئاً لك) أي: ثبتت هنيئاً لك، فالحذف ليس مستغرباً في اللغة، وهكذا يسد باب من أبواب النحو بفضل القرآن الكريم، وهو (باب أسماء الأفعال)^(١٥). ومن المسائل العامة الأخرى التي تطرق إليها مصطفى جواد (أسماء المفعولات) إذ يرى: أن (المفعول المطلق) هو المفعول الحقيقي، أما المفعولات الأخرى (به، فيه، لأجله، معه) فليست مفعولات حقيقية، لأن الفعل وقع بها، أو فيها، أو لأجلها، أو معها، فهي إذن مفعولات لفظية، ولذا احتاجت إلى انقياد اللفظي. أما اسمائها الحقيقية، فهي: (المفعول به فعل) و(المفعول فيه فعل) و(المفعول من أجله فعل) و(المفعول معه فعل) ولما استطالوا القيد الكرر حذفوه، فصارت المفعولات إلى ما هي عليه من النقصان في التسمية، وأدى النقصان إلى الاستبهام والغرابة.

ويرى: أن (المفعول لأجله) منصوب بحذف لام الجر، لأن الأصل في قولنا: (سعيت كسباً للمال) (سعيت لكسب المال)^(١٦).

أما (حروف الجر) فهي مفاصل العربية بها تتحرك، وتتصرف، وكما يجب أن يطبق المفضل موضعه يجب أن يطبق الحرف موقعه، فالتطابق شرط في سلامة الأعضاء، وصحة الحركات. لذا فإن القول بنباية حروف الجر بعضها عن بعض قول مطلق يقتضي ويفيد الشمول، ويعرضه على واقع

اللغة من مسموع ومقيس يضيق ويتضاءل حتى
الاضمحلال، وأظهر ما يقال عنده في هذا:

إن أحرف الجر الخاصة بالخرفية المكانية قد
ناب بعضها عن بعض في شيء من كلام العرب،
وشعرهم، كنيابة (الباء) عن (في) أو نيابة هذه عن
تلك إذا استعملتا في التعابير المكانية، ومع ذلك لا
تصح النيابة إذا خيف الالتباس. وعلى هذا عد
مصطفى جواد جملة من الاسـتـعمالات التي
استعملت فيها حروف الجر في غير معانيها
الموضوعة لها (اسـتـعمالات خاطئة) لأن عامة
الأفعال عنده تستصحب حرف جر واحد، وقليلاً
منها تستصحب اثنين على المعنى المراد، ما عدا
الحروف العامة التي لا تزيد على حرفين، هما:
(على) و(اللام). أما التضمين فليس له وجه
مقبول في هذا الباب^(١٣).

إن المباحث التي أشرنا إليها، هي في تقديرنا
مباحث اجتهدية تفرد مصطفى جواد فيها
بالرأي، باستثناء مباحث (الفعل والمصدر) فعلى
الرغم من أنه خالف في رأيه أغلب النحاة، وعارض
البصريين في قولهم: أن الفعل صادر من المصدر،
فإنه تجاوز علماء الكوفة في الاهتداء إلى أدلة بلغت
ثلاثة عشر دليلاً لإثبات: أن الفعل أصل الاشتقاق،
في حين كانت أدلة الكوفيين نزرمة معروفة لم تزد
عن أكثر من أربعة أو خمسة أدلة كما يرى^(١٤).

أما القسم الثاني من المسائل التي عالجه،
فهو جملة استدراقات، وتعقيبات، وتعليقات،
وتخطئة لبعض أساليب الكتاب القدامى،
والعاصرين من خلال قراءاته المتنوعة في أمهات

الكتب، والمراجع، ومتابعته لما يصدر من نتاج في
النحو، واللغة، والتاريخ، والأدب، من ذلك قوله
معقبا على ابن جني، قال:

((وكان ابن جني عالماً فاضلاً، بارعاً، لا ينكر ذلك
ذو فضل، إلا أنه كان ذا فلتات في أقواله، وجريئاً في
آرائه، مثال ذلك ما ورد في الخصائص^(١٥) عند كلامه
على تقدم ضمير على صاحبه لفظاً ومعنى، قال
ابن جني:

قالوا في قول النابغة:

جزى ربه عني عدي بن حاتم

جزاء الكلاب العاويات وقـد فعل
إن الهاء عائدة على مذكور متقدم، كل ذلك لنـلا
يتقدم ضمير المفعول عليه مضافاً (إلى فاعل) فيكون
مقدماً عليه لفظاً ومعنى.

أما أنا فأجيز أن تكون الهاء في قوله (جزى ربه
عني عدي بن حاتم) عائدة على (عدي) خلافاً على
الجماعة^(١٦).

وقوله عن السيوطي: إن جلال الدين السيوطي
مؤلف البهجة المرضية في شرح الألفية، لما ضرب مثلاً
من أمثال (باب التنازع) قال: (ومثاله على أعمال
الثاني: قاما وقعد أخواك، رأيتهما وأكرمت أبويك.
ضرباني وضرب الزيد^(١٧)). ولذلك ظهر لي أن
السيوطي نقل وما عقل، لأن العلماء أجازوا التنازع،
منعوا عند أعمال الثاني أن يذكر للأول ضمير نصب
غير عمدة.

أي: أو جبوا حذف الضمير إن كان (فضلة) كضمير
المفعول به المنصوب بغير أفعال القلوب والتحويل.
فالسيوطي مخطئ في قوله: (رأيتهما) و(ضرباني)
وذلك لوضعه الهاء في الفعل الأول وابقائه الياء في

متلبث، ولا متمكث لأوفر على نفسي راحتها، ولا
ستجم قلبي بشيء من القناعة، والعزوف عن البحث
والتحري اللذين لم يجبا علي، ولا وكلا الي، فلم أحل
من ذلك التمني بسطائل، ولا أعفيت المجلة من
التعاليق والاستدراك .. فاقول بعد التمثل بقول
الراجز: (لا بد مما ليس منه بد) ^(٣٠).

ومن خلال ذلك نستطيع أن نحدد الغاية،
والدوافع التي كانت وراء الكثير من كتابات مصطفى
جواد النحوية، وأرائه فيها، قال: (فأنا حسب علمي
لي آراء وجولات فكرية في النحو والصرف واللغة
واجتهادات، فلا يصح التغاضي عنها) ^(٣١).

إن هذه الأمثلة التي ذكرناها بقدر ما تساعد
على دراسة (المنهج النحوي) عند مصطفى جواد
توضح من جانب آخر مدى العناية في تحديد منهج
نحوي واضح له، ورسم أسسه من خلال الآراء التي
بثها في كتب، ومجلات متفرقة، لا يجمع بينها إلا
تعلقها بعلم (النحو).

وعليه فإن منهجه النحوي الذي نحاول تحديده
يعتمد من حيث الأساس على موقفه من
أسس (المنهج النحوي) في السماع والقياس، وما
يتصل بهما من تعليل وتأويل، وشواهد شعرية،
ونثرية، وموقفه من النحاة القدامى، والمعاصرين،
ورأيه في تطور اللغة، وما آل اليه واقع النحو
العصري.

(١) السماع:

هو الطريق الطبيعي لمعرفة كنه اللغة، وتبين
خصائصها، وأساس معرفتها، لذا أخذ به مصطفى
جواد، وتوسع فيه على مذاهب أهل الكوفة، لأن

الفعل الثاني، وهما فضلة يجب حذفهما عند إهمال
العامل الأول ^(٣٢).

ولم يقف مصطفى جواد عند نقد بعض كتب
الأقدمين، والاستدراك عليها، وملاحقتها بالتعقيب
والتخلئة في بعض مسائلها، وإنما تصدى للأوهام
الشانعة أيضاً، التي أراد بها: (الغلطات العظيمة
الذائعة) ^(٣٣) لينبه على الغلط، ويذكر الصواب، ويشير
إلى الفصيح (لا أن ينعي على ناس معينين أو هامهم،
ولكنه يعيب على المصيرين على الخطأ خطاهم،
فاللغة ليست ميراثاً لهم وحدهم يعملون بسها ما
يشاءون من عبث وغيث) ^(٣٤).

ومن الأوهام الشائعة التي ذكرها، قوله: قول
العقاد في (البلاغ الاسبوعي) ^(٣٥): فيصدق تصديق
البهاء، جمع (أبله) على (بلهاء).
والصواب: (بله) على وزن (خضر)، جمع أخضر
وخضراء ^(٣٦).

وقوله الآخر (جاء في ص ١٥ من مج ١٨ من مجلة
المجمع العلمي العربي):

(ولنا ما يكفل إعادة النظر) ^(٣٧). ويكفل من
الكفالة يتعدى بـ (الباء) لا بنفسه، وفي أساس
البلاغة: (وهو كفيل بنفسه، وبماله، وكفل عنه
لغيره بالمال، وتكفل به) ^(٣٨). والصواب ما يكفل
بإعادة النظر، أما للإنسان فيقال: يكفله) ^(٣٩).

وغير هذا كثير أورده في مجلة (المجمع العلمي
العربي) بدمشق منذ تاريخ بدئه الكتابة
فيها (المجلد ١٨ لسنة ١٩٤٢م) إذ قصد إلى التحقيق،
ورغب في التنبيه والتوجيه، قال: (ولطالما تمنيت أن
أقرأ ما ينشر في هذه المجلة الكريمة الوسيمة غير

اختيار المذهب البصري، كما يرى، كان من أسباب استصعاب الدراسة النحوية، والدراسة النحوية، ومن البواعث على النفور من اللغة العربية، وذلك لتشدد هذا المذهب، وميله إلى التشكيك، وكثرة التأويل، والتعليل^(٨١).

ولما كانت مدرسة الكوفة قد كانت منحصرة في السماع القليل، وكان أساسها في فهمهم الاتباعية، في الرواية، والنصوص العربية، تراعى الرواية أكثر من اعتمادهم على الأقيسة النحوية المنطقية، فكانت البصرة أهملت القليل مما سمعوا من علماء البصرة، والتأويل، وكانت نزعتهم في بحوثهم وآرائهم من جهة فيها كثير من الميول الفلسفية، والعقائدية المنطقية، وكان منهجهم خاضعاً لهذه الطريقة^(٨٢). وهذا ما جعله مصطفى جواد عيباً في هذا المذهب، وسبباً من أسباب استصعاب الدراسة النحوية والصرفية، لأن الصواب، كما يرى: (كلام العربي، لا كلام الكتب)^(٨٣) فلم يلجأ إلى التأويل في أغلب مناهج مدرسة النحوية، والصرفية، وعده منقصة لأن الناس يترددون في التركيب، ولأن منطق تركيب الكلام مستند إليه، ومعتمد عليه^(٨٤).

إن موقف مصطفى جواد من السماع يقودنا لتبيان موقفه من قضية أساسية تتصل بالسماع اتصالاً وثيقاً، هي الاستشهاد ونعني به الاستشهاد بكتاب الله العزيز، والحديث الشريف، والنثر والشعر.

★ القرآن الكريم:

اهتم مصطفى جواد بكتاب الله العزيز خير

حافظ لغة العربية، على الرغم مما تعرضت له من ضعف، كما يقول النحويون، (والعربية لغة جسيمة، عظيمة، قوية، لامة كريمة عظيمة، وقد حافظت على قوامها، ونظامها، وكلامها، بقرآنها العزيز، وبالحديث الشريف، والنثر العظيم الذي انصهرت

في القرآن الكريم، وهذا العصر)^(٨٥). ومن جهة أخرى، (ولولا هذا القرآن العزيز، وهذا القرآن العظيم، وهذا الأدب اللفظي الضخم، لطوحست بها النواحي، وفامت عليها النواحي، وصارت كالثغرات التي لا تملأ، ولا تنطق بها إلا عند الضرورة، ولا تظهر إلا في مواضع محدودة، ولا ينطق بها إلا بعد مرانة، وتكلف، وعناء)^(٨٦).

لذلك فقد أشرنا إليها، فسادت مصطفى جواد في المذهب البصري، (إن القرآن الكريم، هو أعلى نثر عربي، وأفضل منه، وأنصحه، واستخراج الشواهد منه، من أهم ما ينبغي أن يفعله الباحث، ولطالما رأينا تجاهلاً من جماعة من النحويين عن أخذ الشواهد منه، بسله جماعة من النحويين المتعصبين البسطاء الذين يرون أن كل شيء في القرآن، وأفضل الجمل بدعواهم أن في القرآن غلطا نحويًا يستدلون على اثباته بالشعر البصري)^(٨٧).

لذلك استشهد بالآيات القرآنية الكريمة كثيراً في أغلب بحوثه النحوية، ودافع عن جملة من آرائه بآيات بيِّنات من كتاب الله العزيز، واستدرك على بعض النحاة بآيات أخرى ليطلان ما ذهبوا إليه، مثال ذلك، قوله: ومن يكون ابن جني بإزاء قراءة

التسوية: التسوية؟ وية قصد بذلك قوله، والذي
مستعمله: ثملة الحزن والصواب أيمسة، إذ لا تجتمع في
شعرتان في فاء الكلمة، أو عينها، أو لامها^(١).

ولم يكتف مصطفى جواد بالقول بضرورة
الدراسة بل بالقرآن الكريم، والقياس عليه، في باب
الاعتناء بالعلم، بل تعدى في ذلك إلى المعجمات اللغوية.
فإنها من أهم فائدة التعمق في اللغة العربية لاستعمال الكلام
بمعناها الحقيقية، والتفصيل. وأما ما ذكره من
أنه نادى بضرورة (دراسة القرآن الكريم دراسة
لغوية، ودراسة نحوية عروفاً على بسند، ففي ذلك
مغش للمعربية من كبوتها، وتقوية، وتوسيع) ^{١١١}
والحمد لله الشريفة.

ثم يستشهد به بعض ملقى جواز بيان حديث الشريفة
التي فيها مسألة ما تعرض له من أراء تعويذة، والفقهاء
الذين ينادون لا يمنع من استخلاص من مؤلفه ذلك
والذي ليس عليه، ففي جواز تأنيث (عضو) استشهد
بـ (الرسول)؛ نقلاً لها شلوقة من (جوهرة)
و (العضو) على (شلو)، فكما يصح (شلوقة) من
(شلو) كما جاء في الحديث الشريف، منح (عضوة)
من (عضو) أيضاً، والمعروف عند العرب: (الشوا)
بمعنى (العضو) وهو مذكر لفظاً^(١).

كما تابع مصطفى جواد مسألة الاحتجاج
بالحديث الشريف، وأدرك خلافا العلماء في مسألة
الاحتجاج به، فقد (ذهب أكثر العلماء الى عدم جواز
الاحتجاج بالحديث الشريف، ورأى بعضهم
الاحتجاج به مطلقا)^(١٣١). فذهب (رحمه الله) الى
تقيد الحديث بالصحيح، قال: (المروي باللفظ)^(١٣٢).

والشواهد الشعرية والنثرية:

التي هي من جملة ما عظمى في جميع مباحثه
الاجوبية والمغربية، واثباته شعرياً، ونثرية من كلام
المرتب المضاعف، وأكثر منهما، فكان يسوق غالباً.
أكثر من شاهد شعري، ونثري لبيان صحة ما يذهب
إليه في المسألة الواحدة. سواء كانت رأياً، أم نقداً أم
تعليلاً، أو إثباتاً، وغالباً ما كان يجمع بين شواهد الشعر،
والنثر. ومن ثمة كانت تلك الواحد النثرية أقوى عنده من
النشواهد الشعرية كما قال: (... فهذه الشواهد
النثرية التي حضرتها، وأما الشواهد النثرية وهي
أقوى عندنا من الشعرية أبداً...) "كما أن الشعر -
كما يرى- لا يصح أن يتخذ دليلاً على صحة التعبير
بإدغام معانيه الشعرية" كما قال: (إن وزن الشعر
واحدة جانب الشعر، فالتعبير النظمي، وبشرته تضطر
الأساعر إلى التوسيع لها، فاضعف دليل عندي وأرد في
الشعر: مخالفاً لما ذكره الزبيدي) ".

وعلى هذا فإن من لم يقرأ القرآن، يرى: أن انتقاء
المؤلف في النسخ يجب أن يعتمد بعد القرآن الكريم
أولاً، والحدوث النسبي للمروي لاحقاً ثانياً، على نشر
الحرب انوار في الأمثال، والأيام، والمقامات ثم من
الشعر الجاهلي المصحح صحة نسبته، الخالي من
الضرائر كأننا ما كان نوعها. وعقبات سياس الضرائر
الأظهر، هو مبيأينتها للنثر العربي على اختلاف
ألوانه، ثم انتقاء الشعراء من شعر ما بعد
الجاهلية^(١).

(٢) القياس:

فضل مصطفى جواد المدرسة الكوفية على
المدرسة البصرية في النحو والصرف كما اشرنا،

فلا بد أن يكون منهجه في القياس صورة لمنهجهم فيه، وكما هو معروف فإن منهج الكوفيين يقوم على الاعتداد بكل ما روي عن العرب مهما قلت شواهد ثم القياس عليه، لأن: (منهجهم أقرب إلى الدراسة اللغوية منه إلى الأخذ بأسباب المنطق)^(١٨). ولدى متابعة مباحث مصطفى جواد النحوية نلاحظ مدى تمسكه بمنهج الكوفيين ورأيهم في القياس، فهو إذ ينعت نحو البصرة بالجمود، ومنافاة طبيعة اللغة، يرى في نحو الكوفيين الكثير من الآراء التي تفضل آراء البصريين^(١٩). مع أنه لم يلزم نفسه بجميع أقوالهم، ولا التصديق بكل أدلتهم، إذ ينبغي الاقتصار عنده على ما هو في مصلحة اللغة الكريمة^(٢٠). يتبع ما يهديه إليه عقله، وما يطمئن إلى وجه الصواب فيه.

ومن أمثلة اجرائه القياس وتسامحه فيه، قوله: (وقال واحد في مقدمة كتابه: ((مستشهدا بهذه المختارات في مواطنها)) والقصيح الشهير أن يعدي مستشهدا بنفسه، فيقال: (مستشهدا هذه المختارات) واسم الفاعل كفعله إذا عمل^(٢١). واستشهد لذلك بقول صفي الدين الحلي^(٢٢):

(واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا)^(٢٣). وخلاصة ما توصلنا إليه في بحثنا هذا:

١. أن مصطفى جواد اضاع كثيرا من جهده، وآرائه حين ترك معالجة نحو العربية كاملا، إذ اكتفى بإيراد جملة ملاحظات، واقتراحات تضمنتها بحوثه ومحاضراته، وأشهرها في تصويباته، وانتقاداته التي كتبها، وهدم بعضها منها

تحت عنوان: (فوائد لغوية).

٢. لم يلزم مصطفى جواد نفسه برأي معين. وإن اعتمد كثيرا على رأي الكوفيين. بل شحذ قدرته في استنباط الأحكام النحوية، والاجتهاد فيها.

٣. عاب على البصريين تشددهم وعيلهم إلى التأويل والتعليل، ولم يسلم هو من هذا العيب، وخاصة في مبحث (حروف الجر) ومسألة نيابة حروف الجر بعضها عن بعض، خاصة وأنه أجاز في مبحث التعدي واللزم^(٢٤) انفتاح باب نزع الخافض والتضمين، وعد الأخذ بهما ضربا من التيسير لقواعد اللغة العربية، وتنمية لثروتها اللغوية.

٤. رأى في نحو الكوفيين كثيرا من الآراء التي تفضل آراء البصريين، فنادى بضرورة الانتفاع بها ونشرها في العالم العربي المعاصر.

٥. آمن بأن المعنى هو المتحكم في التركيب، كما أن المعاني هي التي تصرف التراكيب، وتقتصرف بها، ولا يصح العكس، وبذلك يمكن الاستغناء عن كثير من التأويلات الضعيفة، والتعليلات الباطلة، والحجج الفائلة.

٦. آمن بالاجتهاد في باب النحو والصرف، واشترط الدلالة البينة لصحة الرأي فبالاجتهاد تمت جمهرة قواعد العرب، وبالأجتهاد يمكن الرد عليها، فالنحويون يغفلون كما يغلط غيرهم، ويقسّد بعضهم بعضا، ولا يسقط الرأي إلا بالاستدلال المنير، والجدال الوفير.

٧. رفض الجمود في آرائه، وتقليد من سبقوه، كما أنه لم يلزم نفسه بأقوال العلماء الذين سبقوه إذا رآها واهية واهنة، حتى إن عد حجة كسيبويه.

والأفعال بمواضعها، ولم يلتفتوا في ذلك إلى القواعد العامة لاستنباط أسرار العربية من قياس، واشتقاق، واقتباس، وإنما اعتمدوا على المنقول بنصوصه، فتحجروا عن الواسع، وتغافلوا عن الواقع، وزلت بهم طريق الانتقاد إلى غير السداد.

١١. آمن بإمكانية الإبداع في النحو لسعة بابه، ولم يستنكر التيسير في النحو والصرف.

١٢. انتقد بعض المؤلفين في النحو من المعاصرين، لأنهم لم يأتوا بشيء جديد حقق الجودة في تسهيل النحو والصرف، ولم يقيموا الحجة لما ادعوا.

٨. رأى أن اللغة العربية لم تنزل في أكثر أحوالها جامدة في قواعدها، ورسم خطها، لذا فإن كثيراً منها يجب إصلاحه، والاستبدال به، وهذه القواعد على الحقيقة غير كاملة تحتاج إلى استقراءات جديدة، واستنباطات عديدة، واستنتاجات مفيدة فوائدها لناهجها من علماء العربية.

٩. رأى أن اعتماد مذهب البصرة في النحو كان سبباً في جمود (النحو) وكونه غاية لا وسيلة عند كثير من النحويين المعاصرين المعنيين به، وفي الصرف جعل المشكلة أكثر تعقيداً، لأن المذهب البصري كما يرى مناف لطبيعة اللغات.

١٠. رأى أن ما وقع فيه النقد من وهم وضعف في الحكم يعود إلى أنهم نقدوا التعابير بأعيانها،

الهوامش والتعليقات:

(٩) سالم الآلوسي - ذكرى مصطفى جواد ص ٨٣

(١٠) لمزيد من التفصيل: انظر: كتابنا (مصطفى

جواد: حياته ومنزلته العلمية) ص ١٣.

(١١) انظر: مجلة (لغة العرب) مج ٦ (١٩٢٨) ص: ٦٤٦.

(١٢) شعراء العراق في القرن العشرين ١/١٦١.

(١٣) المجمع العلمي العراقي: نشأته، أعضاؤه،

أعماله ص ٦١.

(١٤) أعلام الية - نظرة الفكرية في العراق الحديث

ص ٨٥.

(١٥) أشار إلى ذلك بخط يده في بيان عضويته

بالمجمع العلمي العراقي (٦٣ - ١٩٦٤) إلى أنه أنهى دراسته

الابتدائية في دلتاوة (الخالص) الصف الرابع الابتدائي،

انظر: مجلة المجمع العلمي العراقي ١٨/٣٦٤، وشعراء

العراق في القرن العشرين ١/١٦٤.

(١٦) انظر: مجلة لغة العرب ج ٩ (أيلول) سنة ٦،

(١) مصطفى جواد - قل ولا تقل (المقدمة).

(٢) مصطفى جواد - النحو الكوفي وأثره في تيسير

قواعد اللغة العربية، مجلة المعلم الجديد مج (١٣)

ص ٢١٣.

(٣) مصطفى جواد - قل ولا تقل (المقدمة).

(٤) مصطفى جواد - المباحث اللغوية في العراق

ص ٢١.

(٥) انظر: رسالته المؤرخة في ٦/٧/١٩٥٣.

والمنشورة في كتاب: (مصطفى جواد فيلسوف اللغة

العربية) ص ١٢٨. شعراء العراق في القرن

العشرين ١/١٦١.

(٦) شعراء العراق في القرن العشرين.

(٧) (مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية)

ص ٢٤.

(٨) مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية ص ٣٢.

ويلاحظ خطأ الجمع بين التاريخ الهجري والميلادي.

من ١٩٤٢.

(١٧) انظر: هكذا عرفتهم ٧٩، ٧٨/٢.

(١٨) انظر: السابق، وأعلام اليقظة الفكرية في

العراق الحديث ص ١٨٢.

(١٩) عن مشاركته في مجلة لغة العرب، قال

مصطفى جواد: بدأت بالمشاركة فيها سنة ١٩٢٨، وكان

ذلك بعد امتناع الشاعر العراقي معروف الرصافي عن

النشر، فانه تبين ان لا تتم الكلام على اللغة العربية.

انظر المباحث اللغوية في العراق ص ٧٦، ٥٢.

الا ان اول ما نشره في المجلة المذكورة حسنة

تحقيقا كان رواية عصرية، فقصة شصرية.

فقدمة قصيرة. انظر: مجلة لغة العرب مج (٦) السنة

(٦).

(٢٠) انظر: هكذا عرفتهم ٧٩/٢. وشعراء العراق

في القرن العشرين ١٦٧/١. وأعلام اليقظة الفكرية في

العراق الحديث ص ١٨٧.

(٢١) انظر: اذنب انستاس ماري الكرملي ص ٣٢.

(٢٢) الميرزا محمد انقرويني: عالم سكن بارس.

والذي حوذه جمع من المستشرقين الذين عثروا

التي غال في تاريخ الشرق وآدابه وفنونه لا سيما

التاريخ الاسلامي منه. انظر: هكذا عرفتهم ٧٩/٢.

(٢٣) انظر: شعراء العراق في القرن العشرون

١٦٧/١، وهكذا عرفتهم ٨٦/٢.

(٢٤) انظر: رسائلته المؤرخة في ١٩٥٢/١١/٢٢.

والمنشورة في (مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية)

ص ١٣١، وأعلام اليقظة الفكرية ص ١٨٢.

(٢٥) انظر: شعراء العراق في القرن العشرين

١٦٧/١، ومصادر الدراسة الأدبية (القسم الأول) ٢١/٣.

ومصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية (ص ٢٥)

وفيها سبب عزله عن تعليم الملك فيصل الثاني.

(٢٦) انظر: هكذا عرفتهم ٨٧/٢، ٨٨، شعراء

العراق في القرن العشرين ١٦٧/١، وأعلام اليقظة

الفكرية ص ٨٩، ورحلة أبي طالب خان الى العراق

وأوربة (المقدمة).

(٢٧) لزبد من التفصيل، انظر: كتابنا (مصطفى

جواد وجهوده اللغوية) ص ٤٠.

(٢٨) انظر: التجميع العلمي العراقي (١٩٤٠)، ص ٤٠.

انمالة من ١٩٤٠، وفي مجلة (التجميع العلمي العربي) ص ٤٠.

١٩٤٢، ٦، وأعلام اليقظة الفكرية ص ١٨٨.

واستثمار عضويته (المجمع العلمي العراقي) مجلة

التجميع ١٨/٣٦٥.

(٢٩) انظر: رسائلته المؤرخة في ١٩٥٢/١١/٢٢.

والمنشورة في (مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية)

ص ١٣١.

(٣٠) اذنب: د. كمال الشاذلي. مصطفى جواد ابن

العربية العربية (ذكرى مصطفى جواد) ص ١٦، وانما

اليقظة الفكرية ص ١٨٨، ومصادر الدراسة الأدبية

(القسم الأول) ٢١/٣.

(٣١) لزبد من التفصيل، انظر: مصطفى جواد

وجهوده اللغوية، ص ٤٢، ٤٣.

(٣٢) للاطلاع على آثاره: انظر: مصطفى جواد

وجهوده اللغوية، ص ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢

- (٤٤) وسائل النهوض باللغة العربية (٢) - مجلة الاستاذ مج ٨، ص ١٥١.
- (٤٥) المباحث اللغوية ص ١٠.
- (٤٦) باستثناء (المعجم المستدرک علی معجمات اللغة العربية) الذي لم ير النور بعد، ذكره في (المباحث اللغوية ص ١٢٩). وقدم بحثاً تعريفياً عنه في (مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين - مجمع اللغة العربية ١٩٦٥). ولمزيد من التفصيل، انظر: في التأسيس اللغوي ص ٢١٩.
- (٤٧) انظر: ذكرى مصطفى جواد ص ٤٩.
- (٤٨) انظر: مجلة (المجمع العلمي العربي) تاريخ صدورها (١٩٥٠) ولغاية وفاته (١٩٦٩)، ومجلة (المجمع العلمي العربي) بدمشق بدءاً من المجلد (١٨) ج ٦، ٥ (أيار وحزيران) ١٩٤٢م.
- (٤٩) انظر: جلسات مؤتمر الدورة الثانية والثلاثين، مجمع اللغة العربية - بغداد (١٩٦٥م).
- ز. جلسات الدورة (الثالثة والثلاثين) التي سبقتها ١٩٦٦م.
- (٥٠) انظر: كتابنا، مصطفى جواد وجهوده اللغوية (ط ١) ص ٧٤، الهامش (٤).
- (٥١) دراسات في فلسفة النحو ص ٥٢.
- (٥٢) المباحث اللغوية ص ١٤.
- (٥٣) لمزيد من التفصيل، انظر: مصطفى جواد، جهود اللغوية (ط ١) ص ١٩٦ وما بعدها.
- (٥٤) دراسات في فلسفة النحو ص ٢٤.
- (٥٥) المباحث اللغوية ص ٧.
- (٥٦) المباحث اللغوية ص ٨، ووسائل النهوض باللغة العربية (٢) مجلة الاستاذ مج (٨) ص ١٤٠.
- (٥٧) وسائل النهوض باللغة العربية (٢) مجلة الاستاذ مج (٨) ص ١٤٠.
- (٥٨) المباحث اللغوية ص ٧.
- (٥٩) انظر: رسالته المؤرخة في ١٨/١/١٩٥٢، والمنشورة في كتاب (مصطفى جواد فيلسوف اللغة العربية) ص ١٠٠.
- (٦٠) دراسات في فلسفة النحو والصرف ص ٢٤، ٢٥.
- ولمزيد من التفصيل، انظر: مصطفى جواد وجهوده

- اللغوية ص ١٦٨ وما بعدها.
- (٦١) الأحزاب ص ١٨.
- (٦٢) انظر: المباحث اللغوية في العراق ص ٥.
- (٦٣) الأحزاب ص ٢٧.
- (٦٤) وسائل النهوض باللغة العربية (٢) مجلة الاستاذ مج (٨) ص ١٢٩.
- (٦٥) السابق ص ١٤٠. وانظر: المباحث اللغوية ص ٦.
- (٦٦) لمزيد من التفصيل، انظر: مصطفى جواد وجهوده اللغوية ص ٢٠٤ وما بعدها.
- (٦٧) انظر: القول الناجع في الغلط الشائع - مجلة المجمع العلمي العربي، مج (٢٤) ح ٢ ص ٢٩٩-٢٩٧.
- ولمزيد من التفصيل، انظر: مصطفى جواد وجهوده اللغوية ص ٢١١ وما بعدها.
- (٦٨) انظر: دراسات في فلسفة النحو ص ٥٩. ولعرفة الأدلة التي قدمها مصطفى جواد، انظر: مصطفى جواد وجهوده اللغوية ص ١٩٨ وما بعدها.
- (٦٩) انظر: الخصائص ص ٢٩٤/١.
- (٧٠) دراسات في فلسفة النحو ص ١٧.
- (٧١) انظر: البهجة المرضية، ص ٧٦.
- (٧٢) فلتة لجلال الدين السيوطي - مجلة لغة العرب، ج (٧) السنة (٦) ص ٥٢٢.
- (٧٣) انظر: فوائد لغوية - مجلة لغة العرب ج (٩) السنة (٦) ص ٦٩٢.
- (٧٤) قل ولا تقل ص ٨، ٩.
- (٧٥) انظر: البلاغ الأسبوعي، العدد (٥٢) ١٩٢٧ م ص ١٢.
- (٧٦) فوائد لغوية - مجلة لغة العرب ج (٩) السنة (٦) ص ٦٩٢.
- (٧٧) انظر: مصطفى الشهابي - نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول (٥)، مجلة المجمع العلمي العربي مج ١٨ ص ١٥.
- (٧٨) انظر: أساس البلاغة ٢ / ١٧٧.
- (٧٩) د. مصطفى جواد. التوجيه والتنبيه، مجلة المجمع العلمي العربي مج ٢١ ح ٦، ص ٢٨٦، ٢٨٧.
- (٨٠) التنبيه والتوجيه - مجلة المجمع العلمي العربي، مج ٢١، ح ٦، ص ٢٨٦.
- (٨١) دراسات في فلسفة النحو ص ٤٧.

(٩٢) عبد الحميد حسن - القواعد النحوية مادتها وطريقتها ص ١٨٩.
 (٩٤) وسائل النهوض باللغة العربية (٢) - مجلة الأستاذ مج (١٨) ص ١٢٧.
 (٩٥) لمزيد من التفصيل، انظر: دراسات في فلسفة النحو، ص ٤٠ وما بعدها.
 (٩٦) القول الناجع في الغلط انشأه - مجلة المجمع العلمي العربي مج (٢٤) ج ٢ ص ٤١٢.
 (٩٧) فوائد لغوية - مجلة لغة العرب ج (٨) السنة (٦) ص ٥٩٤.
 (٩٨) انظر: وسائل النهوض باللغة العربية (٢) - مجلة الأستاذ مج (٨) ص ١٢٨.
 (٩٩) عبد الحميد حسن - المذهب الكوفي في النحو واللغة (البحوث والحاضرات - الدورة (٢٢) مجمع اللغة العربية ١٩٦٥ ص ٢٣٦.

(٨٢) المباحث اللغوية ص ١٠.
 (٨٣) عبد الحميد حسن - المذهب الكوفي في النحو واللغة (البحوث والحاضرات - الدورة (٢٢) بغداد، مجمع اللغة العربية ١٩٦٥ م، ص ٢٣٦.
 (٨٤) فضلاً عن - مجلة لغة العرب ج (٦) السنة (٦) ص ٥٢٤.
 (٨٥) المباحث اللغوية ص ٨.
 (٨٦) انظر: قل ولا تقل ص ٥.
 (٨٧) المباحث اللغوية ص ٢.
 (٨٨) وسائل النهوض باللغة العربية (٢) مجلة الأستاذ مج (٨) ص ١٢٨.
 (٨٩) انظر: الخصائص ٢ / ٢٢٨، ودراسات في فلسفة النحو، ص ٥٥.
 (٩٠) المباحث اللغوية ص ٢٢.
 (٩١) المباحث اللغوية ص ٢٤.
 (٩٢) السابق، ص ١٢٤.



من عقوق التلامذة لأساتذهم^(١)

الدكتور عبد الله مسلم القيسي

الإحالة الى مصنفاتهم.

وتبادر الى أذهاننا أيضا أنه قد أضاف جديدا الى الطبعة الأولى ظانا أن الإضافة تخوله الهيمنة على الكتاب وتجنبه معرة إغفال اسم العالمين الجليلين. وحين بصدنا ننظر في الكتاب أذهنا وأحزننا أن نقرأ في المقدمة تجريحا لأستاذ القيسي. واتهاما له بالسطو على جهده، وجرأة على تجريدته من أي عمل قام به في الكتاب فضلا عن الأستاذ التركي. نقول راعنا أن نقرأ قول الضامن في الطبعة الجديدة (وفي هذه الطبعة بيان وتوضيح حول حقيقة الظروف التي أحاطت بتحقيق الكتاب ونشره في المجمع العلمي العراقي) ثم ذكر الظروف في الهامش قائلا: (كان د. أحمد ناجي القيسي رحمه الله تعالى قد طلب الي تحقيق هذا الكتاب لنشره في المجمع العلمي العراقي ولكن بشرطين: الأول أن يكون مشاركا في التحقيق. والثاني أن يكون د. حسين تورال مشاركا أيضا لأن الفضل يعود اليه في تصوير المخطوطة، فأنجزت تحقيق الكتاب في ثلاث سنوات لم يشاركني فيه أحد. وأخي الشاعر وليد الأعظمي على علم بذلك، وهكذا كان أمر الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧.

واليوم بعد مضي سبع عشرة سنة أعلن هذه الحقيقة، وأقدم هذه الطبعة المنقحة، والحمد لله أولا وآخرا).

من المطبوعات التي صدرت حديثا كتاب بتحقيق الدكتور حاتم الضامن الأستاذ (سابقا) في جامعة بغداد. ومن بينها كتاب (دقائق التصريف) لأبي القاسم المؤدب من علماء القرن الرابع الهجري. وقد سجل في صفحة العنوان: (تحقيق الأستاذ الدكتور حاتم صالح الضامن). وكتب على الصفحة الأولى (الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ: ٢٠٠٤ م... حقوق الطبع محفوظة. يمنع طباع هذا الكتاب أو جزء منه إلا بإذن خطي من دار البشائر.... دمشق)).

والذي يعرفه الباحثون واشتهر بينهم أن هذا الكتاب شارك في إنجازه مع الدكتور حاتم كل من المرحوم الدكتور أحمد ناجي القيسي عضو المجمع العلمي العراقي والدكتور حسين تورال التركي الجنسية وقاموا بتحقيقه، وطبعه المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٧ وسجلت أسماء المحققين الثلاثة على صفحة العنوان.

وتبادر الى أذهاننا أول الأمر أن دار البشائر قد تصرفت من جانبها فأصدرت الكتاب باسم محقق واحد متجاهلة شريكه أو أن الضامن وجدها سانحة بعد انتقال أستاذه الى الرفيق الباقي وانقطاع أخبار زميله التركي فأخفى الاسمين وقدم لدار النشر الكتاب موحيا تملكه إياه منفردا على عادته في نسبة آراء الباحثين الى نفسه أو صيها في مؤلفاته أحيانا من دون الإشارة الى سبقهم أو

* سبق للدكتور الضامن أن نشر شعر الحليل الفراهيدي في مجلة (البلاغ) ع: ٢ - ٣ سنة ١٩٧٣ بالاشتراك مع المرحوم ضياء الدين الخيلري، ثم لما أعاد نشره في كتابه (عشرة شعراء مقلون) حذف اسم شريكه في المجمع والتحقيق (المورد).

ونحن نعجب بعد هذا الاعتراف من أن يهبط الى هذا المستوى من حصل على أرفع لقب علمي في العلوم الإنسانية، وشغل مناصب لإدارة شؤون الدراسات العليا. فمن أستاذ تدريسي في أقدم كلية بجامعة بغداد^(*) إلى مسؤول في عمادتها عن الشؤون العلمية والدراسات العليا، إلى رئيس قسم اللغة العربية فيها.

وأول غاية عليه تحقيقها في هذه المواقع توجيه طلبته إلى تحري الصدق والأمانة وعفة النفس، وإلى البعد عن عقوق الاساتذة وعن المساس بسمعتهم، لا سيما الأموات منهم، فضلا عن رعاية حقوق الأخوة والصدقة التي تربطه بغير العراقيين الذين خدموا اللغة العربية، ويسروا إحياء ميراثها بتقديم المخطوط بين أيدي المحققين.

لو كان الضامن قد حذف الاسمين واكتفى لكان الخطب أيسر ولكنه سجل على نفسه مخالفات أدبية وعلمية. فقد كان قادرا، لو كان أمينا، على أن يعتذر من أول الأمر عن الالتزام بالشرطين اللذين قدمهما له أستاذه وأن يترك العمل لغيره لولا أن غره المخطوط النفيس والأثر الوحيد الذي تحمل الدكتور تورال عناء تصويره وجلبه من تركيا أو نسخه على ما فيه من قدم وصعوبة في القراءة، وهو بذلك قد يسر أمر تحقيقه وتقريبه من الإنجاز.

إن تصرف الدكتور الضامن والقول الذي اطلق فيه (الحقيقة) المؤلة بعد سبع عشرة سنة يشير إلى ما يمس سمعة المجمع العلمي العتيذ، وسمعة أعضائه وسمعة الباحث العراقي وأساتيد الجامعة، وذلك من خلال الآتي:

أولاً: أنه حاول استغلال أرفع مؤسسة علمية في القطر تقوم على رعاية اللغة العربية والحفاظ على سمعة أبنائها وخدامها، فارتضى أن يقدم نتاجا

منسوبا إلى ثلاثة اشخاص زورا، لأن الذي قام به هو واحد فقط لم يشاركه فيه أحد على ما صرح هو نفسه به.

ثانياً: وصف نفسه بالمساومة على حساب الأمانة العلمية بإقدامه على طلب نشر كتاب اعترف بأنه لم يشتغل فيه أحد سواه، لكنه ارتضى أن يضيف معه آخرين. ولعل احدهما قد حصل على ترقية علمية بالكتاب، فتكون على هذا ترقية مزورة ناتجة عن سرقة جهد الدكتور الضامن.

ثالثاً: تضمن كلامه اتهاماً صريحا لعالم مجرمي وأستاذ من اساتذة جامعة بغداد، اتهمه بابتزاز جهد طلبته العلمي، ونسبة نتاجهم إلى نفسه وحاشاه، لقاء تيسير طبعه في الدائرة التي ينتسب إليها مستغلا موقعه الوظيفي فيها.

رابعاً: وفي هذا تجريح بالمؤسسة وتشكيك بامانة منتسبها، واجترأ على أحد أعضاء اسرتها بعد موته. ونظن أن العدالة تقتضي أن تنتصف لنفسها ولمنتسبها أمام القضاء.

خامساً: وفي تصرف الضامن نتج ضياع حقوق معنوية وحقوق مادية، وهي حجب ما قام به كل من الأساتذ من عمل علمي في مجال تحقيق التراث، وإخفاء عمليهما عن المؤرخين وعن الأجيال اللاحقة، وحجب الحقوق المادية عن ورثة المرحوم القيسي والاستاذ التركي حسين تورال.

سادساً: بالموازنة بين النشرتين لم أقف على خلاف بينهما أو زيادة معلومات أو تنقيحات اصولية. ويكون ادعاء الضامن تنقيح الكتاب أو إضافة جديد إليه غير صحيح.

سابعاً: وأما احتجاجه بات المرحوم الشاعر وليد الأعظمي كان على علم بما جرى فهو تشبث ضعيف لتبرير التصرف يكذبه أن المرحوم الخطاط

^(*) لم تكن الاداب أقدم كلية في جامعة بغداد (المورد).



الأعظمي قد كتب عنوان (دقائق التصريف) واسم مؤلفه واسماء المحققين الثلاثة بخط يده، وختمه بصريح توقيعه. وتلك شهادة منه على اشتراك الثلاثة بالعمل.

ثامنا: ماذا عسى الأستاذ التركي أن يقول عنا نحن العراقيين لو سمع بالخبر وهو الحريص على اللغة العربية، واثمننا على جهده حين اودعه لدى أستاذه. فهل يصح أن يكافأ بحذف اسمه من كتاب جلب مخطوطته من تركيا، وبذل جهداً في نسخه وتحقيقه؟!

يبقى أن أشير إلى أن المفهوم من ذوي الرحوم القيسي أنه كان يجلس في دار مع حسين تورال جلسات طويلا يتحاوران فيها حول الكتاب، ويسجلان ملاحظات عن المخطوط. وعرفت من بعض من كان في الجمع العلمي وغيره أنهما قطعاً شوطاً كبيراً قبل أن يسافر تورال إلى بلده، ثم بعدها كما يبدو، اقترح الأستاذ القيسي على تلميذه (الأمين) حاتم الاشتراك في التحقيق الذي تم في حياته، ولا شك أن الرحوم كان يراجع المسودات حتى أخذ طريقه إلى النشر عام ١٩٨٧.

نعم قد يبذل بعض المشتركين في التأليف الواحد جهداً أكثر من غيره، وهو أمر غير منكور ولكن لا يحل لأي واحد منهم أن ينفي عن غيره كل عمل في الكتاب. ذلك تجاوز على الحقوق. لذا من حق الجمع الموقر الذي نشر الكتاب أولاً أن يتولى

الأمر. واقترح الآتي:

أولاً: مفاتحة دار البشائر للطباعة والنشر بوجوب تصحيح الخطأ الذي وقعت فيه لأنها علمت أن المطبوع صادر عن الجمع العلمي العراقي الذي له الحق وحده في التصرف به وإن ثبت اسم المحققين الثلاثة على الغلاف وصفحة العنوان وتذيع الحقيقة للمطالعين.

ثانياً: نشر هذه المذكرة في مطبوعات الجمع وتعميمها على وسائل الإعلام والمؤسسات العلمية في الأقطار العربية.

ثالثاً: مقاضاة الدكتور الضامن على تصرفه المتعمد، وإعادة حقوق الأستاذين المادية والعنوية، لأن الكتاب صدر عن الجمع.

رابعاً: إعلام الدكتور حسين تورال عن طريق بريده الإلكتروني بخبر نشر الكتاب خالياً من اسمه ليقيم أيضاً عن جهده في تحقيق المخطوط والمطالبة بحقوقه.

خامساً: كتاب (التذكرة الفخرية) أصدره الجمع العلمي سنة ١٩٨٤ بتحقيق الدكتورين نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن. قام الأخير بنشره ثانية في دار البشائر بدمشق سنة ٢٠٠٤، وحذف من النشرة اسم أستاذه القيسي معللاً لذلك بأنه لم يشترك معه في التحقيق إلا بصفحات حذفها من الطبعة الجديدة.

أقول: هذا الكتاب له كلام آخر إن شاء الله.

ديوان ابن وفاء الشاذلي

القسم الثالث

الدكتور عبد الحسن خضير عبيد الحياوي

وقال رضي الله عنه:

الطويل

بأكناف هذا الحيّ إني لطائفُ

فكم نالني بالفتح منه لطائفُ

وسرّ ولاه في البرية شائعُ

سواء به في الحق بادٍ وعاكفُ

ومن عرفاتٍ سرّ معروفه بدا

فكم في حماه للعبيد مواقفُ

وكم بالصفا يسعى محبٌ لنحوه

على أنه في باب مولاه واقفُ

تجلّى جلال الله فيه فأشرق

لنا منه أنوار الولا والمعارفُ

ولاح به سرّ الحقيقة معلناً

فتمّ لنا فيه الهدى والعوارفُ

بفيض عطاءٍ بالوجود تكرماً

فكم فاز بالمعروف منه طوائفُ

بمحياكم تحيا القلوب وتهدي

فيفرخ محزون ويأمن خائفُ

ويجبر مكسور ويهدي متيمُ

ويأنس مشتاق وينعم عارفُ

فأنت ملاذ الكل يا علم الهدى

وكلهم من بحر جودك غارفُ

فبشرّك معروف، وفيضك دائمُ

وجودك موجود، وظلك وارفُ

وبذلك مبسوط، وفضلك نائلُ

ونيلك مأمول، وغيثك واكفُ^{١٨}

أيا سيّداً نلنا الوفاء بحبه

فليس لنا عن منهج الحق صارفُ

أدرت سلافاً من رحيقك سلسلاً

لمن هو من كأس المحبة راشفُ

وقد أينعت أزهار جودك بالوفا

فها أنا من غرس الحقيقة قاطفُ

فلله عبد فيكم قط لم يزل

بذكركم تهتّر منه المعاطفُ

أفضتم عليه منحة من عطائكم

فكم ناله منكم ولا وعواطفُ

فمن يشهد الأحباب في عين جمعكم

فذاك عن السرّ المحجب كاشفُ

وجدنا الوفا في يوم جمع مبارك

تعود لنا فيه الليالي السوالفُ

ويعنحنا الرحمن فيه بأنعم

فهنّ لنا في كل شيء خوالفُ^{١٩}

إذا فاه عبد في الأنام بمدحكم

فليس له فيما يقول مخالفُ

يضيق نطاق القول عن وصف حسنكم

وماذا عسى أن يوسع القول واصفُ

عليكم سلام الله ما هبت الصبا

وما طاف في البيت المحرم طائفُ

وقال رضي الله عنه:

البيسط

في حبكم بالهنا أفيتُ افناني
وعن سواكم شهود الحق افناني
فعشتُ في ظلكم عيش الرضا أبداً
وعين عونكم بـسـالله ترعالي
وأنس قربكم باللطف يصحبني
فحيثما كنتُ، ألقاه ويلقاني
فبالوفاء جبرتم كسر عبدكم
وباللقاء رحمتكم دمعني القاني
وبالولاء جرى رقي لكم أبداً
وأنتم مأمني حقاً وإيماني
ومذتوحد قلبي في شهودكم
لم ينثن عنكم يوماً إلى ثاني
أحن شوقاً إلى لقاءكم فعسى
ترنو لفرط صباباتي وأشجاني
ففضل معروفكم لا ينتهي كرمًا
وبجر عرفانكم بالفيض وافاني
فأنتم القصد لا ابغي بكم بدلاً
وأنتم مطلبي يا نور إنساني
وأنتم سادتي حقاً ومُعتمدي
بنوركم ينجلي همي وأحزاني
وأنتم حجة القي الإله بها
بجسكم رجحت والله ميزاني
وأنتم نعمة من الكريم بها
فنعمت في الحمى وروحي وجثمانني
شراب وصلكم بالوجد أسكرني
غنيت في الحب عن كأس وأدناني

وصدق حبي لكم بالله يا أملي
لعز عليانكم بالحق أدناني
رضوانكم جنة طاب المقام بها
وجدت فيها نعيم عند رضواني
نشقت عرف الهوى من طيب نشركم
وطاب وقتي في سري وإعلاني
فعين ذلي لكم بالعز حقني
وسر فقري لكم بالله أغناني
قد بعثت روعي فيكم بالقبول عسى
أفوز منه بربح غير ندمان
واجتلي من مجالي حسنكم خللاً
أزهو بها بين خلاني وندماني
أذاب قلبي من حر الغرام جوى
فرد رضوانكم باللطف أحياني
ولا أخص زماناً منكم برضى
إذا الرضى منكم في كل أحيان
فيا قريباً بمعنى القرب حقني
وبالتحسية عند الله حسياني
ويا حبيباً بسر اللطف أتحفني
ويا وفياً بروح الفتح وافاني
ويا شهيداً بنور الحق بصرني
ويا نجياً بسر السر ناجاني
ويا جميلاً تجلّي في مشاهده
وسرّة بغطاء اللطف غطاني
ويا غيائاً أتى بالغيث صبيّة
من كل كرب بعون الله نجاني
ويا ولياً تولاني بنعمته
ويا كريماً بـفضل منه والاني

ويا جواداً بجودٍ عَمَّنِي مدداً
ومن عطايا جزيل الفضل أعطاني
ويا بشيراً لنا البشرى برؤيته
جلا لنا نور تحقيق وعرفان
اذكر عبيدك عند الله يا سدي
حاشاك يا سيدي في الحشر تنساني
وأوسع أجود فيضاً بالعطا كرمًا
كي ما أجود على صحي وخالني
إن بحت بالسرّ جهراً غير مكتم
فلا أبالي وساقى الخان أسقاني
وإن دعوت إلى الله العليّ على
بسيرة فمنادي الحي ناداني
فالله يختصّ عن يرضى برحمته
ويوسع الفضل للقاصي وللداني
والله يدعو إلى دار السلام بكم
وبالمهدي يمنح احسنى يا احسان
وقال رضي الله عنه:

البيط

يا سادتي يا أحبائي رياسكني
ما زال معهدكم بين الورى وطني
إني ربيت على أعتابكم عمري
ما غبت عن حبكم يوماً من الزمن
معنى خصصت به منكم بلا سبب
بل سابق الفضل في الانعام والمنى
كان ابتداني بكم ثم انتهيت لكم
ما عرفت سوى، يا من لهم سكني
موتي ومحياي فيكم يا ضيا بصري
وانتم مقصدي في السر والعلني

والله لا حلت عن حبي لكم ابداً
انتم سروري وانتم مشتكى حزني
ساء الزمان الذي كنّا نسرّ به
وفرّق الفجر بين الجفن والوسني
وغاص بحر دموع العين من أسفي
على جمال محيا وجهك الحسن
سقياً ورعياً لقبر أنت ساكنه
سقى ثراه سحاب العارض الهني
يفنى الزمان ولا تفنى مودّتك
ولا انقضى بكم وجدي ولا شجني
لا تسألوا كيف حالي بعد بعدكم
فالحال يغني عن التسأل للفظن
أضحى وجودي معدوماً وها جلدي
فيكم وهي وقوى الأعضاء في وهي
طالت عليّ ليالي الهجر واتصلت
حتّى كأن ضياء الصبح لم يبين
أبيت أرعى نجوم الأفق ساهرة
عيناى حتّى كأنّ النوم لم يكن
هذا قضاء إلى العرش من قدام
كلّ الخليقة في هذا على سنن
فمن رضى فله الرضوان منه كما
قد جاء في محكم التنزيل

والسنن

فالله يمنحنا الصبر الجميل بكم
يا ساداتي وينجينا من الحن
والله يسقي ثراها صوب صبيّه
ما ناحت الأرق تغريداً على فني



وقال رضي الله عنه:

الجنة

إذا خدمت الموالي

رقبت أعلى المعالي

وعشت عيشاً رضيعاً

في نعمة ووصال

يؤتيك مولاك عوناً

من فيضه المتوالي

وعين لطف وحفظ

ترعناك في كل حال

فاسع لذا الحي والزم

تبلغ حدود الكمّال

وترتوي منه فضلاً

فياله من نوال

وتورث النفس عزاً

بـنيل كلّ الآمال

وإن أصابك سوء

فناد يا للرجال

وأخلص الحبّ فيهم

تنال خير منال

تظفر بأمن ويمن

في كلّ حالٍ وقال

ونشهد الكون مجليّ

لـمـالهم من جمال

وترتقي بوفاهم

لأوج عز الوصال

فوجههم نصب عيني

من مبدئي لمالي

وسرهم في ضميري

يبعدو بمعنى الجلال

وهديهم وولاهم

سرّ الجمال جلال

ولماؤهم عز قدرأ

فـمـاله من منال

على وفاهم رجائي

وعمدتني وأتكالي

تحبهم وحماهم

توجّهني وارتحالي

أدار ساقي الحميا

كـمـؤوسه وملالي

فعاذ صحوي سكرأ

مافيه لي من ملال

شاهدت معنى عزيزأ

من سره قد بدالي

فهمت فيه ارتياحأ

لنيل كلّ الآمال

ولم يزل بوفاهم

تمسّكي واشـسـتغالي

وقال رضي الله عنه:

البسيط

اسمع لهذا الحمى لا تختش وجلا

فمن أتاه رأى نور الوفا وجلا

وقف على بابي وانزل بساحتي

لا تبغ منصرفاً عنه ولا حولا

فكلّ خير ويمن في مرابعه

حياب به الحي من في حبيّه نزلا

وقر عينا بمولاه العليّ وقد

صارت جنان العلا حقاً له نزلا

فمن تجرد عن كلّ الشؤون له

كسأه من نوره بين الوري حلا

وطاب عيشهم بالله في رعد
وصلاً حنياً على مر الزمان حلا
فهم خواص عباد الله كلهم
وكل وصف علا من وصفهم كملا
وطاب عيشاً بأحباب يستربهم
هم الجمال وجوداً والجلال علا
يا طالب الحق قم وانظر لطلعتيه
واشهد بديع معاني قد أتت جملاً
وافت حمياً الحمى فاشرب بلا ملل
شراب ذكرهم بالله قد نهلا
ماذا تؤمل من صب بهم كلفا
ما مال عن حبهم يوماً ولا عدلاً
فقل لمن لام في أهل الوفا سفهاً
قد جار في ظلمه يوماً وما عدلاً
وما اعريت لمن فيكم ينفني
ولا استمعت له إن لام أو عدلاً
وكل عسر غدا يسراً بقربهم
وكل صعب غدا في حبهم سهلاً
وكل حزن بدا من نور وجهكم
أضاء فينا فعم السهل والجبل
فالموت فيكم حياة لا انقضاء لها
والصبر فيكم على مر الزمان حلا
طابت بحياكم الأكوأ قاطبة
فقد وجدنا من الجدوى بها الأمل
أنا لكم منه رب العرش تكرمة
مقام عز على كل الأنام علا
وقد منحنا بها من فيضي فضلكم
شمالاً وصفها للطف قد شمل

صبرت نفسي على مرضاتكم أبداً
والصبر يجمل إلا عن فناء فلا
هذا مقام الوفا والجمع أنت به
لعقر الخد في أعتابيه ذللاً
واسلك به سبل الخيرات أجمعها
تحفظ بعز وفاها بين كل مالا
وقال رضي الله عنه:
البيسط
مُدَّ حن قلبي إلى لقاءكم وصبا
لم يلق في وجده همّاً ولا صبا
وارتاح نحو حماكم ناشقاً أرجاً
نسيم عرفي وفا من حيكم وصبا
من جاءكم بالصفاء يسعي لبيتكم
لم يلق في سعيه نصباً ولا نصبا
لما تحقّق قلبي بالوفاء لكم
جذبتموه بسر اللطف فأنجذبوا
ومن أفضتم عليه نور مشهيدكم
ما ظلّ عن وجهكم يوماً ولا حجباً
ومن تواضع ذلاً في محبتكم
رفعتموه إلى أعلى العلا ربنا
ومن تحقّق في مقصوده بكم
فالسعد يخدمه في كل ما طلبنا
فأنتم القصد والمأمول يا أملي
لعارف رام من أعلى العلى ربنا
وأنتم الغاية القصوى لمفتقر
إيكم، بسكم عن نفسه ذهبنا
لما جلا بجمال الكون حسنكم
هام الوجود بكم من وجده طربنا

الحفيق

نَحْنُ يَا سَادَتِي إِلَيْكُمْ نَصِيرُ
وَلَنَا مِنْكُمْ وَلِيٌّ نَصِيرُ
وَقُلُوبُ الْعَشَّاقِ مِنْكُمْ أَنْارَتْ
وَقَالَهَا عَلَى الْإِنَارَةِ نَوْرُ
وَمُحِبًّا جَمَالَكُمْ قَدْ تَبَدَّى
فَحُمِّيًّا الْوَفَا عَلَيْنَا تَدَوَّرُ
قَدْ جَمَعْتُمْ شَمْلَ الْمَعَانِي لِهَذَا
كُلُّ وَجَدٍ إِلَى حِمَاكُمْ يَسِيرُ
فَاسْمَحُوا لِي وَلَوْ بِطَيْفِ خِيَالٍ
فَكثِيرٍ مِنَ الْحَبِيبِ الْيَسِيرُ
قَدْ أَمِنَّا الْعِدَا بِكُمْ وَالْعَوَادِي
فِي حِمَاكُمْ مِنْ جَوْرِهِمْ نَسْتَجِيرُ
مَذْرُغِنَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاكُمْ
كُلُّ أَوْقَاتِنَا لَدَيْكُمْ حَاضِرُ
يَا أَهْلَ الْوَفَاءِ وَالْجُودِ حَقًّا
قَدْ حَبَاكُمْ بِهِ الْمَلِكُ الْقَدِيرُ
فَعَلَيْكُمْ مِنَ الْإِلَهِ جَمَالُ
وَبِهَاءٍ وَنَظَرَةٍ وَسُرُورُ
انْظُرُوا نَظْرَةً لضعفِي وفقرِي
إِنِّي عَنْ وَلَانِكُمْ لَا أَجُورُ
وَصِلُوا مُدْنَفًا كُنِيًّا مَشُوقًا
كَادَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكُمْ يَطِيرُ
فِيكُمْ سَادَتِي تَفَاضُ الْعَطَايَا
وَالْيُكْمُ دَاعِي الْوَفَاءِ يَسِيرُ
فَاضَاءَاتُ بِهِ الْبَصَائِرُ نُورًا
وَاطْمَأْنَنْتُ بِاللَّهِ مِنَ الصَّدُورِ
وَجَمَعْنَا لِيَوْمِ جَمْعٍ مُحِيطٍ
فَبَالِهِ حَقًّا نَصِيرُ الْأُمُورِ

الحظوا العبد لحظةً من ولاكم
فقليل النوال منكم كثير
قد دعينا لحبكم فاستجبنا
مذأتانا من الحبيب بشير
قد وفاني من حبكم كل جود
فإليه على العيون أسير
هذه حضرة الوفا تملوها
فمقام الوفا عليّ كبير
فيه كل الوجود للحبيّ تغر
بجمال منه الشمس تنور
هو قطب الوجود من غير شك
وعليه معنى الكمال يدور
وحماه مقام جمع محيط
فيه يهنا العاني ويغنى الفقير
وتضيء الآفاق منه لهذا
كل كون من نوره مستنير
وله في القلوب معنى تدب
وبها يزهر وحسن نظير
وسناء وبهجة وكمال
ماله في مرأى العيون نظير
فصغير الحب فيه كبير
وقليل الحب فيه كبير
قد وفا الكون نفحةً من شذاه
بنسيم يفوح منه العبير
فاستطاب الوجود شرقاً وغرباً
ووفاه منه الوفا والسرور
لست أسلو عن حبكم يا ملاذي
قولاكم تجارة لا تبور

نسأل الله سرّاً بجميل
في ذراكم فهو اللطيف
الخبير
وينيل العبيد خير نوال
بوفاكم فهو اللطيف الخبير
فعليكم تحية وسلام
وأمان من الإله ونور
وقال رضي الله عنه:
الوافر
طرحنا النفس للمحبوب أرضاً
فكنّا عنده في الحب أرضاً
ملك قدرقى رتب المعالي
ونال الأنس إبراماً ونقصاً
وقد قامت شواهد فحقاً
له بالحسن والإحسان يقضى
له جمعت جنود الحب طوعاً
وقد عرضت لما يختار عرضاً
بدا من نور بهجته ضياء
أنار الأرض طولاً ثم عرضاً
وعاملنا بربح منه يغنى
عن الدنيا به عيناً وعرضاً
بفيض منه وافانا جميعاً
فطهرنا به ديناً وعرضاً
تعرف بالوفا للحق حقاً
ودان الله بالتقوى وأرضى
وبث الجود والجدوى فأضحت
محبة على الأكران فرضاً
يعفو منه قد وسع المعالي
فعمم بالرضا كلاً وبعضاً

شُغِلْتُ بِحَبِّهِ كُلِّ اللَّيَالِي
وَقَدْ مَلَأَتْ عَيُونَ النَّاسِ غَمَضًا
فَكُلَّ جَمِيلٍ وَصَفٍ مِنْهُ أَبَدِي
وَعَنْ كُلِّ الْمَسَاوِي مِنْكَ أَغْضَى
إِذَا رَفَعَ الْحِجَابَ لَنَا جَزْمًا
بِأَنْ نَلْقَى بِهِ فِي الْعَيْشِ خَفَضًا
أَقِمْنَا سُنَّةَ الْمُخْتَارِ لِمَا
رَفَضْنَا غَيْرَهَا بِسَالِحٍ رَفَضًا
وَنَلْقَى الْأَمْنَ مِنْ مَوْلَى عَلِيٍّ
تَهَضَّنَا نَحْوَهُ بِسَالِحٍ نَهَضْنَا
فَفَضَّلْنَا وَصَيَّرْنَا عَبْدًا
وَفَضَّلْنَا لَنَا خَتَامَ الْفَتْحِ فَضًّا
كَفَانَا أَنْ نَكُونَ لَهُ أَرْقَا
وَإِنَّا بِسَالِحٍ الَّذِي يَرْضَاهُ نَرْضَى
وَقَالَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

الطَّوْبُ يَا
أَيَا سَيِّدَ السَّادَاتِ يَا عَلِيٍّ الْهَدَى
يَا مَنْ لَدَيْنَ اللَّهِ بِسَالِحٍ أَيْدَى
وَيَا رَحْمَةَ الرَّحْمَنِ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَيَا طَيِّبًا قَدْ طَابَ أَصْلًا وَمَحْتَدَا
بِكَ انْتَمَتِ الْأَمْلاكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ
وَفِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ كُلِّ بَلَدٍ
اِقْتَدَى

فَمَا زِلْتَ حَقًّا لِلنَّبِيِّينَ كُلِّهِمْ
إِمَامًا وَمَهْدِيًا وَعَيْنًا وَسَيِّدًا
وَأَنْتَ إِلَى الرَّحْمَنِ أَعْلَى وَسِيلَةٍ
وَمَا زِلْتَ لِلرَّاجِينَ مَلْجَأًا وَمَقْصِدًا
لَقَدْ شَهِدْتَ ظِيَّ الْقَلَا إِذْ سَأَلْتَهَا
بِأَنَّكَ مَبْعُوثٌ مِنَ اللَّهِ بِسَالِحٍ الْهَدَى

وَقَدْ خَصَّكَ الرَّحْمَنُ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمِهِ
قَدَّرَ الْعَرْشَ مَحْمُودًا وَتَمَّاكَ أَحْمَدًا
لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً
تَعَجَّلَهَا قَدَمًا إِذَا الْخُطْبُ أَجْهَدَا
وَدَعَاكَ الْعِظَمَى وَأَنْتَ خِبَاتُهَا
شَفَاعَةً إِكْرَامٍ لَتَجْلُو بِهَا الصَّدَا
وَلَسْنَا لَدَا أَهْلًا وَلَكِنْ تَفَضَّلًا
خَلَائِقُ مِنْ بَسَائِمِ الْمَكْرَمَاتِ تَعُودَا
تَقُومُ مَقَامًا يَرْغِبُ النَّاسُ كُلُّهُمْ
لِفَضْلِكَ يَا مَعْرُوفَ الْفَضْلِ وَالنَّدَا
يَقُولُ خَلِيلُ اللَّهِ يَا خَيْرَ مَرْسَلٍ
بِأَمْتِكَ الْحَقُّنِي فَقَدْ طَبْتُ مَوْرِدَا
وَمَا دَعَاكَ الْبَدْرُ أَقْبَلَ طَائِعًا
رَخَّرَ انْشِقَاقِي فِي مَقَابِلَةِ الْعَدَا
وَهَذَا مَقَامُ عَظَمِ اللَّهِ شَانُهُ
كَفَانَا بِهِ فَخْرًا وَمَجْدًا وَسُودَا
جَعَلْنَا عَلَى طَوْلِ الْمَدَى خَيْرَ أَمَّةٍ
بِطَوْلٍ لَهُ فَضْلٌ عَلَيْنَا تَابِدَا
إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ وَجْهَتُ وَجْهَتِي
تَوَجَّهْتُ عَبْدٌ عَنْ سِوَاكَ تَجَرَّدَا
فَأَنْتَ رَجَائِي فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا
وَأَنْتَ لِكُلِّ الْخَلْقِ جَاهًا وَسَيِّدَا
وَدَاعِي إِلَيَّ اللَّهُ الْعَلِيِّ بِإِذْنِهِ
سَسِرَ رَاجَا مُنِيرًا فِي الْعَلَامِ تَوَقَّدَا
وَأَرْسَلْتَ الرَّحْمَنَ لِلْخَلْقِ رَحْمَةً
تَوَقَّنَا شَسِرَ الْمَخَافِ وَالرَّدَى
وَأَنْتَ مَلَاذِ الْكَائِنَاتِ بِأَسْرَهَا
وَفِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا بِكَ اللَّهُ أَسْعَدَا

وإنك أعلى المرسلين وسيلة
 وأعلاهم قدراً وأوسعهم ندا
 وأكثرهم علماً، وأرفعهم سناً
 وأسمىهم كفاً، وأنداهم يدا
 وأقربهم من ربهم في كرامة
 وأنبتهم جيشاً، وأوفاهم هدى
 فيا خير مبعوث ويا خير مرسل
 ويا خير من وافى بسؤلٍ وامجد
 ويا حرم الله الذي من يؤمّه
 يوافيه بالآمن الوفي وبالهدي
 ويا كعبة محجوبة لأولي الله
 ويا مسجداً أقصى لمن رام مقصداً
 ويا سيد السادات أنت وسيلتي
 إلى الله في غفران ذنبي تأكداً
 فهذا الذي قد قيل حق محقق
 حديثاً أتانا من جنابك مسنداً
 فلا زال نور الحق فينا محققاً
 بملكك العظمى على الدهر والمدي^{٢١}
 ولا زلت للراغبين ملجأً ومقصداً
 وأمنياً وإيماناً وغوثاً ومنجداً
 فأنت الرجاء يا منقذي من مخاوفي
 وأنت الذي بالله لله ارشداً
 عليك صلاة الله ثم سلامه
 دوماً عليّ مرّ الجديدين سرمداً^{٢٢}
 وآلك والأصحاب دامت صلاتهم
 مواصلة من فيضي فضلك سرمداً
 وقال رضي الله عنه:

البسيط

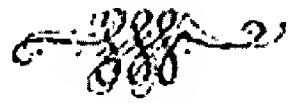
شربت من حبكم كأساً حلاً وصفاً
 معنيّ تحيّر فيه كل من وصفاً^{٢٣}
 فاستغرق الوجد أجزائي وقد ملئت
 من نور معناكم الأوفى هدىً وشفاً
 لو جئت حبكم أسعى على بصري
 لكان لي غايّة التعظيم والشرفا
 تالله ما نظرت عيني لوجهكم
 إلا امتلأت سروراً واكتسبت وصفاً
 ولا تذكرت أني عبد حبكم
 إلا طربت وأهدى الوجد لي تحسفاً^{٢٤}
 عمرتم بالوفا الوافي فؤاد فتى
 ما هم يوم بسـلوان ولا هتفاً^{٢٥}
 هذا الجمال الذي كان الوجود له
 وطاب من عرفه بسـال الله من عرفا
 روعي لكم لم تزل بالغيب شاهداً
 والقلب عن حبكم بالله ما انصرفا
 صيرت عزمي وداعي السوق بصحبي
 حتى انتهى بي إلى أبوابكم وقفاً^{٢٦}
 ثم استقرت في أبواب حضرتكم
 قرير عين بوصول بعد طول جفا
 يا سادة ملائكة الكوان فيضهم
 ما زال كل لكم بالفضل معترفاً
 وأبحر الجود منكم بالوفا أبداً
 تجري لمن ظلّ منها اليوم مغترفاً
 سحت سحاب فيض الجود من يدكم
 فأمطرت بسـالوفا غيثاً لنا وكفاً
 ما غاب عبد لكم عن أنس حضرتكم
 إلا وكان معنيّ بسـعدكم دنفاً

وعبد سما قدراً بحبك سيد
وليس الذي يعلو بأمرك واضع
ومذ حلّ قلبي عقد عهدك بالوفا
ظفرت بك كبر ليس فيه موانع
جزمت بنصب الكسر لما نصبت لي
لواء له عزّ الولاية والرفع
وراجهتني بالفتح من كلّ جهة
فما أنا للسسر الخفي مطالع
تبدّت سماء الحسن منك وانما
لأشراق أنوار الحبيب مطالع
ولما تبدّى نور وجهك في الدجى
تبدّت له منه البروق اللوامع
وأشرقت الأنوار منك بطلعة
بها نور وجه الحق في الخلق ساطع
فمعناك منه الحق يبدو لأهله
ووجهك فرد للمحاسن جامع
وقلب الذي يهواك بالله عامر
ونجم الذي وافاك بالنور طالع
وعيش الذي ترضاه بالله طيب
وصدر الذي وافاك بالرحب واسع
لك الجود والجدوى، لك القبض والعطا
لك الحسن والحسنى، لك النصر تابع
لك السعد والإقبال والأمن والولا
بفضل وفي ليس فيه تنازع
رياض نعيم بالحدائق أحذقت
وفيه لمن يسفي الورود مشارع
ومن يعتصم بالله أنت رئيسه
وليس له من حبل وصيلك قساطع

ولا استقام على قصد السبيل لكم
إلا وكان بروح الجمع مؤتلفا
ضياء الوجود لنا من نور طلعتكم
لما طلعتكم بسر الحق بعد خفا
وطاب أهل الولا من طيب نشركم
وقد أفضتم عليه منحة و وفا
منحتهم العبد اقبالا بحضرتكم
فما انثى عنكم يوماً ولا صرفا
كلّ الجواهر إن قيست بجوهركم
كانت له عند أرباب النهي صدفا
منحتهم العبد اقبالا بحضرتكم
فما انثى عنكم يوماً ولا صرفا
يا جيرة الحي يا أهل الوفاء ويا
عين الوجود ومنهم في الورى خلفا
والله ما علقت روعي لغيركم
ولا استبدلت يوماً عنكم خلفاً^{٢٧}
ومذ خصصت بحب منكم ورضي
فلمست ألقى لشيء بعدكم أسفا
فالله يحفظنا فيكم ويحشرنا
يوم اللقا موالى سيد الحنفا
محمد المصطفى الهادي البشير ومن
بنور فرقسانه كلّ الظلام نفا
عليه منا صلاة فضلها أبداً
يعود منه إلينا الرضى وكفى
وقال رضي الله عنه:
الطويل
ثأؤك في الأكوان كالمسك ضائع
وسعي الذي يسعي لغيرك ضائع

نظرت إلى ضعفى بلطفك نظرة
لها في فؤادي بالشفاء موافق
وأولتني جوداً وعطفاً ورحمة
فدام سروري والولا متتابع
فأنت رجائي في الشدائد كلها
وملتجئتي يا من إليه أسألك
وأنت هدى قلبي ومبلغ حاجتي
ولي عند رب العرش في الحشر شافع
تقطع أوصالي وتغني عني
ولا انقضت مني إليك المطامع
أروح وأغدو في حماك وإني
بفضلك في روضات جودك رافع
فمعناك في قلبي وذكرك في فمي
وصدق غرامي فيك بساكن شافع

نسهمت لنا سبل الهداية والتقى
فكم في طريق الحق منك شمس رافع
وأودعت أعيان الوجود حقائماً
بها كل موجود إلى الله رافع
وعند رجوع الكل عوداً لبدنه
تُرث إلينا بالوفاء الودائع
فما زلت معروفًا بمعرفتك الذي
له عند كل العالمين عنائغ
والقى عليك الله منه محبة
فأنت إذن بسم الله رافع
أدام بك الرحمن فينا ولائه
فليس لما يعطي من الخير مانع



المصادر والمراجع

مجزوءاً (تنال) لوقوعه جواباً وهو قوله (أخلص).
٢٢. الشطر الثاني فيه زيادة في الوزن. وقد تكررت
هذه الزيادة في بيت سابق من هذه القصيدة.
* لا يستقيم الوزن إلا بـ "لا تحتشي" "المورد".
٢٤. البيت فيه إبطاء وهو تكرار القافية التي وردت
في البيت السابق بالكلمة نفسها وبالمعنى نفسه.
٢٥. الشطر الأول يستقيم بقوله (فما).
* الشطر الثاني مكسور. "المورد".
٢٦. المفروض على الشاعر أن يستعد عن تكرار
القافية في أبيات متقاربة فتمد وردت كلمة (رتب)
مكررة في هذا البيت والبيت السابق له بفواصل واحد
فقط.
٢٧. الشطر الثاني من البيت يجب أن يكون فيه

* يستقيم الوزن بـ "وبل جوده" "المورد".
١٨. وكف البيت أي قحط. والغيث السحب والمطر.
١٩. الفعل (منح) فعل معتد بنفسه ومفعوله
(أنعم) ولا يتعدى بحرف الجر إلا إذا كان المقصود
من الفعل (منح) هنا بمعنى (غمر) أي تضمين
معنى وهو جائز.
٢٠. أسقاء: قال له سقياً، أو سقاك الله.
* وضع كلمة "لكم" بعد "لا جلت" ثم كررها بعد
حبي فخذفت الأولى ليستقيم الوزن "المورد".
٢١. الشطر الثاني فيه زيادة في الوزن. ويستقيم
بوضع كلمة (ذي) بدلاً من (كل).
* الشطر الثاني من البيت مكسور. (المورد)
٢٢. الفعل (تنال) في الشطر الثاني يجب أن يكون



الفعلان (واف) و(تر) مجزومين بوصفهما طلبا وجوابه ولكن الشاعر لم ينتبه لهذا الخطأ النحوي.

٢٨ الشطر الأول فيه زيادة بالوزن، ويستقيم بحذف التاء من (وافيت) ويستقيم الشطر الثاني بقوله (وعفر).

٢٩ الشطر الثاني مختل الوزن، والفعل (تنير) أصح من (تنور) ويستقيم البيت بقوله: بجمال والشمس منه تنير. ولعل الخطأ حدث سهواً من الناسخ.

٣٠ الشطر الثاني مختل الوزن، بل تحول إلى بحر المديد، ويستقيم بقوله (وبها مزهؤ وحسن نضين) أو (وبها يزهو بل وحسن نضين).

٣١ من الأفضل وضع حرف الواو قبل كلمة (الحب) في الشطرين بدلاً من همزة القطع لأنها تؤدي إلى إرباك موسيقية البيت.

٣٢ البيت فيه إبطاء بتكرار القافية التي وردت في البيت السابق بالكلمة نفسها والمعنى نفسه.

* وضعت شدة على "مهدياً" والصحيح حذفها.

* وضعت واو بين قوسين ليستقيم الوزن "المورد".

* وضعنا "ولاً" بدل "ولا" ليستقيم الوزن "المورد".

٣٣ الشطر الأول يستقيم بوضع واو قبل كلمة

(أنت).

٣٤ الأصح أن يقال (ما زال لأن (ما) تدل على الظرفية وقد أيد هذا بقوله (على الدهر والدى)، بينما (لا زال) تكون في معرض الدعاء وهذا ينطبق على البيت الذي يليه.

* كلمة "دواماً" بدل دوماً تجعل الوزن صحيحاً.

"المورد"

* واكتسبت صفاً صحيحة في المعنى والوزن.

"المورد"

٣٥ الصواب أن يقول وما تذكرت على الصدرية

الظرفية بوصفها معطوفة على ما نظرت.

٣٦ الصواب أن يقول ما هم يوماً بالنصب على

الظرفية.

* واضح أن الكلمة الصحيحة هي "وداعي الشوق".

"المورد"

٣٧ الشطر الثاني من البيت فيه نقصان في الوزن.

ويستقيم بقوله ولا تبدلت ثم أن قافية هذا البيت

فيها عيب وهو تكرار كلمة (خلف) التي جاءت في

قافية البيت السابق وهذا العيب يسمى (الإبطاء).



علي بن الغدير الغنوي

سيرته وما بقي من شعره

أ. د. عبد اللطيف حمودي الطائي
جامعة بغداد - كلية الآداب

اسمه ولقبه : هو علي بن الغدير بن مضر بن قيس بن حجوان بن مطمع بن كعب بن ثعلبة بن سعد^(١) ابن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غني بن أعصر^(٢) بن سعد بن قيس بن عيلان^(٣) ، فارس شاعر ، فصيح اللسان ، له شعر كثير ، له حديث مع عبد الملك بن مروان^(٤) ، قال الأمدى : هو علي بن منصور بن حجوان بن لاي بن مطمع بن حبيب بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان ، شاعر فارس^(٥) ، فيما قال ابن حزم الأندلسي هو : علي بن الغدير بن مضر بن قيس بن حجوان ابن مطمع بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن عوف بن كعب الشاعر^(٦) وهو من شعراء الدولة الأموية القريسان^(٧) وقد وهم ابن ميمون حين قال^(٨) : (علي بن الغدير السهمي) ولعل سبب هذا الوهم كما يعلله د. حاتم الضامن هو أن ابن ميمون خلط بين بشامة بن الغدير الذي ينتهي نسبه إلى سهم بن مرة^(٩) ، وبين علي بن الغدير الغنوي ، كان علي بن الغدير الغنوي من أنصار بني أمية ، ومن شيعة آل أبي سفيان ، وكان من المقدمين في مجالسهم ، فقد عاصر خمسة من خلفائهم وهم : معاوية بن أبي سفيان ، يزيد بن معاوية ، ومعاوية بن يزيد ، ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان ، ولما توفي معاوية دخل على ابنه يزيد يعزيه بوفاء أبيه معاوية قائلاً^(١٠) :

تعلمها الكهول المرد حتى
تذل بها الأكف وتستقيدا
تلقفها يزيد عن أبيه
فدونكها معاوي عن يزيد
أديروها بني حرب عليكم
ولا ترموا بها الغرض البعيدا
وما زال يحث يزيد ويحرضه على جعل ولاية العهد
في ابنه معاوية حتى لا يطمع فيها الآخرون من بني
أمية^(١١) :
يزيد يا ابن أبي سفيان هل لكم
إلى سناء ومجد غير منصرم
اعزم عزيمة أمر غي رشدا
قبل الوفاة وقطع قالة الكلم

تعزوا يا بني حرب بصبر
فمن هذا الذي يرجر الخلودا
لعمري مناحين بطن جمع
لقد جهزتم ميتا فقيدا
لقد وارى قلوبكم ثباتا
وحالما لا كفاء له رجودا
وكان يلح على يزيد بن معاوية ويوصيه أن لا يدع
الخلافة تخرج من البيت السفياني إلى غيرهم ،
فالجميع مثل الأسود يتربصون بها لئالوها ، ولكن
انتم بني حرب تمسكوا بها ، ابن عن أب ولا تدعوها
تفلت من أيديكم^(١٢) :
خلافة ربكم كونوا عليها
إذا غمزت عنابسة أسودا

عنه خبرا بعد لقائه عبد الملك بن مروان، والراجح عندي أنه مات، وانقطعت أخباره، وبذلك طويت صفحة حياته بهذا الشكل الغامض المبهم.

مكانته الأدبية: لم يكن علي بن الغدير بالشاعر المقدم بين شعراء عصره، ولم يكن من الشعراء الملاحين، ولكن كانت له منزلة اجتماعية رفيعة عند الخلفاء الأمويين فقد عزي يزيد بن معاوية وهناه بالخلافة في موقف واحد، وذلك عندما دخل عليه عقب وفاة أبيه معاوية بن أبي سفيان، وهو من الشعراء المقلين المجيدين، لذلك لم يكن شعره متداولاً بين الرواة، ولولا أبو تمام وتوثيقه لثلاث قصائد من شعره في كتاب نقائض جرير والأخطل، لما ذكره أحد، فهو لم يكن ضمن شعراء الطبقات الإسلامية ولم يكن حظياً عند أصحاب الاختيارات، باستثناء ابن الأعرابي (ت ٥٢١هـ) فقد اختار له قصيدة واحدة^(١) لذلك ضنت علينا المصادر بأخباره وبشاعريته، ومع ذلك ذكره ابن الكلبي فقال^(٢): (فارس شاعر فصيح اللسان، له شعر كثير) ولكن للأسف ضاع أكثر ذلك الشعر ولم تصل إلينا منه إلا شذرات تمثلت بأربع قصائد، وثلاث قطع، ومنتفة، وبيتين مفردين، أي ما مجموعه (٩٥) بيتاً، فيما قال عنه ابن دريد^(٣)

(كان شاعراً فصيحاً قديماً)، وقال عنه الأمدى^(٤): (شاعر فارس من شعراء الدولة الأموية، وله شعر في فتنة ابن الزبير) وواقع الحال يقول لم يصل إلينا من ذلك الشعر إلا قطعة تتكون من خمسة أبيات لا غير، وله قصيدتان يتنازعهما مع الشاعر عبدالله بن همام السلولي وأنا أرجح أن القصيدتين لعلي بن الغدير الغنوي وذلك لما يأتي

١- القصيدة الأولى ومطلعها:

تعزوا بني حرب بصبر

فمن هذا الذي يرجو الخلودا

رواها أبو تمام كاملة بسبعة عشر بيتاً فيما رواها

ابن سلام وابن الأعرابي بخمسة عشر بيتاً بعد أن

أسقطا البيتين الخامس والسابع من روايتهما، وأن أسقاط البيتين المذكورين أحدث خلافاً في رواية القصيدة، فضلاً عن أهمية البيتين بالنسبة للقصيدة ومناسبتها، وقد أيد الأصمعي صحة رواية أبي تمام وذلك في شرحه للبيت الأخير من القصيدة^(٥).

٢- القصيدة الثانية ومطلعها:

إنا نقول ويقضي الله مقتدرا

مهما يدم ربنا من صالح يدم

ابن سلام أسقط مقدمة القصيدة وهي مقدمة طلبية تتكون من بيت واحد، في حين أن أبي تمام ذكره كما قاله الشاعر، ولم يهمله لأن الأمانة في الرواية تحتم عليه أن ينقل القصيدة كما قالها الشاعر، والمطلع هو:

يا دار ليلي بلي فذي حسم

فجانب القف ذي القيعان فالأكم

٢- أن أبي تمام وإن كان مترامناً مع ابن سلام وابن الأعرابي إلا أن مروياته واختياراته أجود منهما باتفاق العلماء والرواة الذين قالوا عن اختياراته (كان في اختياراته أشعر منه في شعره)^(٦).

وبذلك رجحت أن القصيدتين لعلي بن الغدير الغنوي وليست لعبدالله بن همام السلولي. لقد ضاع معظم شعر علي بن الغدير الغنوي كما سبقت الإشارة إلى ذلك، لذا لم يصل إلينا من شعره إلا أربع قصائد، وثلاث قطع، ومنتفة، وبيتان مفردان، أما البحور التي نظم فيها شعره فهي أربعة بحور هي كما يأتي:

- (١) البحر الطويل ونظم فيه أربعة نصوص تمثلت في قصيدة^(٧) وقطعة^(٨)، ومنتفة^(٩)، وبيت مفرد^(١٠).
- (٢) البحر الكامل ونظم فيه ثلاثة نصوص تمثلت في قصيدة^(١١)، وقطعة^(١٢)، وبيت مفرد^(١٣).
- (٣) البحر الوافر ونظم فيه نصين تمثلا في قصيدة^(١٤)، وقطعة^(١٥).
- (٤) البحر البسيط ونظم فيه نصاً واحداً تمثل في قصيدة^(١٦).

منهجني في تحقيق الشعر

لم تذكر لنا المصادر القديمة التي اهتمت بصناعة

اليوم أمير المؤمنين! فأنشده

(من البحر الطويل)

- ١- أ صارمة أم لا حبالك زينب؟
وهل بين صرم الحبل والوصل مذهب؟
فقال عبد الملك: لا، فقال علي:
- ٢- نعم إن أسبابا هي ارتثت القوى
يغر بها لمراء الغوي ويكذب
فقال عبد الملك: كذبتني يا ابن لغدير، فبحك الله!

التخريج

البيتان وخبرهما: في المؤلف المختلف: ١٦٤ (٢)

قال علي بن الغدير في محمد بن مروان بن الحكم:
(من البحر الطويل)

- ١- ألم تعرف الأطلال من آل زينبا
بلى لو ترى لطالب الشوق مطالبا
- ٢- وماذا على ربع وقوفك ضحوة
يذكر عينيك الشجون المنسكبا
- ٣- ألا يا لقلب قد أشت به الهوى
ذر الشوق لا يذهب بك الشرق مذهبا
- ٤- فيا رب باك قد بكى شجر غيره
وذى طرب لم يطرب النفس مطربا
- ٥- بلى قد تراها ناهد الثدي قدعا
يجاوز محتطاهما الطرف المحجبا
- ٦- ليالي تبدي للمفنن منظرا
إذا هي أبدت طرفها العين أصعبا
- ٧- جبيننا وخدا واضحا وكافنا
شرت مقلتيها شادنا مزربا
- ٨- ألا أبلغا عني الهمام محمدا
فهل مبتغي عتباك راح ليعتبا
- ٩- لعلك تنسى من عياض بلاءه
زمان تسامي بابن مروان مصعبا
- ١٠- وكنت إذا لاقيتهم عند كربة
جمعت لها الأم الكريمة والأبا
- ١١- ليالي لا ترضى نضال كتيبة
ولا طعننا حتى يشد فيضربا
- ١٢- إذا ما رأى الخرساء يبرق بيضها
بلا سيف فيها والسنان المنربا

الدواوين الشعرية أن أحدا من العلماء الرواة وجماع الشعر صنع ديوانا لشعر علي بن الغدير الغنوي، فلم ترد إشارة في الفهرست ولا في ما رواه ابن خير الأشبيلي عن شيوخه عن صناعة ديوان أو مجموع شعري لعلي ابن الغدير الغنوي، وبما أني وجدت فيما وصل إلينا من شعره يصلح لصناعة ديوان صغير أجمع فيه شتات ما بقي من شعره خدمة للقراء والثرات، فصنعت هذا الديوان، ولا أقول أنني وقفت على كل ما بقي من شعره، لأن ذلك مستحيل، ولكني أقول أنني اجتهدت ولكل مجتهد نصيب والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمدا وآله وسلم.

شعر علي بن الغدير الغنوي الذي بين أيدينا قليل ولا يتجاوز الـ (٩٥) الخمسة وتسعين بيتا ومع ذلك رتبته كما يأتي:

١- رتبته حسب الحروف الهجائية، ألف بائية.
٢- إذا كان هناك أكثر من نص على حرف واحد، رتبته حسب نظام الحركات: الكسرة، الضمة، الفتحة، السكون، الملحقه بألف إطلاق، الملحقه بهاء وألف إطلاق.

٣- جعلت مصادر التخريج بعد النص مباشرة مرتبة حسب الكثرة، وإذا تساوى مصدران أو أكثر، فيكون الفيصل هو القدم، فالأقدم هو الأسبق.

٤- جعلت اختلاف الرواية بعد التخريج لتكون قريبة من نظر القاري.

٥- جعلت معاني المفردات مع الهوامش، لكي لا أثقل التخريج.

٦- مصادر معاني المفردات والكلمات الغامضة، هي من مصادر النص.

٧- جعلت النصين المتدافعين بينه وبين الشاعر عبد الله ابن همام السلولي في نهاية المجموع الشعري. ما بقي من شعره

(١)

قال أبو اليقظان: كان علي بن الغدير من أشعر الناس، ودخل على عبد الملك بن مروان فقال لا كذب

- ١٣- فلما أصاب الله بالملك أهله
وأعطيت سسلطانا من الملك أغلبا
١٤- ودرت لك الدنيا جعلت عطاءه
أداهم في سجن ربابا مضيا
١٥- فهم بعدهما من يولك اخبر يزجر
سنيحا من العفر البوارح أعضا
١٦- فلو شاء لم ينقض له طي حبة
عياض ولم يرزأ نضيا مركبا
١٧- أناني عن مولك ذاك ابن محرز
على حين قالوا : ساد ذاك وأتربا
١٨- وعن قومه الأدين دخلان قومهم
بأمر جلي قد أهم وأنصبا ٢٢ ٢٢
١٩- فلو كان مولى مثلها يا ابن محرز
لألقيت رداء وراءك مشغبا
٢٠- قليل هجود الليل ما دمت موثقا
مشيحا إليها ذا مخارج قلبا
٢١- له أسرة إن خفت عنيما رايته
رأى الحق أن يحمي حماك ويحدا
٢٢- وذلك من عوف بن كعب سجية
على ما مضى من درهم وتقلب
٢٣- فذو الرأي منا مستفاد لرأيه
وشاهدنا يقضي على من تغيا
٢٤- إذا غضب المولى لهم غضب أخصي
فلم تر أثرى من حصاهم وأصلبا
٢٥- ومن يتفقد مني الظلع يلقي
إذا ما التقينا ظالع الرجل اشغيا
٢٦- وما الظلع إن شاء المليك بمقعدي
ولا رائض مني لذي الضغن مركبا
٢٧- أبي لي أني لا أعير والدا
ليما ولم يذمم فعالي فأقصبا
٢٨- ولم أنتسب يوما سوى الأصل ابتغي
به مأكلا يبدني لذل ومشربا
٢٩- ولم تضرب الأرض العريض فزوجها
علي بأسداد إذا رمت مذهبا
٣٠- وهلك الفتى أن لا يراح إلى الندى
وان لا يرى شيئا عجبا فيعجبا

- القصيدة في قصائد نادرة من كتاب منتهى الطلب من
أشعار العرب : ٢٨٧، ٢٨٨ عدا البيت ٢٨ فقد ورد في أمالي
القالى : ١٨١/٢
* ادعى الباحث ان القصيدة من البحر الكامل وهي من
البحر الطويل (المورد)
** شطر البيت الثاني مكسور "المورد"
*** البيت (١٨) في الأصل الأديين وقد صححت
"الأدين" (المورد)
- الأبيات : ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠ في أمالي القالي : ٢/
٢٨١
- الأبيات : ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٠ في المؤتلف والمختلف : ١٦٤
- البيتان : ٨، ٣٠ في أنساب الأشراف : ١٢ / ٥٦٢٨
- البيت ٣٠ في الفاضل : ٦٨
- البيت ٢٢ في سمط اللالي : ٧٩٩
- البيتان : ٢٥، ٣٠ في البرصان والعرجان : ٥٤١، ٥٤٢ بدون
عزو
- البيتان : ٢٥، ٣٠ في البيان والتبيين : ٣ / ٢٤٢، ٢٤٣ بدون
عزو
- البيت : ٢٠ في رسالة مدح النبيذ وصفة اصحابه : ١٨٠
بدون عزو
- البيت : ٣٠ في أمالي الزجاجي : ٢٠ بدون عزو
اختلاف الرواية
٨. الأمير ... وهل مبتغ عتباك إلا لتعتبا في
أنساب الأشراف.
٢٣. ثمرة ... قاض ... في أمالي القالي .
٢٧. دنيا ولم يذمم ... في أمالي القالي .
٢٩. العريضة ... بأسباب ... في أمالي القالي .
٣٠. وهل الا يراح الى الصبا
والا ... في أنساب الأشراف.
(٢)
قال علي بن الغدير الغنوي :
(من البحر الكامل)
١. أنى اهتديت وكنت غير رجيلة
شهدت عليك بما فعلت شهود^(٣)
التخريج
- البيت في كتاب الفصوص : ٢ / ١٢٤
(٤)
قال علي بن الغدير الغنوي :

(من البحر البسيط) *

- ١- يا قلبُ إنك من أسماء مغرور
فاذكر وهل يتفَعَنك اليوم تذكير؟
- ٢- تأتي أمورُ فما تدري أعاجلها
خير لنفسك أم ما فيه تأخير
- ٣- فاستقدر الله خيرا وارضى به
فيما العسرُ إذ دارت مياير
- ٤- وبينما المرء في الأحياء مغنبطا
إذ صار في الرمس تعقوه الأعاصير
- ٥- يبكي الغريب عليه ليس يعرفه
وذو قرابته في الحى مسرور
- ٦- حتى كان لم يكن لا تذكره
والدهرُ أيتما حل دهارير

التخريج

- القطعة في سمط اللالي : ٨٠٠
- القطعة في أمالي القالي : ٢ / ١٨١ - ١٨٢ بدون عزو
- * القصيدة من البحر البسيط وليس من الطويل كما
زعم الباحث "المورد"
- * ورد في البيت الأول "وهل ينفعك" فصححت
"يتفَعَنك" "المورد"

(٥)

قال علي بن الغدير الغنوي:

(من البحر الطويل)

- ١- أدافع عن مجد تليد وراثه
وقد ترفدُ المجد التليد الطرائف

التخريج

- البيت في حلية المحاضرة : ٢ / ٩٦

(٦)

قال علي بن الغدير الغنوي في

(من البحر الطويل)

- ١- من مبلغ قيس بن عيلان كلها
بما احتاز منها أرض نجد وشامها
- ٢- فلا تهلككم فتنة كل أهلها
كحيران في طخياء داج ظلامها^(٣)
- ٣- فشان قريش بالخصومة بينها
إذا اختصمت حتى يقوم إمامها
- ٤- هم أخذوها بين حنف معجل
وخطة خسف لا تزال تسامها

٥- فضموا جناحيكم إلى مرجحة

معا حربها إن حاربت أو سلامها

٦- وشيحوا سيوف الهند حتى تينوا

على أي الأعداء يسئل حسامها^(٤)

٧- وخلوا قريشا تقتل إن ملكها

لها وعليها بسـرّها وآثامها

٨- فإن وسعت أحلامها وسعن لها

وإن عجزت لم يدم إلا كلامها

٩- فإن قريشا مهلك من أطاعها

تنافس دُنيا قد أحجم إنصرامها^(٥)

التخريج

- القصيدة في نقائض جرير والأخطل : ٢٢
- الأبيات : ١، ٢، ٣، ٧ في معجم الشعراء : ١٣١
- الأبيات : ١، ٢، ٣، ٨، ٩ : في جمهرة أنساب العرب : ٢٤٧ -

٢٤٨

• البيتان : ٧، ٨ في أنساب الأشراف : ١٢ / ٥٦٢٧

• البيت التاسع في لسان العرب مادة نفس :

اختلاف الرواية

١- فمن ٠٠٠ حاز ٠٠٠ في جمهرة أنساب العرب

٢- وخل ٠٠٠ في أنساب الأشراف

٨- وإن ٠٠٠ في أنساب الأشراف.

٨- . وسعت ٠٠٠ تدم ٠٠٠ في جمهرة أنساب

العرب

٩- وإن ٠٠٠ في جمهرة أنساب العرب ، وفي لسان العرب

(٧)

قال علي بن الغدير الغنوي:

(من البحر الكامل)

١- أعلني إن بكرت تجاوب هامي

هاما بأغر نازح الأركـان

٢- وعلمت ما أنا صانع ثم انتهى

عمري وذلك غـاية الفتان

٣- وإذا رأيت المرء يشعب أمره

شعب العصا ويلج في العصيان

٤- فاعمد لما تعلو فما لك بالذي

لا تستطيع من الأمور بلدان

٥- وإذا سئلت الخير فاعلم أنه

نعمى تخص بها من الرحمن

١١. خلافة ربهم حاموا ٠٠٠ كما كنتم عنابسة ٠٠٠
في طبقات فحول الشعراء، خلافة ربهم ٠٠٠ إذا
غمزت ٠٠٠ في مقطعات مراث.

١٢. يعلمها ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء، وفي
مقطعات مراث.

١٣. بسلوتم ٠٠٠ في مقطعات مراث.

١٤. فخذها ٠٠٠ في مقطعات مراث، تلقاها ٠٠٠ في
البداية والنهاية.

١٥. وإن عرفت لكم فتلقفوها ٠٠٠ في طبقات فحول
الشعراء، وإن لانت لكم فتلقفوها ٠٠٠ في مقطعات
مراث.

* في البيت (١٦) ورد كم زائدة فحذفت (المورد)
١٧. وإن ضجرت عليكم ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء،
وإن شغبت عليكم ٠٠٠ يستدر بها ٠٠٠ في مقطعات
مراث.

(٢)

كان علي بن الغدير الغنوي يحض يزيد بن معاوية
على تعيين ابنه معاوية وليا للعهد، فما زال يحثه حتى
استجاب له واختاره وليا للعهد، وكان يخاطب يزيد
قائلا:

(من البحر البسيط)

١. يا دار ليلي بلي فذي خم
فجانب القف ذي القيعان فالأكم

٢. إنا نقول ويفضي الله مقتدرا
مهما يدم ربنا من صالح يدم

٣. يزيد يا ابن أبي سفيان هل لكم
إلى سناء ومجد غير منصرف

٤. أعزم عزيمة أمر غبه رشد
قبل الوفاة وقطع قالة الكلم

٥. واقدر بقائلكم خذها يزيد فقل
خذها معاوي لا تعجز ولا تلم

٦. إن الخلافة إن تثبت لئالك
تثبت أواخيها فيكم فلا ترم

٧. ولا تزال وفود في دياركم
يغشون أروع سباقا إلى الكرم

١٣. إذا ما بان ذو ثقة تلت
أخا ثقة بها صنعا مجدا

١٤. تلقفها يزيد عن أبيه
فدونكها معاوي عن يزيد

١٥. أديررها بني حرب عليكم
ولا ترموا بها الغرض البعيدا

١٦. فإن ذباكم بكم اطمأن
فأولوا أهلها خلقا مديدا

١٧. وإن عصفت عليكم فاعصبروها
عصابا تستدر به شديدا

التخريج

١. القصيدة في نقائض جرير والأخطل: ٢٠١ معزوة
لعلي بن الغدير الغنوي.

٢. القصيدة ما عدا البيتين: ٧، ٥ في طبقات فحول
الشعراء: ٦٢٦-٦٢٨ معزوة لعبدالله بن همام السلولي.

٣. القصيدة ما عدا البيتين: ٧، ٥ في مقطعات مراث: ١٢٢
معزوة لعبدالله بن همام السلولي.

٤. الأبيات: ١، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧ في أنساب الأشراف: ٢١٤٨/٥-
٢١٤٩

٥. الأبيات: ١، ١٤، ١٥ في شرح الحماسة للتبريزي، طبعة بون
٥٠٧:

٦. البيتان: ١٤، ١٦ في كتاب نسب هريش: ١٢٩ معزوان
لعبدالله بن همام السلولي.

٧. البيتان: ١٤، ١٥ في البداية والنهاية: ٨ / ٢٢٧ معزوان
لعبدالله بن همام السلولي.

اختلاف الرواية:

٢. لعمر ومناخن ٠٠٠ في مقطعات مراث

٢. قليبكم بيانا ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء،
وبنانا في مقطعات مراث، وحزما في مقطعات
مراث.

٦. وأميننا ٠٠٠ لم يقض ٠٠ في مقطعات مراث.

٧. ٠٠٠ وقد اضحى التقي به ٠٠٠ في مقطعات مراث.

٩. ٠٠٠ لنا خلافتنا ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء،
فعاوض ٠٠٠ ورد لكم خلافتكم ٠٠٠ في مقطعات
مراث.

١٠. ٠٠٠-٠٠٠ المحاق ٠٠٠ مقاربة ٠٠٠ في مقطعات مراث

- ٨- يزعم أمر قريش غير متأكد
ولو ————— ما كل قرم منهم قطع^(١)
- ٩- عيشوا وأنتم من الدنيا على ثقة
واستصلحوا جند أهل الشام للبهيم^(٢)
- ١٠- فاطم الله أقواما على قدر
ولم يحاسبكم في الرزق والطعم
- ١١- فلا تحملها في دار غيركم
إني أخاف عليكم حسرة الندم
- ١٢- فما لمن سالك الشورى مشاورة
إلا بطعن وضرب صايب خذل^(٣)
- ١٣- أنى تكون له شورى وقد قتلوا
عثمان ضحوا به في الأشهر الحرم
- ١٤- خير البرية راعوا المسلمين به
ملحبا ضرجت أثوابه بدم^(٤)
- ١٥- فكان قاتله منهم لشقوته
مثل الأحيمر إذ قسفا على أرم^(٥)
- ١٦- أر كالدهيم وما كانت مباركة
أدت إلى أهلها ألفا من اللجم^(٦)
- ١٧- نفس فداء امرئ في الحرب لزمهم
حتى تفادوا وألقا الناس بالسلم^(٧)
- ١٨- فبارك الله في الأرض التي ضمت
أوصاله وسقاها بكر الديم
- التخريج
القصيد في نقائض جرير والأخطل : ٢ ٤ معزوة
- علي بن الغدير الغنوي.
- القصيدة في طبقات فحول الشعراء عدا الأول ، مع
تقديم الحادي عشر على العاشر : ٦٢٩ - ٦٢٢ معزوة
لعبد الله بن همام.
- الأبيات : ٢ ، ٣ ، ٦ ، ٧ ، في أنساب الأشراف : ٤ / ٢ / ٥
معزوة لعبد الله ابن همام.
اختلاف الرواية
- ٢- ثناء ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
٦- تعرف ٠٠٠ مراتبها ٠٠٠ في طبقات فحول
الشعراء .
٧- يغشون أبلج ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
٩- على حذر ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
١٠- ولا ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
١١- واطعم ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
١٢- ولا ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء .
١٣- ... أشهر الحرم في طبقات فحول الشعراء .
١٥- وكان قاتله منكم لصرعه ٠٠٠ ففي ٠٠٠ في
طبقات فحول الشعراء .
١٧- الفتى ٠٠٠ تدانوا وألهى ٠٠٠ في طبقات
فحول الشعراء .
١٨- وبارك ٠٠٠ في طبقات فحول الشعراء



الهوامش

- ١- جمهرة النسب : ٤٦٦
٢- م ٠ ن : ٤٦٢
٣- م ٠ ن : ٤١٣
٤- م ٠ ن : ٤٦٦
٥- المؤلف والمختلف : ١٦٤
٦- جمهرة أنساب العرب : ٢٤٧
٧- قصائد نادرة : ٢٥٨
٨- م ٠ ن : ٢٥٨
٩- من نسب إلى أمه من الشعراء : ٩١
١٠- نقائض جرير والأخطل : ٢٠١
١١- م ٠ ن : ٢ - ٢
١٢- م ٠ ن : ٤
١٣- البداية والنهاية : ٨ / ٢٢٨
١٤- ينظر يوم مرج راهط في أيام الإسلام : ٤٣١-٤٣٥
١٥- م ٠ ن : ٨ / ٢٤٢-٢٤٣
١٦- نقائض جرير والأخطل : ١٧ ، الأغاني : ١٩ / ١٣٩
١٧- نقائض جرير والأخطل : ٢٢
١٨- م ٠ ن : ٢٣
١٩- المؤلف والمختلف : ١٦٤
٢٠- مقطعات مراث : ١٢٢
٢١- جمهرة النسب : ٤٦٦
٢٢- نقائض جرير والأخطل : ٢

وأبو سفيان، وعمرو وأبو عمرو، سمو العائيس لأنهم
ثبتوا مع أخيههم حرب بن أمية بعكاظ وعقلوا أنفسهم
وقاتلوا قتالا شديدا، فشبها بالأسد، والأسد يقال لها
العائيس واحدها عنبسة.
٤٢ ذو حسم: موضع بالبادية، القف: ما غلظ من الأرض
وارتفع، ويكون في القفر رياض وقيعان.
٤٤ مصروم: منقطع
٤٥ ترم: تبرح
٤٦ قرم: القرم من الفحول الذي يودع للفحلة ولا يحمل
عليه، القطم: الهانج، أراد بذلك الأشراف المسلمين.
٤٧ البهم: المشكلات من الأمور
٤٨ صايب: قاصد، خذم: قاطع
٤٩ ملح: مقطوع، ضربت: لطخت، أي القوا الرعب في
قلوب المسلمين وافجعوهم بقتله.
٥٠ الأحمر: مصغر أحمر وهو قدار بن سالف عاقر ناقة
صالح (ع).
٥١ الذهب: ناقة عمرو بن الزبان، يضرب بها المثل للشوم،
وفيها تقول العرب: أشأم من الذهب، ينظر الأنوار
ومحاسن الأشعار: ١١٢
٥٢ السلم: أراد الإستسلام.

٢٢. الاشتقاق: ٢٧٠
24 - المؤلف والمختلف: ١٦٤
25- ديوان الحماسة: ٥
26- القصيدة رقم (٦)
27- القطعة رقم (١٤)
28- النتفة رقم (١١)
29- البيت المفرد رقم (٥)
30- القصيدة رقم (٢)
٣١- القطعة رقم (٧)
٣٢- البيت المفرد (٢)
٣٣- القصيدة رقم (٩)
٣٤- القطعة رقم (٨)
٣٥- القصيدة رقم (١٠)
٣٦- الرجيل: القوي على الشئ، والأرجل من الخيل
الذي يكون البياض في إحدى رجليه.
٣٧- الخلياء: الظلمة
٣٨- شيوخوا: أغمدوا، وشيوخوا: سلوا، وهي من الأضداد.
٣٩- أحمر: دنا
٤٠- القليب: القبر
٤١- الصديق وعمر: أراد أبا بكر وعمر الفاروق (رض).
٤٢- عنابسة: العائيسه هم: حرب وأبو حرب، وسفيان

مصادر ومراجع البحث

- الأمالي - أبو علي القالي (ت ٢٥٦هـ)، ط ٢، بيروت،
١٩٨٧م.
- أنساب الأشراف - صنعة الإمام أحمد بن يحيى بن
جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ) حققه وقدم له د. سهيل
زكاره، د. رياض زركلي، بإشراف مكتب البحوث
والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- أنساب الأشراف - البلاذري، أحمد بن يحيى
(ت ٢٧٩هـ)، تحقيق د. عبدالعزيز الدوري، د. عصام
عقلة، ط ١، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م (نسخة ثانية).
- الأنوار ومحاسن الأشعار - لأبي الحسن علي بن محمد
بن المطهر العدوي المعروف بالشمشاطي، تحقيق

- الاشتقاق - ابن دريد (ت ٣٢١هـ) - تحقيق
عبد السلام هارون، د. ت.
- الأضداد - ابن الأنباري (ت ٢٨٠هـ)، تحقيق محمد أبو
الفضل إبراهيم، الكويت، ١٩٦٠م.
- الأضداد - أبو الطيب (ت ٢٥١هـ)، تحقيق د. عزة
حسن، ١٢٨٢هـ - ١٩٦٢م، دمشق.
- الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني، مصورة دار الكتب
المصرية، د. ت.
- الأمالي - أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي
(ت ٢٤٠هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار
الجيل، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

صالح مهدي العزاوي، دار الحرية للطباعة، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، بغداد.

- أيام العرب في الإسلام. محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت.).

- البرصان والعرجان - الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢م.

- البيان والتبيين - الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) - تحقيق عبدالسلام هارون، مصر ١٩٤٨م.

- ثلاثة كتب في الأضداد - الأصمعي، السجستاني، ابن السكيت، نشرها د. أوغست هفتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت.) - جمهرة أنساب العرب - لبن حزم الأندلسي، راجعه وحققته وضبطت أعلامه لجنة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

- جمهرة النسب - لأبي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ)، تحقيق د. ناجي حسن، ط ١، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

- حلية الحاضرة في صناعة الشعر - أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق جعفر الكناني، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٧٩م، بغداد.

- ديوان الحماسة - أبو تمام حبيب بن أوس الطائي (ت ٢٢١هـ)، تحقيق د. أحمد عبدالنعم صالح، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م.

- رسالة في مدح النبيذ وصفة أصحابه - الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق د. حاتم الضامن، مجلة المورد، المجلد السابع، العدد الرابع، لسنة ١٩٧٨م.

- سمط اللآليء - أبو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق عبدالعزيز الميمني، مصر، ١٩٢٦م.

- شرح الحماسة - أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي

(ت ٥٠٢هـ)، تحقيق غيورغ ولهم فريتغ، بون، ١٨٢٨م.

- طبقات فحول الشعراء - محمد بن سلام الجمحي (ت ٢٢١هـ)، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر، د.ت.

- الفاضل - المبرد (ت ٢٨٦هـ)، تحقيق عبدالعزيز الميمني، دار الكتب، ١٩٥٦م.

- قصائد نادرة - د. حاتم الضامن، مجلة المورد، المجلد الثامن، العدد الثالث، لسنة ١٩٧٩م.

- كتاب الفصوص - أبو العلاء صاعد بن الحسن الربيعي البغدادي، تحقيق د. عبدالوهاب التازي سعود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

- لسان العرب - ابن منظور (ت ٧١١هـ)، أعاد بناءه علي الحرف من الكلمة، يوسف خياط، ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.

- المؤلف والمختلف - الأمدي (ت ٢٧٠هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦١م.

- معجم الشعراء - أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٢٨٤هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، ١٩٦٠م.

- مقطعات مرث - ابن الأعرابي (ت ٢٢١هـ) - تحقيق د. محمد حسين الأعرجي

- من نسب إلى أمه من الشعراء - محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، تحقيق عبدالسلام هارون، ط ١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٢٧هـ - ١٩٥١م، مصر، ضمن نواذر الخطوط.

- نقائض جرير والأخطل أبو تمام الطائي (ت ٢٢١هـ)، تحقيق الأب انطوان صالحاني اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٢م.

اخبار التراث العربي

ذ-

اعداد : حسن عريبي الخالدي
بغداد

موسى بن محمد بن عبد الله الحنبلي المؤرخ (٦٤٠-٧٢٦/١٢٤٢-١٣٢٦م) دراسة وتحقيق الاستاذ عباس هاني الجراح وقد اعتمد في تحقيقه على سبع نسخ خطية في دمشق وبريطانيا وهو اول تحقيق علمي له وفيه تصحيح ما يزيد على ستة آلاف خطأ في الطبعة الهندية وحقق فيه اول مرة السنوات ٦٨٧-٧٠٢هـ التي لم تنشر سابقاً، وسيطبع في بيروت في ٦٠١ ج
xx ذيل مفرج الكروب (في اخبار بني ايوب)، لابن الغيزل نور الدين علي بن عبد الرحيم بن احمد الكاتب الحمري المظفري (ت ٧٠١هـ) دراسة وتحقيق د: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بسيرت، ٢٠٠٠-٢٠٠٩ ص: ٢٠٦ مع الفهارس يتضمن، الكتاب حوادث السنوات ٦٦٢-٦٩٥/١٢٦٤-١٢٩٦م ويشتمل على معلومات تاريخية نادرة تنشر اول مرة وقد اعتمد المحقق على نسختي المكتبة الوطنية بباريس المرقعتين بالارقام ١٧٠٢ و١٧٠٣

ر-

xx رأي في تفسير مبحث المنوع من الصرف- احسان النص- مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج٤، مج ٨٠ (٢٠٠٥-١٤٢٦).
xx الرحلة الى القسطنطينية: الاسباب والدوافع- المهدي عبدالرواضية- العرب (الرياض) ج ١١، ١٢، ص ٨٩٥، ٨٧٨ (٢٠٠٦-١٤٢٧)
xx رحلة الحج المباركة ودورها في تطور ادب الرحلات.

xx ذخر التأهلين والنساء في تعريف الاطهار والدماء وشرحه للامام البركوي نقي الدين محمد بن بير علي والرومي الحنفي الصوفي (٩٢٩-٩٨١/١٥٢١-١٥٧٣م تحقيق: هداية هار تفورد، ط١، دمشق، دار الفكر- ٢٠٠٥، ٤٩٦ ص
xx ذكر الطير والحيوان في اللغة والامثال والاحاديث والقرآن- شرف صبحي محمد صابر، ط١، القاهرة، دار العلم والثقافة، ١٤٢٣-٢٠٠٢، ٢٢٦ ص
xx ذو النون المصري- عبد الحليم محمود، ط٢، القاهرة، دار الرشاد، ١٤٢٣-٢٠٠٢، ٢٢٤ ص
xx ذيل تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام- للذهبي (ابن الذهبي) شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الحافظ المؤرخ (٦٧٣-٧٤٨/١٢٧٤-١٣٤٨) تحقيق ودراسة: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت، در الكتاب العربي، ٢٠٠٠-٢٠٠٩، ٤٦٢ ص مع الفهارس يشتمل الكتاب على حوادث ووفيات السنوات ٧٠١-٧٤٦هـ/ ١٣٠٢-١٣٤٥م، وقد اعتمد المحقق على نسختين مخطوطتين في جستر بتي رقم ٤١٠٠ وليدن رقم ٢٢٠
xx ذيل خطط المقريري (المواعظ والاعتبار)- تاليف عبد الحميد بك نافع، تحقيق: خالد عزب ومحمد السيد حمدي متولي، ط١، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب ١٤٢٦-٢٠٠٦، ٢٤٠ ص
xx ذيل مرآة الزمان- لليونيني قطب الدين ابي الفتح

صلاح محمد ابو زيد. الحج (الرياض) ٢٤، س٦١ (١٤٢٧).
(٢٠٠٦)

xx رحلة الحجاز كما صورها ابراهيم عبد القادر
المازني، محمد عبد الشافي القوصي، الحج (الرياض)
٢٤، س٦١ (١٤٢٧-٢٠٠٦)

xx الرحلة الحجازية الجزء الخامس (تندوف) - لحمد
بن يحيى بن محمد المختار الشنقيطي الولاتي المتوفى
سنة ١٢٣٠هـ / ١٩١٢م. تحقيق ودراسة: بريك الله بن
حبيب. رسالة ماجستير باشراف: احمد يوسف
سليمان (مشرقا رئيسا) وعصام محمد الشنطي
(مشرقا مشاركا) قسم المخطوطات العربية وتحقيق
النصوص، معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ٠٠
٠٠٠٠

xx رد. البهتان عن اعراب آيات من القرآن الكريم -
يوسف العيساوي. الاحمدية (دبي) ٢١٤ (٢٠٠٥، ١٤٢٦)
xx رسائل عبد العزيز بن يوسف (ت ٢٢٨٨هـ). محمد
يونس عبد العادل. تراثيات، (القاهرة)، ١٤، س١ (٠٠)
(٢٠٠٢) ص ١٢٢-١٣٧

xx رسالة التوسعات. لابن كمال باشا شمس الدين
احمد بن سليمان بن كمال باشا التركي الاصل القاضي
(ت ٩٤٠هـ / ١٥٢٤م) دراسة وتحقيق ابراهيم بن منصور
التركي. عالم المخطوطات والنوادر (الرياض) ١٤، مج ١١
(١٤٢٧-٢٠٠٦)

xx رسالة في تحقيق امر الوباء والاحتراز منه
واصلاحه اذا وقع لابن سهل المسيحي. لطف الله قاري.
مجلة تاريخ العلوم العربية (حلب) مج ١٢ (٢٠٠٥، ٠٠)

xx رسالة في صلاة الرغائب. للامام عز الدين عبد
العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي القاهري
الفقيه القاضي (٥٧٧-٦٦٠، ١١٨١-١٢٦٢) تحقيق:
اياد خالد الطباع، ط١، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٥، ٠٠
ص ٨٠

xx رسالة في العشق. لابن سينا (الشيخ الرئيس) ابي
علي الحسين بن عبد الله بن الحسن والفيلسوف

الطبيب (٢٧٠، ٤٢٨ / ٩٨٠، ١٠٢٧م) تح: حسين الصديق
وراوية جاموس، ط١، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٥، ٠٠
ص ٩٦

xx رسالتان في بيان الاحكام الخمسة التي تعترى افعال
المكلفين. لابي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر
الثعلبي البغدادي القاهري، القاضي الفقيه المالكي
الاديب (٢٦٢، ٤٢٢هـ / ٩٧٢، ١٠٢١م) دراسة وتحقيق:
ادريس الفاسي الفهري، ط١، دبي، الامارات العربية
المتحدة، دار البحوث للدراسات واهياء التراث، ١٤٢٤.
٢٠٠٣

xx روائع الخط العربي بجامعة البوصيري. اعداد خالد
عرب ومحمد الجمل. تقديم: اسماعيل سراج الدين،
ط١، الاسكندرية (مصر) مركز المخطوطات بمكتبة
الاسكندرية، وحدة الدراسات والبحوث بمركز
المخطوطات. حوليات المشروعات البحثية ١، ١١٧ ص

xx رواية آنة كومونين عن حصار انطاكية ٤٩/١٠٩٨
بين المصادر العربية والاجنبية. طلب صبار محل،
الآداب (بغداد) ٧٦٤ (٢٠٠٧) ٤٥٩، ٤٢٢

xx الروض الزاهر في غزوة الملك الناصر وبـذيله
(الناقب المظفرية) كلاهما لعلاء الدين بن عبد
الظاهر (ت ٧١٧هـ) تح: د: عمر عبد السلام تدمري، ط١،
بيروت، ٠٠٠٠-٢٦٢، ص، ويشتمل على غزوة الملك
الناصر محمد بن المنصور قلاوون وانتصاره على
التتار في موقعة مرج الصفر سنة ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م، وقد
اعتمد المحقق على مخطوطة برلين المرقمة بالارقام
٢٦٢٣

xx الروض الواسع والدليل المنيع على عدم انحصار
علم البديع. ل محمد بن علي بن محمد بن عبد الله
الشـوكانـي الصنعاني اليمني الفقيه (١١٧٣-
١٢٥٠هـ / ١٧٦٠-١٨٢٤). بن عيسى الطاهر وطاهر بن
عبد الرحمن قحطان. عالم المخطوطات والنوادر
(الرياض) ١٤، مج ١١ (١٤٢٧-٢٠٠٦)

xx روضة الحبور ومعدن السرور في مناقب أبي يزيد
(البسطامي والجنيد البغدادي وأشياخهما واتباعهما،
لابن الاطعاني محمد بن أحمد بن محمد البسطامي
الحلبى (ت سنة ٨٠٧ هـ)، انتهى أحمد فريد الزيدى
(مصر) من تحقيقه على نسختين خطيتين
مصورتين في معهد المخطوطات العربية، ٠٠٠.٠٠٠
xx رؤية نقدية في شاعرية ذي الرمة - سحاب محمد
الاسدي. الآداب (بغداد) ٧٢٤ (١٤٢٦. ٢٠٠٦) ٦٧٧. ٦٤٦
- ز -

xx زيد بن علي - للشيخ محمد رضا كاشف الغطاء ١٣١٠ هـ.
١٣٦٦ هـ. دراسة وتحقيق خليل إبراهيم المشايخي
النجف الاشرف، مؤسسة كاشف الغطاء العامة، ١٤٢٤.
٢٠٠٢

- س -

سراج الملوك - للطوطرشي (ابن أبي رندقة) أبي بكر
محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الفهري المالكي
الفقيه (٤٥١. ٥٢٠ هـ / ١٠٥٩. ١١٢٦) تح: محمد فتحي أبي
بكر، تقديم د: شوقي ضيف، ط ٢، القاهرة - دار
المصرية اللبنانية، ١٤٢٧. ٢٠٠٦. ٢. ١، مج ١٧٦ ص

xx السفينة - لابن مبارك شاه: شهاب الدين أحمد ابن
محمد بن حسين بن إبراهيم القاهري الأديب (٨٠٦
٨٦٢ / ١٤٠٢. ١٤٥٨ م) تح ودراسة الجزء الأول - أحمد عبد
الرزاق علم الدين رسالة ماجستير بإشراف: صفوت
زيد (مشرقا رئيسا) ويوسف عبد الوهاب (مشرقا
مشاركا) قسم الآداب والنقد، كلية اللغة العربية بآيتاي
البارود (البحيرة) جامعة الأزهر الشريف. الكتاب
مختارات من دواوين الشعراء وأخبارهم
وتراجمهم.... وقد اعتمد المحقق على نسخة وحيدة
من الكتاب في معهد المخطوطات العربية مصورة من
أصلها في مكتبة الاستانة في تركيا.

xx سفينة الدر - لنجم الدين محمد الصالحي الهلالي
الدمشقي (ت ١٠١٢ هـ) انتهى نادي حسن شحاتة من

تحقيقه لنيل درجة الماجستير من قسم اللغة العربية،
كلية الآداب، جامعة طنطا. وهو كتاب جامع لفنون
الآداب العربي. شعر، أمثال، موشحات، رباعيات،
رسائل.

xx سقط الزند وضوءه - لأبي العلاء المعري أحمد بن
عبد الله بن سليمان التنوخي الشاعر الحكيم اللغوي
(٢٦٢. ٤٤٩. ٩٧٢. ١٠٥٧ م) تح: السعيد السيد عبادة، ط ١،
القاهرة، معهد المخطوطات العربية، ٠٠٠. ٠٠٠. ٩٥٩ ص،
١٥٥.٥ الدراسة، ٧. ٨٠٧ النص + الفهارس

xx سلوة الكنيت بوفاة الحبيب (ص). لابن ناصر
الدين شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن
عبد الله القيسي الدمشقي (٧٧٧. ٨٤٢ / ١٣٧٥. ١٤٣٨ م) تح
ودراسة د: يوسف معتوق، ط ١، دبي، الإمارات العربية
المتحدة، دار البحوث للدراسات وأحياء التراث، ١٤٢٣.
٢٠٠٢

xx السيد أحمد صقر العالم المحقق - عادل سليمان
جمال. مجلة معهد المخطوطات العربية (القاهرة) ج ٢،
مج ٤٧ (٢٠٠٢)

- ش -

xx شاعرية الشيخ محمد رضا الشبيبي - المرحوم
الدكتور عناد غزوان. آفاق نجفية (النجف) ١٤، س ١
(١٤٢٦. ٢٠٠٦) ص ٣٣٧. ٢٤٨
xx شاهد قبر من أول القرن السابع الهجري لإمام المقام
الشافعي بالمسجد الحرام ٥٩٨ هـ ٦٠٤ هـ دراسة تاريخية
حضارية - محمد بن هزاع الشهري. الدارة (الرياض)
٢٤، س ٢ (١٤٢٦. ٠٠٠)

xx شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال -
لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي
الدمشقي القاهري الفقيه القاضي (٥٧٧. ٦٦٠ / ١٨١
١٢٦٢) تح: أياد خالد الطباع، ط ٢، دمشق، دار
الفكر، ٢٠٠٦ م، ٥٧٦ ص

xx شرح التعريف بضروري التصريف - لابن مالك

جمال الدين ابي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد
الله الطائي الجبائي الدمشقي النحوي (٦٠١.٦٧٢/١٢٠٤.١٢٧٤) تج د: هادي نهر والاستاذ هلال ناجي،
ط، عمان (الاردن) دار الفكر للطباعة والنشر، ٢٠٠٢. ص ٢٨٨
قديمة محفوظة في مكتبة طوبقبو سراي في
استانبول

xx شرح جمال الزجاجي - لابن خروف ابي الحسن
علي بن محمد بن علي الحضرمي الاشبيلي (٥٢٤.٦٠٩ هـ / ١١٢٠.١٢١٢ م) دراسة وتحقيق: سلوى محمد
عرب، ط، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية
واحياء التراث الاسلامي، جامعة ام القرى، ١٤١٩. ١٠٠٠
عرض ونقد د: علاء الدين حموية. مجلة مجمع
اللغة العربية الاردني (عمان) ٦٦ع، س ٢٨ (١٤٢٥).
٢٠٠٤ ص ٢١٤. ١٨٩ ٦٧ع، س ٢٨ (١٤٢٥ - ٢٠٠٤) ص ٢٠٥.
٢٤٤

xx شرح شواهد التحفة الوردية. عبد القادر ابن
عمر البغدادي المعري الاديب اللغوي (١٠٢٠.١٠٩٢ هـ / ١٦٨٢.١٦٢١) تج د: عبد الله بن علي الشلال،
ط، الرياض، مكتبة الرشيد، ١٠٠٠. ٦٢٢ ص.
اعتمد المحقق على ثلاث نسخ خطية محفوظة في دار
الكتب المصرية احدها بخط المؤلف فضلا عن
مطبوعته بتحقيق نظيف محرم خواجه في
استانبول سنة ١٩٧٨

xx شرح الصدور بشرح زوائد الشذور. للبرماوي
شمس الدين محمد بن عبد الدائم بن موسى
النعمي العسقلاني القاهري المقدسي الشافعي (٧١٢.٨٢١ هـ / ١٣٦٢.١٤٢٨) تج: محمد عدنان قيطاز، ط،
دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٦. ١٥٦ ص

xx شرح الفصول المهمة في موارد الامة - لسبط
المارديني بدر الدين محمد بن محمد بن احمد الغزال

الدمشقي القاهري الفلكي الرياضي (٨٢٦.٩١٤ هـ /
١٤٢٢.١٥٠٦) تج ودراسة احمد سليمان عبد الله ابي
طالب (مصري) رسالة ماجستير باشراف: نصر مزيد
واصل، قسم المخطوطات العربية وتحقيق النصوص،
معهد المخطوطات العربية (القاهرة) سجلت في
٢٠٠٥/١٠/٤

xx شرح كتاب سيبويه لابي سعيد السيرافي الحسن بن
عبد الله بن الرزبان البغدادي النحوي القاضي
المعتزلي (٢٨٤.٣٦٨ / ٨٩٧.٩٧٩ م) تج (٩) ط، القاهرة،
مركز تحقــــــــــــــــيق التراث، الهيئة العامة لدار الكتب
والوثائق القومية، ١٤٢٥. ٢٠٠٤، ج ٦، وطبعت بعدهما
الأجزاء ٩٧ ولم أقف على سني نشرها

xx شرح كتاب سيبويه. للصفار قاسم بن علي ابن
محمد بن سليمان الانصاري البطليوسي الاندلسي
النحوي (ت بعد سنة ٦٢٠ م / بعد سنة ١٢٢٣ هـ) دراسة
وتحقيق: ياسر محمد عبد الرحمن (مصري) رسالة
ماجستير باشراف: محمد حماسة عبد اللطيف، قسم
المخطوطات العربية وتحقيق النصوص، معهد

المخطوطات العربية (القاهرة) سجلت في ٢٠٠٥/٦/٢٠
xx شرح لب الباب في علم الاعراب للاسفراييني.
للنقرة كار جمال الدين عبد الله بن محمد بن احمد
الحسيني النيسابوري الحلبي الدمشقي القاهري
الاصولي النحوي (٧٠٦.٧٢٦ هـ / ١٣٠٦.١٣٧٤) دراسة
وتحقيق: محمد فرج علي فرحات رسالة دكتوراه،
قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة عمر المختار
(ليبيا)

xx شرح مختصر ابن الحاجب في اصول الفقه. لشمس
الدين ابي الثناء محمود بن عبد الرحمن بن احمد بن
محمد الاصفهاني الدمشقي القاهري (٦٧٤.٧٤٩ هـ / ١٢٧٦.١٣٤٩ م) تج: علي جمعة، ط، ٩، دار السلام
للطباعة والنشر، ٢٠٠٤. ٢٠٠٤، ج ٢، ٩٢٨ ص

xx شرح المعلقات العشر. لابن الخطيب التبريزي ابي زكريا يحيى بن علي بن محمد الشيباني اللغوي (٤٤١ هـ/١٠٣٠-١١٠٩ م) تح: فخر الدين قباوة، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٦، ٤٠٨ ص

xx شعر ابن النقيب ناصر الدين ابي نصر محمد ابن الحسن بن شاور الكناني القاهري (٥٨٨-٦٨٧ هـ/١١٩٢-١٢٨٨ م) جمع ودراسة وتحقيق الاستاذ عباس هاني الجراح، ط١، دمشق، ٢٠٠٧، ٩ ص

xx شعر احمد بن ابي فنن (ت ٢٧٨ هـ) تنقية وتتممة. د: عبد الرزق عبد الحميد حويزي. الاحمدية (دبي) ٢١٤ (١٤٢٦-٢٠٠٥)

xx شعر ادريس بن اليمان. احمد صلاحية. مجلة مجمع اللغة العربية، (دمشق) ج ٤، ٨٠٤ (١٤٢٦-٢٠٠٥)

xx الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين. علي احمد الخطيب، ط١، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤٢٤-٢٠٠٣، ٢٨١ ص

xx شعر الجراز عوف بن الاحوص. رضوان محمد حسين النجار. العرب (الرياض) ج ٧، ٨، س ٤١ (١٤٢٧-٢٠٠٦) ٥٦٦-٥٤٩

xx شعر جعفر بن شمس الخلافة (ت ٦٢٢ هـ) جمع وتحقيق وشرح ودراسة د: عبد الرزاق عبد الحميد حويزي، تم تحكيمة ومن المنتظر ان ينشر هذه السنة، ٢٠٠٧

xx شعر دعبيل بن علي الخزاعي ١٤٨-٢٤٦ هـ. صنعة د: عبد الكريم الاشر، ايران (٩) انتشارات مكتبة الحيدرية، طبع مطبعة شريعت، ١٤٢٧-٢٠٠٦، ٥٥٨ ص

xx شعر شميم الحلي ابي الحسن علي بن الحسن بن عنتر الحلي البغدادي النحسوي اللغوي الاديب (ت ٦٠١ هـ/١٢٠٤ م) جمع ودراسة وتحقيق الاستاذ عباس هاني الجراح، ط١، دمشق، ٢٠٠٧، ٩ ص

xx شعر عبد الرحيم العباسي (ت ٩٦٢ هـ) جمع وتحقيق د: عبد الرزاق عبد الحميد حويزي، ط١

القاهرة مكتبة الآداب، ٢٠٠٦، ٢٠٠، ١٢٤ ص، مقدمة، ٥٧٨ الدراسة، ٧٩-١٢٧ شعره، ١٢٨-١٣٤ الفهارس

xx شعر عبد الوهاب المالكي البغدادي (ت ٤٢٢ هـ) جمع وتوثيق وتحقيق: عبد الحكيم انيس، ط١، دبي، الامارات العربية المتحدة، دار البحوث الاسلامية، ٢٠٠٤

xx شعر علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٢٩٢ هـ) جمع ودراسة وتحقيق وشرح وتقديم د: عبد الرزاق عبد الحميد حويزي، ط١، القاهرة، منشورات مكتبة الآداب، ٢٠٠٣

xx شعر علي بن مسهر الموصللي (ت ٥٤٢ هـ أو ٥٤٦ هـ) جمع وتحقيق د: عبد الرزاق عبد الحميد حويزي، قيد النشر في القاهرة، ٢٠٠٧

xx الشعراء الخوارج. عبلة الرديني، ط١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٤٢٤-٢٠٠٤، ٢٠٤ ص

xx شقراء: مدينة وتاريخ. محمد بن سعد الشويعر، ط١، ٢٠٠٣، ١٤٢٤، ٢٠٠٣، ج ٢

xx شواعر الجاهلية: دراسة نقدية. رغداء مارديني، ط١، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٢، ٢٩١ ص

xx شوق المستهام في معرفة الاقلام الثلاثة: الكوفي والغربي والهندي. لابي بكر احمد بن علي ابن وحشية النبطي. تح: اياد خالد الطباع، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٢، ٢٠٠، ضمن / منهج تحقيق المخطوطات.

xx شوقي ضيف مؤرخاً للنثر العربي القديم. محمد الدروبي. الاحمدية (دبي) ٢١٤ (١٤٢٦-٢٠٠٥)

xx الشبيب.. وبكاء الشباب في الشعر الجاهلي. احمد اسماعيل النعيمي. العرب (الرياض) ج ٩، ١٠، س ٤١ (١٤٢٧-٢٠٠٦) ص ٧٦٧-٧٩٠

xx الشيخ اغا بزرك الطهراني ١٢٩٢-١٣٨٩ هـ. العلامة السيد احمد الحسيني. آفاق نجفية (النجف) ٤٢٤، س ١ (١٤٢٧-٢٠٠٦) ص ٢٩٩-٣٤٤

xx الشيخ ابراهيم بن المنذر. حكمت هلال، مجلة مجمع اللغة العربية (دمشق) ج ٤، مج ٨٠ (١٤٢٦-٢٠٠٥)

- xx الشيخ احمد زروق البرنسي وشرحه على المقدمة
القرطبية في الفقه المالكي - احسن زقور. المجلة
الجزائرية للمخطوطات (الجزائر) ١٤ (٢٠٠٢-١٤٢٤)
xx شيخ الباحثين اغا بزرك الطهراني حياته وأثاره
١٢٩٣. ١٢٨٩. ١٢٧٥. ١٩٧٠ - الاستاذ الشهيد عبد الرحيم
محمد علي. آفاق نجفية (النجف) ٤٠-٤١، س ١ (٤٢٧).
(٢٠٠٦) ص ٢٨٢-٤٢٣
xx الشيخ حمد الجاسر وسوانح ذكرياته في المجلة
العربية. حمد بن عبد الله القاضي. العرب (الرياض)
ج ٩. ٢١٠ س ٤١ (٢٠٠٦-١٤٢٧) ص ٦٢٧-٦٢٦
xx الشيخ محمد الحسكي النجفي المتوفى نحو سنة
١٢٣٠ هـ - الاستاذ الشيخ حمود الساعدي. آفاق نجفية
(النجف) ١٤، س ١ (٢٠٠٦-١٤٢٦) ٢٨٧-٢٩٧
xx الشيخ محمد رضا الشبيبي حياته وشعره.
المرحوم د: علي جواد الطاهر. آفاق نجفية (النجف)
١٤، س ١ (٢٠٠٦-١٤٢٦) ص ٢١٤-٢٢٦
xx الشيخ محمد رضا الشبيبي والمؤسسات الثقافية.
قصي سالم علوان الجلي. آفاق نجفية (النجف) ١٤،
س ١ (٢٠٠٦-١٤٢٦) ص ٢٥٧-٢٦٢
xx شيوخ معمر بن راشد وتلاميذه: المضعف فيهم:
دراسة تطبيقية على الصححين. نافذ حسين حماد
آفاق الثقافة والتراث (دبي) ٥٢٤ (٢٠٠٦-١٤٢٦)

تنويه

وقع مصححو افتتاحية العدد السابق في أخطاء منها ماشوّه الافتتاحية برمتها مثل ماورد
على السطر الثامن عشر:
((.... يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون...)).
والصواب هو: ((قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون)) والآية هي موضع الشاهد، وهي -
بزعمهم - سبب النزول.
وعلى الصفحة الثانية منها في السطر الثالث: ((... من ماء زمزم فقطب التي كانت له؛
فشربه...)).
والصواب: ((فقطب له)).
وعلى الصفحة نفسها، في السطر السادس: ((فكان ينبذ فيها... لتحليته... والصواب: فكان ينبذ
في جرارها... لتحلية الماء فيها...)).
تعذر المجلة عما وقع وعسى أن توفق أن لا تقع.

إبراهيم بن هرمة

قصيدة العدد

تعلقتها، وإناء الشباب يطفح من جانبه طفاحا
ولا ميعد حجت حبها ولا الشيب أنساكها حين لاحا

وكم من محب أجن الهوى

فود من الغم لو كان باحاً

وأخر غم بأسراره

فباح بمكتومه، واستراحا

وإني وتركي ندى الأكرمين

وقد حي بكفي زئداً شحاحا

كتاركة بيضها بالعرا

وملبسة بيض أخرى جناحا

AL MAWRI'D

QUARTERLY JOURNAL OF CULTURE AND HERITAGE.

ISSUED BY

HOUSE OF GENERAL CULTURAL AFFAIRS

MINISTRY OF CULTURE

WWW.ATTAWHEEL.COM

EDITOR-IN-CHIEF

DR. MOHAMMAD HUSSAIN AL-AARAJI

VOLUME 36 - NUMBER 2 - 2009

المجلة العراقية للثقافة والتراث